

الاصحح

عن ميسرة النبي الاعظم

للشيخ الباقع عشر

الجلال الخفوي
الشيخ جعفر بن يحيى الخفوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الصحيح

من نبذة النبي الأعظم
ﷺ

الغلام المحقق

السيد جعفر من تضيء العالمين

الجزء التاسع عشر

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ
(الجزء التاسع عشر)
للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر

المطبعة: دار الحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م - ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ - ٧٧٤٠٥٢٣ / ٠٢٥١ ٧٧٤٠٥٧١ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٢٧١٨٥

لبنان - بيروت - حارة حريك - خلف الضمان الاجتماعي - بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ - ١ - ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

<http://www.hadith.net>

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

hadith@hadith.net

ISBN: 978 - 964 - 493 - 191 - 8



* جميع الحقوق محفوظة للناشر *

الباب العاشر

بين خيبر ومؤتة

الفصل الأول: فتح وادي القرى.. ورد الشمس
الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء
الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء
الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب
الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة
الفصل السادس: من مكة إلى المدينة
الفصل السابع: سرايا وأحداث إلى مؤتة

الفصل الأول:

فتح وادي القرى.. ورد الشمس

ساعة الحفظ

رسم الساعة .. ربحا ربحا

انصراف الرسول ﷺ من خيبر إلى وادي القرى:

وبعد فتح خيبر، انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى وادي القرى..

قال محمد بن عمر: لما انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن خيبر، وأتى الصهباء سلك على برمة، حتى انتهى إلى وادي القرى، يريد من بها من يهود.

قال أبو هريرة: نزلناها أصيلاً مع مغرب الشمس، رواه ابن إسحاق.
قال البلاذري: فدعا أهلها إلى الإسلام، فامتنعوا من ذلك، وقتلوا، ففتحها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنوة، وغنمه الله أموال أهلها، وأصاب المسلمون منهم أثاثاً ومتاعاً، فخمس رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك، وتركت الأرض والنخل في أيدي يهود، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر^(١).

وكان أبو هريرة يحدث فيقول: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خيبر إلى وادي القرى، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي قد

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٤٨ و ١٤٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٩ ومعجم البلدان ج ٥ ص ٣٤٥ وفتح البلدان ج ١ ص ٣٩ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥١.

١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وهب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عبداً أسود يقال له: مِذْعَم وكان يرحل لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلما نزلنا بوادي القرى انتهينا إلى يهود، وقد ضوى إليها ناس من العرب، فبينما مدعهم يحط رحل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد استقبلتنا يهود بالرمي حيث نزلنا، ولم نكن على تعبئة، وهم يصيحون في آطامهم، فيقبل سهم عائر، فأصاب مدعاً فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم، لم يصبها المقسم، تشتعل عليه ناراً»^(١).

فلما سمع الناس بذلك، جاء رجل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بشراك أو شراكين، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «شراك من نار، أو شراكان من نار».

وعباً رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابه للقتال، وصفهم، ودفع

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٤٨ و ١٤٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٩ وعن صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٣٥ والمحلّى ج ٧ ص ٣٥٠ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٣٦ وعن صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ٧٦ وعن سنن أبي داود ج ١ ص ٦١٥ وسنن النسائي ج ٧ ص ٢٤ والديباج على مسلم ج ١ ص ١٣٠ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ١٨٨ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٩٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٢٨٣ وفتوح البلدان ج ١ ص ٣٩ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤١ و ٢٤٨ وج ٥ ص ٣٤١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٠١ و ٤١٢ وج ٤ ص ٦٣١.

الفصل الأول: فتح وادي القرى.. ورد الشمس ١١

لواءه إلى سعد بن عباد، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر.

ثم دعاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحققوا دماءهم، وحسابهم على الله تعالى.

فبرز رجل منهم، فبرز له الزبير بن العوام فقتله.

ثم برز آخر، فبرز له الزبير فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي بن أبي طالب «عليه السلام» فقتله.

ثم برز آخر، فبرز إليه أبو دجانة فقتله.

ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله. حتى قتل منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحد عشر رجلاً، كلما قُتل رجل دعا من بقي إلى الإسلام^(١).

ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذٍ، فيصلي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أمسوا.

وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنوة، وغنمه الله تعالى أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً.

وأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» بوادي القرى أربعة أيام.

وقسّم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى، وترك الأرض والنخيل بأيدي يهود، وعاملهم عليها.

قال البلاذري: وولاهها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن سعيد

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٤٨ و ١٤٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٩.

١٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

بن العاص، وأقطع رسول الله «صلى الله عليه وآله» جرة بن هوذة العذري رمية بسوطه من وادي القرى.

ونلاحظ هنا أموراً نجملها فيما يلي:

١ - إن من حق كل أحد أن يدعو الآخرين إلى دينه، فإما أن يرفضوا، أو يقبلوا، ولا يستطيع أحد أن يكره أحداً على هذا الأمر، لأن القضية ترتبط بالعقل والقلب معاً. فالعقل، وإن استسلم للدليل، لكن ليس بالضرورة أن يتحقق الإيمان، إذ قد يلجأ إلى الجحود، والإنكار، رغم وضوح الأمر لديه، وذلك على قاعدة: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^(١).

٢ - وإن بعض الناس لا يكتفون بالجحود، فيتجاوزونه إلى الحرب والقتال، تماماً كما فعل مشركو مكة، وكما فعل يهود وادي القرى، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» دعاهم إلى الله تعالى، ومن حقه ذلك.. ولكنهم لم يكتفوا بالإمتناع عن قبول الحق، بل أعلنوا الحرب عليه، وقتلوه بغياً منهم، وكانوا هم الذين بدأوه بالعدوان، واستقبلت سهامهم المسلمين بمجرد وصولهم، وقبل أي سؤال أو جواب، وقتلوا أحد أصحابه حتى وهو ينزل رحل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الأرض.

فكان لا بد أن يواجهوا جزاء هذا البغي، وفتح الله تعالى بلدهم عنوة، وغنم الله المسلمين أموالهم، وصارت أرضهم للمسلمين..

٣ - إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرد أن يمعن في مجازاتهم بما يستحقونه، بل اتخذ سبيل السهولة والعفو، فقبلهم (أي كتب لهم بها

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء ١٣

قبالات، وجعلها بتصرفهم) الأرض، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر.

٤ - وإن هذا العدوان السافر، الذي باشره، قبل أي سؤال أو جواب، لم يمنع النبي «صلى الله عليه وآله» من أن يعاملهم بالرحمة والشفقة، فهو في نفس الوقت الذي يهيم فيه جيشه، ويرفع من مستوى استعداده للردع - حيث عبأه، وأعطى الألوية والرايات لأهلها - لم يبادر إلى المقابلة بالمثل، بل دعاهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما لهم إن أسلموا، وأعلمهم أنه ليس له طمع بأموالهم، بل المطلوب منهم هو الكف عن العدوان أولاً، ثم إنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم.. فالمطلوب منهم هو إعلان الإسلام، والحال أنه ليس مسؤولاً عن دخائلهم، وما في ضمايرهم. بل حسابهم في ذلك على الله تعالى..

وقد يقال: بأن دعوة الناس إلى الإسلام بهذا الشكل - أعني مجرد إعلان الشهادتين - قد تشجع الناس على النفاق، لحقن دمائهم، وحفظ أموالهم، وهذا يشكل تهديداً حقيقياً للإسلام فيما بعد؟!
ونجيب:

إن هذا المحذور غير وارد، من حيث إن ذلك لا يشجع على النفاق، بل هو أول خطوة هامة جداً في سلسلة التنازلات، التي تسقط الإصرار على المقاومة، وتهيئ للإندماج الثقافي، واعطاء المجال لإعمال الفكر والتعقل والتدبر في أمر هذا الدين ورفع العوائق عن ممارسة الحوار البناء الذي هو الخطوة الأهم على طريق الوصول إلى أسلمة المجتمعات تدريجياً من خلال طي مراحل من التنازلات، التي تبقى تحت السيطرة والهيمنة في نطاق

سياسة احتواء النشاطات المعادية ومنعها عن التحرك بشكل علني وسافر، قد يشجع الكثيرين لاتخاذ نفس النهج العدواني الذي يمنع الكثيرين من رؤية الحقائق، ومن التعامل معها بروية وأناة..

٥ - بل هو «صلى الله عليه وآله» لم يكف عن دعوتهم إلى الله تعالى، حتى حين بدأت الحرب واستمرت.. بل كان كلما قُتل رجل منهم جدد دعوته لمن بقي منهم إلى الإسلام.. أي أنه أبقي باب النجاة أمامهم مفتوحاً، ولم يتخذ بغيرهم وعدوانهم ذريعة للإيقاع بهم، رغم أن ذلك من حقه، وهذا هو الجزاء العادل لهم، بل هو قد استمر على معاملتهم بالإحسان، الذي هو فوق العدل..

وكان كلما حضر وقت الصلاة انصرف إليها، فيصلي بأصحابه، ثم يعود إليهم فيدعوهم إلى الله ورسوله..

٦ - ما ذكرته الرواية المتقدمة: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى لواء إلى سعد بن عباد، وأعطي رايات إلى عباد بن بشر، والحباب بن المنذر، وسهل بن حنيف.. لا يمكن قبوله، فقد تقدم في غزوة أحد: أن علياً «عليه السلام» كان صاحب لواء - أو صاحب راية - رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بدر، وفي كل مشهد..

٧ - بالنسبة لما ذكرته الرواية: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد حكم على مدغم بكونه ليس من أهل الجنة؛ لأن الشملة التي غلها من غنائم خيبر تشتعل عليه ناراً.. نقول:

قد تقدم منا حين الحديث عن غنائم خيبر، في فقرة الغلول في خيبر: أن أمثال هذه القضايا والأخبار تحتاج إلى مزيد من التأمل والتدقيق في صحتها،

لأكثر من سبب ولا أقل من أنه أغراض بعض اصحاب المأرب الدينية حيث يتخذون منها وسيلة للتستر، وتبرير وتقليل من بشاعة وشناعة فعل المجترئين على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث اتهموه بأنه قد عل حتى احتاج إلى نزول الوحي في هذا.. فتأتي هذه الأباطيل لتقدم المبررات لشكوكهم والمسوغات، لإطلاق تلك التهم الشنيعة.. والله هو العالم بالحقائق.

نوم النبي ﷺ عن صلاة الصبح:

روى مسلم، وأبو داود عن أبي هريرة، وأبو داود عن ابن مسعود، وابن إسحاق عن سعيد بن المسيب، ومحمد بن عمر عن شيوخه، قالوا:
انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من وادي القرى راجعاً بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى، فلما كان قريباً من المدينة سرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلته، حتى إذا كان قبيل الصبح بقليل نزل وعرس، وقال: ألا رجل صالح حافظ لعينه، يحفظ علينا الفجر، لعلنا ننام؟
قال بلال: يا رسول الله، أنا أحفظه عليك.

فتزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقام بلال يصلي ما شاء الله أن يصلي. ثم استند إلى بعيه، واستقبل الفجر يرقبه، فغلبته عينه، فنام، فلم يستيقظ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٤٩ وج ٨ ص ١٦٠، وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٩ والبحار ج ٢١ ص ٤٢ وج ١٧ ص ١٢٠ وعن الكازروني في كتاب المنتقى، وعن الموطأ ج ١ ص ١٣ وتنوير الحوالك ص ٣٣ والمحلّى ج ١ ص ٦ وعن صحيح مسلم ج ٢ ص ١٣٨ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ وسنن أبي داود ج ١ =

١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وفي بعض الروايات: أن الألسنة أخذت بلالاً وكان أشدهم عليه أبو بكر.

وذكرت الروايات أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أول أصحابه هبّ، فقال: «ما صنعت بنا يا بلال؟»
قال: يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك.
قال: «صدقت».

ثم اقتاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعيره غير كثير، ثم أناخ، وأناخ الناس فتوضأ، وتوضأ الناس، وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فلما فرغ، قال: «إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾»^(١).

= ص ١١٨ و ١١٩ حديث رقم (٤٣٥) والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٢١٧ وعن فتح الباري ج ١ ص ٣٨٠ وعون المعبود ج ٢ ص ٧٣ وشرح معاني الآثار ج ١ ص ٤٠٢ وصحيح ابن حبان ج ٥ ص ٤٢٣ وإرواء الغليل ج ١ ص ٢٩٢ والدر المنثور ج ٤ ص ٢٩٣ والكامل ج ٥ ص ٣٢٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٠٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧١١ و٧١٢ والترتيب الإدارية ج ١ ص ٧٧ وصحيح البخاري باب ٣٨٧ من أبواب مواقيت الصلاة.
(١) الآية ١٤ من سورة طه.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٥٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٩ والبحار ج ٢١ ص ٤٢ عن المنتقى في مولد المصطفى للكاظمي، والثقات ج ٢ ص ٢٢ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٥٥ وعن الموطأ ج ١ ص ١٥ وراجع: كتاب الأم ج ١ ص ٩٧ والمغازي =

الفصل الأول: فتح وادي القرى.. ورد الشمس ١٧

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» التفت إلى أبي بكر، وقال له: إن الشيطان أتى بلائاً، وهو قائم يصلي، فلم يزل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى نام. ثم دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلائاً، فأخبر بلال رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمثل ما أخبر به «صلى الله عليه وآله» أبا بكر. فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله^(١).

وفي رواية: فاستيقظ القوم وقد فزعوا، فأمرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: هذا واد به شيطان، فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي^(٢).
ونقول:

إن ذلك لا يصح، وقد تحدثنا عنه أكثر من مرة، فإن هؤلاء القوم ما زالوا في المواطن المختلفة يذكرون هذا الأمر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقد قلنا: إن رواياتهم ظاهرة الاختلاف فيما بينها..

ص ٣٥٥ وعن الموطأ ج ١ ص ١٥ وراجع: كتاب الأم ج ١ ص ٩٧ والمغازي =
= للواقدي ج ٢ ص ٧١١ و ٧١٢ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٧٧ وسنن ابن
ماجة ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ وسنن أبي داود ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ وصحيح
البخاري باب ٣٨٧ من أبواب مواقيت الصلاة.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٩ وكتاب الموطأ ج ١ ص ١٥.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٩ و ٦٠ والموطأ ج ١ ص ١٤ وكتاب الأم ج ١ ص ٩٧
وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٤٤٩ والجامع لأحكام القرآن ج ١٠
ص ٤٨ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٢١ وسبل الهدى والرشاد
ج ١١ ص ٤٦٠.

١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
 فهي تارة تقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان أول من
 استيقظ، حسبما تقدم.
 وأخرى تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» استيقظ على كلام جرى بين أصحابه^(١).
 ومن جهة أخرى: فإنهم تارة يقولون: إن ذلك كان في حال رجوعه من
 الحديبية.
 وأخرى: في مرجعه من حنين.
 وثالثة: في مرجعه من تبوك.
 ورابعة: في مرجعه من وادي القرى^(٢).
 ومن جهة ثالثة: فتارة يقولون: إن حارسهم كان بلالاً كما تقدم.
 وأخرى: ابن مسعود^(٣).
 وثالثة: أنه ذو مخبر^(٤). وهو رجل حبشي كان يخدم رسول الله «صلى الله
 عليه وآله».

-
- (١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٥٥ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٢٦ وسنن أبي
 داود ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ ونصب الراية ص ٢٨٢ و ٢٨٣.
 (٢) راجع ما تقدم في المصادر التي ذكرناها في الهوامش المتقدمة بالإضافة إلى تاريخ
 الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣٦٨ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان
 ج ٥ ص ٤٢٣ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٣١٨ و ٣٢٣ وسنن أبي داود ج ١
 ص ١٢٢٢ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠١٥.
 (٣) نصب الراية ج ١ ص ٢٨٢ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٣١٨ و ٣١٩.
 (٤) مجمع الزوائد ج ١ ص ٣١٩ و ٣٢٠.

ورابعة: أنس^(١).

وخامسة تقول: إنهم كانوا سبعة أشخاص، وقد ناموا كلهم^(٢).

وإن لا نستسيغ حتى احتمال حدوث هذه الواقعة، فضلاً عن تكرارها مرات كثيرة، فإننا نبادر إلى القول: بأن ذلك كله يدل: على أن ثمة إصراراً قوياً على نسبة هذا الأمر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ومما يدلنا على عدم صحة هذه الترهات:

أولاً: إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد سرى في الناس في تلك الليلة، فذلك يعني أن الجميع مرهقون، وأنهم كلهم بحاجة إلى النوم، فالطلب من أي واحد منهم أن يبقى مستيقظاً يكون على خلاف ما يقتضيه الرفق، بل فيه ترجيح من دون مرجح ظاهر، إذ لماذا ينعم هؤلاء بالراحة، والنوم الهادئ، والأحلام اللذيذة، ويبقى ذاك الآخر يغالب نفسه ليقهرها على مواصلة السهر، ومعاناة التعب؟!!

ثانياً: إن هذا النوم الذي يستغرق فيه جميع الجيش باستثناء شخص واحد، وهو نوم يأتي بعد الضنى، والتعب والسهر، يفسح المجال لأي إنسان أو مجموعة شريرة للتسلل تحت جناح الظلام؛ للسرقة أو للفتك بمن أرادوا

(١) سنن أبي داود باب من نام عن الصلاة ج ١ ص ١١٩.

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٩٨ وصحيح مسلم ج ٢ ص ١٣٩ ومسند ابن الجعد ص ٤٥٠ وصحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ٢١٤ واللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي ص ٣٧ والطبقات الكبرى ج ١ ص ١٨١ وتاريخ مدينة دمشق ص ٢٨ ص ٦٩ وج ٦٧ ص ١٤٤ والبداية والنهاية ج ٦ ص ١٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٢٤٨ وسنن أبي داود باب من نام عن الصلاة ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ ح ٤٣٧.

٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

منهم، حتى برسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا سيما إذا كان الحارس مشغولاً بالصلاة، ومتوجهاً إلى جهة واحدة، ولا يراقب سائر الجهات، وبالأخص إذا كان ذلك بالليل، حيث الظلام يصد البصر في كل اتجاه..

يضاف إلى ذلك: أنه إذا نام ألف وخمس مائة رجل ومعهم من الإبل والحيل المئات فإن المساحة التي يحتاجون إليها في نزولهم سوف تكون واسعة وشاسعة، يصعب مراقبة حالها حتى في وسط النهار، وحتى لو شارك في هذا الأمر عدد من الرجال. فكيف إذا كان ذلك في الليل، فإن حراسة هذا الجيش من أي مكروه يتعرض له تحتاج إلى عشرات الرجال..

ثالثاً: إننا لم نجد مبرراً لأن يسري بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» طوال الليل إلى قريب الصبح، إذ ليس هناك من عدو يخشى أن يسبقه إلى جهة لا يريد أن يسبقه إليها، ولا شيء يخشى فواته، ليجهد نفسه، ويجهدهم من أجل الوصول إليه، والحصول عليه..

رابعاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما تنام عيناه، ولا ينام قلبه^(١). فكيف ينام عن صلاة الصبح؟!..

خامساً: إن ما حصل لم يكن باختيار بلال، فلماذا يلام عليه؟ ولماذا

(١) أرشد في كتاب المعجم المفهرس لألفاظ السنة النبوية إلى المصادر التالية: صحيح البخاري، (التهجد) باب ١٦ (والتراويح) باب ١ (والمناقب) باب ٢٤ وصحيح مسلم (مسافرين) ١٢٥ وسنن أبي داود (طهارة) ٧٩ (تطوع) ٢٦ والجامع الصحيح (مواقيت) ٢٠٨ (فتن) ٦٣ وسنن النسائي (ليل) ٣٦ والموطأ (ليل) ٩ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٧٨ و ج ٢ ص ٢٥١ و ٤٣٨ و ج ٥ ص ٤٠ و ٥٠ و ج ٦ ص ٣٦ و ٧٣ و ١٠٤.

الفصل الأول: فتح وادي القرى.. ورد الشمس ٢١

تأخذه الألسنة فيه؟ ولماذا يكون أشدهم عليه أبو بكر؟ ولماذا لا يترك هذا أمره لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وإذا كان «صلى الله عليه وآله» قد قال: أرواحنا كانت بيد الله عز وجل فأرسلها أنى شاء.. فهل كان هؤلاء اللائمون أشد حرصاً من نفس النبي «صلى الله عليه وآله»..

الشیطان وبلال:

وأما حديث الشیطان وبلال، فلا مجال لقبوله أيضاً لأكثر من سبب.. فأولاً: إن بلالاً قد شعر بهذا الشیطان حين جاء إليه، وصار يهدئه، حسبما صرحت به الرواية، فلماذا لم يسأله - بلال - عن نفسه من هو؟.. وكيف اطمأن واستسلم إليه، إلى حد أنه جعل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى ينام؟!.. مع أنه شخص غريب عنه، ولا يعرف عنه شيئاً؟! وألم يكن المفروض ببلال أن ينذر النائمين بوجود هذا الغريب؟! وأليس ذلك هو مهمته التي سهر من أجلها؟!

ثانياً: إن الرواية تقول: إن الشیطان قد جاء إلى بلال وهو يصلي، وصار يهدئه حتى ينام، مع أن الروايات المتقدمة صرحت: بأن بلالاً قد صلى ما شاء الله أن يصلي، ثم أسند ظهره إلى بعيره، واستقبل الفجر يراقبه، فغلبت عليه، فنام..

ثالثاً: بالنسبة لخروجهم من ذلك الوادي الذي كان به شیطان نسأل: لماذا لم يهرب الشیطان من ذلك الوادي بمجرد وصول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليه؟!..

٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وهل لذلك الشيطان دور في نومه «صلى الله عليه وآله» عن صلاته؟!.. وكيف يكون له دور في ذلك، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؟!^(١).

رابعاً: أين كان عمر بن الخطاب آنذاك؟!

اليسن يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر؟!^(٢) أو: ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك؟!^(٣).

(١) الآية ٩٩ من سورة النحل.

(٢) أسد الغابة ج ٤ ص ٦٤ ونوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٥٨ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ باختلاف، ودلائل الصدق ج ١ ص ٣٩٠ و ٣٩١ عن الترمذي وج ٢ ص ٢٩٣ وصححه هو والبغوي في مصابيح، وليراجع: الغدير ج ٨ ص ٦٤ و ٦٥. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ٧٧ والترتيب الإدارية ج ٢ ص ١٣١.

(٣) عن صحيح البخاري ج ٤ ص ٩٦ و ١٩٩ وج ٧ ص ٩٣ و ١١٥ فضائل أصحاب النبي (٦) والأدب (٦٨) وبده الخلق (١١)، وعن صحيح مسلم ج ١٥ ص ١٦٥ والصحابة (٢٢) ومسند أحمد ج ١ ص ١٧١ و ١٨٢ و ١٨٧ والبحار ج ٣١ ص ٢٥ والغدير ج ٨ ص ٩٤ وإقحام الأعداء والخصوم ص ١٠٤ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٨ وج ١٠ ص ٣٩٩ وج ١١ ص ٤٥٧ والديباج على مسلم ج ٥ ص ٣٠٨ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٢٢ و ١٢٣ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٦٠ ومسند أبي يعلى ج ٢ ص ١٣٣ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣١٦ ورياض الصالحين ص ٦٩٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ١٧٨ وكتر العمال ج ١١ ص ٥٧٥ وج ١٢ ص ٦٠٢ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٣٤٤ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٠٥ والمستصفى للغزالي

الفصل الأول: فتح وادي القرى.. ورد الشمس ٢٣

بل إن شياطين الجن والإنس يفرون منه^(١) كما رووا عنه «صلى الله عليه وآله»؟!

فلماذا لم يسلك هذا الشيطان المزعوم فجاً آخر غير ذلك الوادي، ألم يعلم: أن عمر قد نزل فيه؟!

إلا أن يقال: إن الشيطان قد استغل فرصة نوم عمر لينال من بلال!!
خامساً: لماذا يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه بالخروج من الوادي، لأن فيه شيطاناً؟! أليس في ذلك تخويف لهم من الشيطان إلى حد أنه «صلى الله عليه وآله» يحملهم على الهروب من الوادي!!
ألم يكن الأنسب أن يقوهم، ويرفع من معنوياتهم ضد ذلك الشيطان؟!
ويعلمهم ما يوجب خزيه وهروبه؟!

ص ١٧٠ والمحصل ج ٦ ص ١٣٤ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٨١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٧٨ و ٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٧٥.
(١) دلائل الصدق ج ١ ص ٣٩٠ والتاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣١٤ والغدير ج ٨ ص ٦٥ وعن مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٧١ وعن مشكاة المصابيح ص ٥٥٠ وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٨ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧٦٠ و ٧٦١ عن منتخب كثر العمال ج ٤ ص ٣٩٣ عن ابن عساكر، وابن عدي، والمشكاة ص ٢٧٢ عن الشيخين والمسترشد ص ١٨٥ وأضواء على الصحيحين ص ٣٠٤ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٢٨٥ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٢٤ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٣٠٩ والجامع الصغير ج ١ ص ٤٠١ وفيض القدير ج ٣ ص ١٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٨٢.

رد الشمس لعلي عليه السلام في خير:

وذكروا: أن الشمس قد ردت - بعدما غربت - لعلي عليه السلام في الصهباء، قرب خير^(١).

وفي بعض الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» كان مشغولاً بقسم الغنائم في خير.

وفي نص آخر: كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسله في حاجة فعاد، فنام «صلى الله عليه وآله» على ركبته، وصار يوحى إليه.. فغابت الشمس، أو كادت.

وفي بعض الروايات: أنها قد ردت إليه مرات عديدة، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتابنا: «رد الشمس لعلي عليه السلام»، فراجع.

غير أننا سوف نكتفي هنا: بالإلماح إلى نقاط يسيرة، حول ما كان في

(١) مصادر ذلك كثيرة، فراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين للكويني ج ٢ ص ٥١٧ ومشكل الآثار ج ٢ ص ٩ و ٤ ص ٣٨٩ وكفاية الطالب ص ٣٨٥ والشفاء ج ١ ص ٢٨٤ والمعجم الكبير ج ٢٤ ص ١٤٥ وكنز العمال ج ١٢ ص ٣٤٩ وعمدة القاري ج ١٥ ص ٤٣ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٨٠ واللاذلي المصنوعة ج ١ ص ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ ومنهاج السنة ج ٤ ص ١٩١ و ١٨٨ و ١٨٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢٠١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨٦ و ٣٨٥ والبحار ج ٤١ ص ١٦٧ و ١٧٤ و ١٧٩ و ٢١ ص ٤٢ و ٤٣ عن علل الشرائع ص ١٢٤ وعن المناقب ج ١ ص ٣٥٩ و ٣٦١ وعن الخرايع والجرايع، ونسيم الرياض ج ٣ ص ١٠ و ١١ و ١٢ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٠٩ و ٢١٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٨ وعن المنتقى في مولد المصطفى للكارزوني.

الفصل الأول: فتح وادي القرى.. ورد الشمس ٢٥
غزوة خيبر، فنقول:

رواة حديث رد الشمس:

إن حديث رد الشمس لعلي «عليه السلام» في المواضع المختلفة قد روي عن ثلاثة عشر صحابياً، وقد وردت رواية اثني عشر منهم في مصادر أهل السنة أيضاً. وهم:

- ١ - علي أمير المؤمنين «عليه السلام».
- ٢ - والإمام الحسين «عليه السلام».
- ٣ - وأسماء بنت عميس.
- ٤ - وأبو هريرة.
- ٥ - وأبو ذر.
- ٦ - وأم هانئ.
- ٧ - وعبد خير.
- ٨ - وأم سلمة.
- ٩ - وجابر بن عبد الله الأنصاري.
- ١٠ - وأبو سعيد الخدري.
- ١١ - وسلمان.
- ١٢ - وأنس.
- ١٣ - وأبو رافع مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

(١) تجد هذه الروايات في: كتاب مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٩٦ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٧٠ ومشكل الآثار ج ٢ ص ٨ وج ٤ ص ٣٨٨ - ٣٩٠

وكفاية الطالب ص ٣٨١-٣٨٨ وفتح الملك العلي ص ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ =
 و ٢١ و ١٤١ و ١٤٤ وعن الرياض النضرة ص ١٧٩ و ١٨٠، وراجع:
 البداية والنهاية ج ٦ ص ٧٧- ٨٧ والمناقب للخوارزمي ص ٣٠٦ و ٣٠٧
 ولسان الميزان ج ٥ ص ٧٦ و ١٤٠ و ٣٠١ وكنز العمال ج ١٢ ص ٣٤٩ وج ١١
 ص ٥٢٤ وج ١٣ ص ١٥٢ والشفاء لعياض ج ١ ص ٢٨٤ وترجمة الإمام علي
 «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٢٨٣-٣٠٧
 وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٨ وصفين لنصر بن مزاحم ص ١٣٥ وينابيع المودة
 للقندوزي ص ١٣٨ وتذكرة الخواص ص ٤٩- ٥٣ ونزل الأبرار ص ٧٦- ٧٩
 والضعفاء الكبير للعقيلي ج ٣ ص ٣٢٧ و ٣٢٨ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٤٠
 والمعجم الكبير ج ٢٤ ص ١٤٥- ١٥٨ ومنهاج السنة ج ٢ ص ١٨٦- ١٩٥
 ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٠ وج ٨ ص ٢٩٧ وكشف الخفاء للعجلوني ج ١
 ص ٢٢٠ و ٤٢٨ والمقاصد الحسنة للسخاوي ص ٢٢٦ والخصائص الكبرى
 للسيوطي ج ٢ ص ٣٢٤ وعمدة القاري للعيني ج ١٥ ص ٤٣ واللائي المصنوعة
 للسيوطي ج ١ ص ٣٣٦- ٣٤١ والفصل لابن حزم ج ٢ ص ٨٧ وج ٥ ص ٣ و ٤
 عن كتاب رد الشمس للفضلي العراقي وفتح الباري ج ٦ ص ١٥٥ عن الطبراني
 في الكبير، والحاكم، والبيهقي في الدلائل، والطحاوي، وفرائد السمطين ج ١
 ص ١٨٣، ونهج السعادة ج ١ ص ١١٧ وج ٧ ص ٤٤٨ و ٤٤٩ والإمام علي
 «عليه السلام» لأحمد المهداني ص ١٧٧- ١٧٩ وإفحام الأعداء والخصوم
 ص ٢٦ وشرح معاني الآثار ج ١ ص ٤٥- ٤٧ وتذكرة الموضوعات للفتني
 ص ٩٦ وحقائق التأويل ص ٧٤ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٩ و ١٠ و ١٦ ورجال
 النجاشي ص ٨٥ و ٤٢٨ والفهرست ص ٧٩ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٢٢٥
 وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج ١ ص ١١١- ١١٤ و ١١٧ و ١١٨ و
 ١١٩ والإحتجاج (ط النجف) ج ١ ص ١٦٦ ومائة منقبة ص ٨ والمستجدات من

الإرشاد ص ١٣٥ والصراط المستقيم ج ١ ص ١٦ و ٩٩ و ١٠٤ و ١٥٣ و ٢٠١ =
 وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٢٧ وكشف الظنون ج ٢ ص ١٤٩٤ وبشارة
 المصطفى، ومراة الجنان ج ٤ ص ١٧٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٩٧
 وعلل الشرائع ج ٢ ص ٤٨ - ٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢٠١ و ٢٠٢
 والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨٣ - ٣٨٧ والبحار ج ٤١ ص ١٦٦ - ١٩١ وج ٢١
 ص ٤٣ وج ٩٧ ص ٢١٧ وج ٩٩ ص ٣٠ وج ١٧ ص ٣٥٧ و ٣٥٨ وج ٥٥
 ص ١٦٦ وج ٨٠ ص ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢٤ و ٣٢٥ وقرب الإسناد ص ٨٢
 والخرايج والجرايح ج ٢ ص ٥٠٠ و ٥٠٢ والمناقب لابن شهر آشوب (ط
 الحيدري) ج ٣ ص ٥١، وعن أمالي المفيد ص ٩٤، وعن الكافي ج ٤ ص ٥٦١ و
 ٥٦٢ وأمالي ابن الشيخ ص ٦٤ وعن السرائر وعدة الداعي ص ٨٨ والإرشاد
 للمفيد ج ١ ص ٣٤٦ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٧٠ وتفسير البرهان ج ٢ ص ٩٨
 وج ٤ ص ٣٨٧ ونسيم الرياض ج ٣ ص ١٠ - ١٤ وشرح الشفاء للملا علي
 القاري (بهامش نسيم الرياض) ج ٣ ص ١٠ - ١٣ وإحقاق الحق (قسم
 الملحقات) ج ١٦ ص ٣١٦ - ٣٣١ وج ٥ ص ٥٢١ - ٥٣٩ وج ٢١ ص ٢٦١ -
 ٢٧١ وفيض القدير ج ٥ ص ٤٤٠ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١١ وشرح
 المواهب للزرقاني ج ٦ ص ٢٨٤ - ٢٩٤.

وراجع أيضاً: عيون المعجزات ص ٧ و ٤ و ١٣٦ وبصائر الدرجات ص ٢١٧ و ٢٣٩
 و ٢٣٧ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٨ وكتاب المزار
 الكبير لابن المشهدي ص ٢٥٨ و ٢٠٥ وإقبال الأعمال ج ٣ ص ١٣٠ والمزار
 للشهيد الأول ص ٩١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٥ ص ٨١
 وج ١٤ ص ٢٥٥ وج ٣ ص ٤٦٩ وج ١٠ ص ٢٧٧ وج ٣٠ ص ٣٠ و ٣٨ وج ١٩
 ص ٣٢٨ و ٣٤٠ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٣٠ و ٦١١ والهداية الكبرى
 ص ١٢٣ - ١٣٠ والمسترشد ص ٢٦٥ ومناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٥١٦ و

٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وهذا الحدث متواتر، فلا حاجة إلى امتكم حول اسانيده وقد صححه، أو حسنه عدد من الحفاظ، من علماء أهل السنة أنفسهم، مثل الطحاوي، وعياض، وأبي زرعة، والطبراني، وأبي الحسن الفضلي، والقسطلاني، ودحلان، وغيرهم^(١). وقال الديار بكري: وهذا حديث ثابت الرواية عن ثقات^(٢). بل قال بعضهم: يتعذر الحكم على هذا الحديث بالضعف^(٣).

٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ وخاتمة المستدرک ج ٤ ص ٩٤ و ٢٢٤ و ٢٢٦ =
وروضة الواعظین ص ١٢٩ و ١٣٠ وخصائص الأئمة ص ٥٢ و ٥٦ و ٥٧
والخصال ص ٥٥٠ ومعالم العلماء ص ٥٦ و ٧٨ و ١١٣ و ١٥٢ وإيضاح
الإشتباه ص ١٠٢ ورجال ابن داود ص ٣٩ ونقد الرجال ج ١ ص ١٢٩ وج ٥
ص ٣٥٣ و ٣٥١ وجامع الرواة ج ١ ص ٥٣ وج ٢ ص ٥٣١ والفوائد الرجالية
للسيد بحر العلوم ج ٢ ص ٧٧ وتهذيب المقال ج ٢ ص ٢٢ وج ٣ ص ٣٥٣ و
٣٥٦ وج ٤ ص ٤٥٣ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٢٠٠ وسير أعلام النبلاء ج ١٠
ص ٥٤٤ والكشف الحثيث ص ٤٤ وإعلام الوری ج ١ ص ٣٥٠ و ٣٥١
وقصص الأنبياء للراوندي، ونهج الإيمان لابن حجر ص ٧٠ وكشف اليقين
ص ١١٢ ودفع الشبهة عن الرسول للحصني الدمشقي ص ٢٠٦ ومدينة المعاجز
ج ١ ص ١٩٦ و ١٩٧ و ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٠٧ و ٢١٠ و ٢١٧ وج ٤ ص ٢٥٨
وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٢ و ٤١٧ و ٤١٩ وخلاصة عبقات الأنوار
ج ١ ص ١٤٧.

- (١) راجع كتابنا: رد الشمس لعلی «عليه السلام»، فصل: الأسانيد والرواة.
- (٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٨ والبحار ج ٢١ ص ٤٣ عن المتقي في مولد المصطفى.
- (٣) راجع: البحار ج ٤١ ص ١٧٥ عن مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٥٩-٣٦٥ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٧٩ و ٨٠ و ٨٧ والمواهب اللدنية ج ٢

لماذا لم تنقل الأمم ذلك؟!

وقد حاولوا التشكيك بهذ الحادثة، بأن الشمس لو رُدَّت بعدما غربت لرآها المؤمن والكافر، وهو أمر غريب تتوفر الدواعي على نقله، فالمفروض أن ينقله جماعة كثيرة من الأمم المختلفة^(١).

والجواب:

أولاً: إن الدواعي لدى كثير من أهل الإسلام كانت متوفرة على كتمان هذا الحديث، لأنه مرتبط بعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي سبوه حوالي ألف شهر على منابرهم، ولم يدخروا وسعاً في تصغير قدره، وإبطال أمره، والتشكيك بفضائله، وإنكار مقاماته إن أمكنهم ذلك.

ورغم ذلك، فإن هذه الحادثة قد نقلت عن ثلاثة عشر صحابياً.
ثانياً: إن الشمس قد حبست ليوشع بالانفاق، وهو حدث كوني أيضاً، وإنما وصل إلينا خبر ذلك بواسطة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم^(٢). ولم تنقله الأمم في كتاباتها، ولا أهل الأخبار في مروياتهم.

وقد عبرت بعض الروايات: بحبس الشمس لعلي «عليه السلام»..
كما أن بعضها قال: إن الشمس حين رُدَّت، كانت قد غابت، أو كادت

ص ٢١١ ومنهاج السنة ج ٤ ص ١٨٧ و ١٨٩ وغير ذلك.

(١) راجع: البحار ج ٤١ ص ١٧٥ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٥٩ -

٣٦٥، وراجع: البداية والنهاية ج ٦ ص ٧٩ و ٨٠ وراجع ص ٨٧ والمواهب

للدنية ج ٢ ص ٢١١ ومنهاج السنة ج ٤ ص ١٨٧ و ١٨٩. وغير ذلك..

(٢) منهاج السنة ج ٤ ص ١٨٤.

تغيب^(١).

فلماذا لا يقال: إن الشمس حبست في بعض المرات، وردّت في بعضها الآخر، في وقت كان نورها لا يزال غامراً للأفق، فلم يلتفت الناس إلى ما جرى، إلا الذين كانوا يراقبونها، كأولئك الذين جرت القضية أمامهم، ويريد الله ورسوله أن يريهم هذه الكرامة لعلي «عليه السلام»..

ثالثاً: سيأتي إن شاء الله تعالى: أن حصول هذا الأمر كان على سبيل الكرامة والإعجاز الإلهي، وإنما يجب أن يري الله تعالى معجزته لمن أراد سبحانه إقامة الحجة عليه وإظهار كرامة له، كما سيتضح.

لم تحبس الشمس إلا ليوشع:

وزعم أبو هريرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع، أو نحو ذلك. وقد تمسك البعض بهذا الحديث لإنكار حديث رد الشمس^(٢).

(١) راجع: البحار ج ١٧ ص ٣٥٩ وج ٨٠ ص ٣٢٤ عن صفين للمنقري، وعن الخرائج والجرائح، وراجع: البداية والنهاية ج ٦ ص ٧٧، وتاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ترجمة الإمام على ج ٢ ص ٢٩٢ و(ط دار الفكر) ج ٤٢ ص ٣١٤ والموضوعات لابن الجوزي (ط أولى) ج ١ ص ٥١ وغير ذلك كثير.

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥ وراجع الحديث في: مشكل الآثار ج ٢ ص ١٠ وج ٤ ص ٣٨٩ وعن المعتمر من المختصر، وتذكرة الخواص ص ٥١ ونزل الأبرار ص ٧٨ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٧٠ والضعفاء الكبير للعقيلي ج ٣ ص ٣٢٨ وكنز العمال ج ١١ ص ٥٢٤ وفتح الباري ج ٦ ص ١٥٤ والبداية والنهاية ج ٦ =

ويرد عليه:

أولاً: إن أبا هريرة لا يؤتمن فيما يرويه على علي «عليه السلام»، كيف وقد ضرب على صلته في باب مسجد الكوفة، ثم روى لهم حديث: من أحدث في المدينة أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله. ثم شهد بالله أن علياً «عليه السلام» أحدث في المدينة^(١).

مكذباً بذلك آية التطهير، وجميع أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» في حق علي «عليه السلام»، مثل أن علياً مع الحق والحق مع علي، ونحو ذلك.. ومن جهة أخرى، فقد روي عن علي «عليه السلام» قوله: ألا إن أكذب الناس، أو أكذب الأحياء على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أبو هريرة^(٢).

= ص ٧٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢٠٢ ونسيم الرياض ج ٣ ص ١٠ و ١١ وبهامشه شرح الشفاء للقاري ج ٣ ص ١١ و ١٣ والجامع الصغير حديث رقم (٧٨٨٩) ومسند أحمد (ط دار الحديث في القاهرة) ج ٨ ص ٢٧٥ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢١٠.

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٧ وأضواء على السنة المحمدية لمحمود أبي رية ص ٢١٨ وشيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبي رية ص ٢٣٧ والغارات للثقيفي ج ٢ ص ٦٥٩ وخلاصة عبقات الأنوار للثقيفي ج ٣ ص ٢٥٥ والنص والإجتهاد ص ٥١٤ وكتاب الأربعين لمحمد طاهر الشيرازي ص ٢٩٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٤٥.

(٢) الإيضاح لابن شاذان ص ٤٩٦ والغارات للثقيفي ج ٢ ص ٦٦٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٨ وأضواء على السنة المحمدية لمحمود أبي رية ص ٢٠٤ =

٣٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وقد وضع معاوية قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيصة في علي «عليه السلام»، تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يرغب فيه، فاختلفوا ما أرضاه. منهم أبو هريرة^(١).

ثانياً: لو صح هذا الحديث، فلعل أبا هريرة قد دلس فيه، ورواه عن شخص آخر. ويكون صدور هذا الحديث عن النبي «صلى الله عليه وآله» قبل رد الشمس لعلي «عليه السلام» في خيبر وفي بدر..

ثالثاً: إن هذا الحديث لو صح: فإنما ينفي حبس الشمس لغير يوشع، ولا ينفي ردها..

رابعاً: قد روي حبسها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» صبيحة الإسراء، وفي الخندق^(٢).

خامساً: قد حبست الشمس، وردّت لغير رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، فقد روي: أنها حبست لداود «عليه السلام».

= وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ١٦٠ وشيخ المضيرة أبو هريرة، لمحمود أبي رية ص ١٣٥ عن سير أعلام الذهبى ج ٢ ص ٤٣٥. وراجع: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦.

- (١) المناقب للخوارزمي ص ٢٠٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٦٣ و ٦٤.
- (٢) راجع: عمدة القاري ج ١٥ ص ٤٢ و ٤٣، وراجع: فتح الباري ج ٦ ص ١٥٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢٠٢ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨٣ ونسيم الرياض ج ٣ ص ١١ و ١٢ و ١٣ وبهامشه شرح الشفاء للقاري ج ٣ ص ١٣ وفيض التقدير ج ٥ ص ٤٤٠ والبحار ج ١٧ ص ٣٥٩ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢١٠ و ٢١١.

الفصل الأول: فتح وادي القرى.. ورد الشمس ٣٣

وردت لسليمان «عليه السلام».

وحبست لموسى «عليه السلام».

وزعموا: أنها حبست لأبي بكر.

وحبست في أيام حزقيل.

وزعموا: أنها حبست للحضرمي^(١).

سادساً: قال الشافعي: إن الشمس إذا كانت قد حبست ليوشع ليالي

قتال الجبارين، فلا بد أن يقع نظير ذلك في هذه الأمة أيضاً^(٢).

الذين يرون المعجزة:

وبعد.. فإن الذين يجب أو يمكن أن يروا المعجزة هم:

إما الصفوة الأخيار، الذين تزيدهم يقيناً وإيماناً.

وإما الذين يراد إقامة الحجة عليهم، أو ردّ التحدي الوارد من قبلهم،

وتحطيم كبريائهم، وبغيهم.

ويراها أيضاً أولئك الذين خدعوا بهؤلاء، من أجل تعريفهم بزيغهم،

وبياطلهم، وجحودهم..

وأما الآخرون الغافلون فقد يجب أن لا يراها الكثيرون منهم، وهم

الذين يصابون بالخوف، والهلوع، الذي يُفقدُ إيمانهم قدرته على التأثير في

جلب المثوبة لهم، لأن المناطق في جلب المثوبة هو الاختيار، البعيد عن أجواء

(١) راجع كتابنا: رد الشمس لعلي «عليه السلام» ص ٦٣ - ٦٥ للاطلاع على بعض

تفاصيل ذلك، وعلى بعض مصادره.

(٢) نسيم الرياض ج ٣ ص ١٢ والآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٤١.

٣٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
الإلجاء، والاضطرار، ليكون إيماناً مستنداً إلى الوعي والالتفات، وإلى
القناعة الناتجة عن روية وتبصر، وعن تأمل وتفكر، ووعي وتدبر.

إختلال النظام الكوني:

وقد زعموا أيضاً: أن رد الشمس لعلي «عليه السلام» غير ممكن، لأنه
يوجب اختلال الأفلاك^(١).

ونقول:

أولاً: إن أمر الكون بيد الله تعالى، فهو يخضعه للمعجزة، دون أن
يوجب حدوثها أي اختلال في نظامه.. لأن صانع المعجزة هو إله قادر عالم
حكيم.. وليس عاجزاً ولا جاهلاً.

ثانياً: إن هذا الكلام لو صح للزم تكذيب جميع المعجزات التي لها
ارتباط بالنظام الكوني، ومن ذلك معجزة انشقاق القمر. ومعجزة حبس
الشمس ليوشع. وغير ذلك..

لو ردت لعلی ﷺ لردت للنبي ﷺ:

وقالوا: لو ردت الشمس لعلي «عليه السلام» لردت للنبي «صلى الله
عليه وآله»، حينما نام هو وأصحابه عن صلاة الصبح في الصهباء، وهو
راجع من غزوة خيبر نفسها^(٢).

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٥ والبحار ج ٤١ ص ١٧٥ وتذكرة الخواص
ص ٥٢ وعن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٥٩-٣٦٥.

(٢) البداية والنهاية ج ٦ ص ٧٩ و ٨٠ و ٨٧ و راجع: منهاج السنة ج ٤ ص ١٨٧ و ١٨٩.

ونقول:

أولاً: تقدم: أن حديث نوم النبي «صلى الله عليه وآله» عن صلاة الصبح لا يمكن قبوله.

ثانياً: تقدم أيضاً: أن الشمس ردت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة الخندق وغيرها، وحبت له «صلى الله عليه وآله» حين الإسراء.

وتقدم أيضاً: أنها ردت وحبت لغيره من الأنبياء والأوصياء السابقين.. بل زعموا: أن ذلك قد حصل لغير هؤلاء أيضاً من هذه الأمة، حيث تقدم أنهم زعموا: أنها حبت للحضرمي، ولأبي بكر أيضاً.

ثالثاً: قال الخفاجي: «إنما ردت إلى علي «عليه السلام» ببركة دعائه «صلى الله عليه وآله». مع أن كرامات الأولياء في معنى معجزات الأنبياء». إلى أن قال: «مع أن المفضل قد يوجد فيه ما لا يوجد في الفاضل. كما يلزم منه القول بعدم حبسها ليوشع»^(١).

ولعله يقصد بقوله: قد يوجد في المفضل ما لا يوجد في الفاضل: أن بعض المصالح قد توجب حدوث أمر للمفضل، ولا يكون هناك ما يوجب حدوثه للفاضل..

فإذا كان هناك من سوف يعاند علياً «عليه السلام» في إمامته، وفي خصوصيته، وفي أفضليته على البشر جميعاً، باستثناء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن الله يختصه بكرامات تثبت لهم ذلك كله، وتقيم عليهم الحجة فيهم، فيولد علي «عليه السلام» في الكعبة، ولا يولد رسول الله

٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

«صلى الله عليه وآله» فيها، ويقطع علي «عليه السلام» باب حصن خير، وتردد له الشمس و.. و.. الخ.. ولا يكون هناك ما يقتضي حدوث ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

علي ﷺ لا يترك الصلاة:

وقالوا: إن علياً «عليه السلام» أجلُّ من أن يترك الصلاة^(١). فإذا ورد ما ينسب ذلك إليه، فلا بد من ردّه.

ونقول:

أولاً: صرح النص الذي ذكر رد الشمس لعلي «عليه السلام» في منزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المدينة، بأن علياً «عليه السلام» قد صلى إيماءً، وأراد الله أن يظهر كرامته، فردها عليه ليصلي صلاة المختار.

ثانياً: ذكرت بعض النصوص: أن الله تعالى رد الشمس عليه، أو حبسها له بعدما كادت تغرب.

وهذا معناه: أن صلاة العصر لم تكن قد فاتته، لأن وقتها يمتد إلى وقت غروب الشمس.

وقد قال ابن إدريس في السرائر: «ولا يحل أن يعتقد أن الشمس غابت، ودخل الليل، وخرج وقت العصر بالكلية، وما صلى الفريضة «عليه السلام»، لأن هذا من معتقده جهل بعصمته «عليه السلام»، لأنه يكون مخلاً بالواجب المضيق عليه. وهذا لا يقوله من عرف إمامته، واعتقد

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ١٨٦ و ١٩٥.

الفصل الأول: فتح وادي القرى.. ورد الشمس ٣٧
بعصمته»^(١).

وعلى كل حال: فإن مناوئي علي «عليه السلام» قد سعوا بكل ما لديهم من طاقة وحول إلى إبطال هذه الكرامة الكبرى له «عليه السلام»، أو إثارة الشبهات والتشكيكات حولها، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، ولو كره الشائتون، والحاقدون، والحاسدون لعل «عليه السلام»، وللأئمة الطاهرين من ولده «عليهم السلام»..

فمن أراد الاطلاع على المزيد مما يرتبط بهذا الموضوع، فليرجع إلى كتابنا الموسوم بـ: «رد الشمس لعل عليه السلام»، والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

عصى الرسول ﷺ فوجد ما يكرهه:

ولما انتهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الجرف ليلاً، نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً، فطرق رجل أهله، فرأى ما يكره، فخلى سبيلها ولم يهجر، وضمنَ بزوجه أن يفارقها، وكان له منها أولاد، وكان يحبها، فعصى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأى ما يكره^(٢).

جبل أحد يحبنا ونحبه:

قالوا: ولما نظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى جبل أحد، قال:

(١) راجع: السرائر ج ١ ص ٢٦٥ والبحار ج ٨٠ ص ٣١٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٥٠ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤١٤.

«هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إني أحرم ما بين لابتي المدينة»^(١).

ونقول:

١ - قد يحب الإنسان جبلاً أو مكاناً بعينه، باعتبار أنه مصدر أنس له، لكونه يتلذذ بمنظره، أو لأجل ذكريات عزيزة كانت له فيه، أو ما إلى ذلك.. ولكنها تبقى حالة مرتبطة بالفرد، وبمشاعره الشخصية، ولا تتعداه إلى غيره..

ولا نرى أن حب النبي «صلى الله عليه وآله» لجبل أحد كان من أجل هذا أو ذاك، بل هو حب يتناسب مع أهدافه «صلى الله عليه وآله»، ومع ما يفيد في تأييد هذا الدين، وزيادة اليقين.

٢ - يضاف إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يحصر الأمر بنفسه الشريفة، بل هو تحدث عن نفسه وعن غيره، فقال: نحبه، ولم يقل: أحبه. وقال: يحبنا. ولم يقل: يحبني.

وهذا يؤكد على أن في جبل أحد خصوصية ومعنى يجعل الإنسان المؤمن

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣٦٨ وج ٥ ص ١٥٠ وراجع: الأحكام ج ٢ ص ٥٤٦ وعن كتاب الموطأ ج ٢ ص ٨٨٩ و ٨٩٣ وعن مسند أحمد ج ٣ ص ١٤٩ و ١٥٩ و ٢٤٣ وعن صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢٣ و ٢٢٥ وج ٤ ص ١١٨ وج ٥ ص ٤٠ وج ٦ ص ٢٠٧ وج ٨ ص ١٥٣ وعن صحيح مسلم ج ٤ ص ١١٤ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٧٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ١٩٧ وج ٦ ص ٣٠٤ وج ٩ ص ١٢٥ وعن فتح الباري ج ٦ ص ٦٤ وتحفة الأخوذ ج ١٠ ص ٢٩٢ ومسند أبي يعلى ج ٦ ص ٣٧٠ و ٣٧١ وشرح معاني الآثار ج ٤ ص ١٩٣ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٧٨ وذيل تاريخ بغداد ج ٣ ص ٦٩ وفضائل المدينة ص ٢١.

يجب هذا الجبل.. فما هي تلك الخصوصية، وما هو ذلك المعنى يا ترى؟! وربما يفيد في الإجابة على هذا السؤال القول: بأن هذا الجبل كان يحتضن أجساداً طاهرة لشهداء أحد، وفي مقدمتهم أسد الله وأسد رسوله الشهيد حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد كانت الزهراء «عليها السلام» تزور قبورهم بصورة رتيبة ودائمة، وقد صنعت سبحتها من تراب قبر حمزة «عليه السلام».

كما أن لجبل أحد ارتباطاً ظاهراً بوقائع حرب أحد، فإن الاستناد إليه قد وفرّ مانعاً لجيوش الشرك من الالتفاف على أهل الإيمان، والإيقاع بهم.

فلأجل هذا وذاك لا بد أن تتعلق به قلوب المؤمنين، وأن يحبوه، وأن يقصدوه لزيارة الأولياء والشهداء.

٣ - وأما أن جبل أحد يحب النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، فذلك أمر قد يصعب إدراكه للوهلة الأولى، غير أن مما لا شك فيه: أن كل شيء يتعامل معه الإنسان بروح الاستقامة والطهر، والتقوى، يتأثر إيجاباً بالصلاح وبالطهر، والتقوى، وكذلك يتأثر سلباً بالفساد والإفساد، فإن لخبث الباطن ولطهره تأثيرهما على الأرواح والأجساد، بل على النفس الذي يتنفسه، وعلى الأشياء التي يلامسها. وعلى الهواء الذي يستنشقه وما إلى ذلك..

ولعل في بعض الآيات الشريفة إشارات إلى ذلك أيضاً، فلاحظ قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ...﴾^(١) وغير ذلك

من آيات..

وفي الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن آثار الأعمال وعن تأثيراتها في الأمور الخارجية الكثير مما يدل على ذلك، فبسبب الأعمال الصالحة يكون النماء والبركة، وبسبب الأعمال السيئة تسلب البركة، وتشح الأرزاق، وتظهر الأسواء في كل اتجاه.. بل إن للنوايا الصالحة والسيئة تأثيراتها في ذلك أيضاً..

ولا شك أن ما ترتاح إليه الموجودات وتنتعش فيه، وتمتلئ حيوية ونشاطاً هو ما ينسجم مع طبيعتها، ومع الهدف الذي أوجدها الله تعالى من أجله..

ومن جهة أخرى فإن الآيات قد دلت على أن للجبال خشية وخشوعاً إلى حد التصدع، وإلى أن لها تأويلاً وتسبيحاً، وإلى أن تجلي شيء من عظمة الله تعالى للجبل يجعله دكاً..

إلى غير ذلك مما ألمحت إليه وصرحت به الآيات والروايات الشريفة، فلا غرو إذن إذا كان جبل أحد يحب النبي «صلى الله عليه وآله»، ويحب المؤمنين، ويبغض أهل الكفر والجحود، ويمقت المنحرفين والفاستين..

الفصل الثاني:

سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء

در کتابخانه ملی و اسنادخانه

کتابخانه ملی و اسنادخانه

سرية عمر إلى تربة:

يقول المؤرخون: إنه في شعبان سنة سبع بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً إلى بني نصر بن معاوية، وبني جشم بن بكر. وهم الذين يقال لهم: «عجزُ هوازن»^(١)، أرسله إلى موضع يقال له: تربة، على أربع ليال من مكة، على طريق صنعاء ونجران^(٢).

لكن هناك من يقول: إنه واد على يومين من مكة، يصب في بستان ابن عامر^(٣).

فخرج بهم عمر، ودليه رجل من بني هلال، فكانوا يسرون بالليل،

(١) راجع: القاموس المحيط ج ٢ ص ١٨١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٥ و ١٨٦ وعن الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٧ وج ٣ ص ٢٧٢ وتاريخ المدينة ج ٢ ص ٦٦٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٣٠٨ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥١ وعن عيون الأثر ص ٢ ص ١٥٣ وعن سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٣٠ ولسان العرب ج ٥ ص ٣٧٢ وتاج العروس ج ٤ ص ٥٢.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٨٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٦ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥١ وتاج العروس ج ١ ص ١٥٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٣٠.

ويكمنون بالنهار. وأتى الخبر هوازن فهربوا.

وجاء عمر إلى محالهم، فلم يلق منهم أحداً.

وانصرف راجعاً إلى المدينة، فلما كان بالجدر - موضع على ستة أميال من المدينة - قال له الهلالي: هل لك في جمع آخر تركته من خثعم، جاؤوا سائرين قد أجذبت بلادهم؟!

فقال عمر: لم يأمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهم، إنما أمرني أن أصمد لقتال هوازن بترية. وواصل طريقه إلى المدينة^(١).

ونقول:

لنا ملاحظات عديدة، نذكر منها ما يلي:

١ - إننا نعطي الحق لعمر في امتناعه عن مهاجمة الخثعميين، الذين لم يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بشيء في شأنهم، ونود أن يكون الحفاظ على حافية أوامره «صلى الله عليه وآله» هو الداعي له إلى ذلك، وليس هو الخوف من أن يحيق به مكروه في ساحات الحرب والنزال، فقد تعودنا منه النكوص والإحجام عن مثل هذه الساحات..

ولعل ما يعزز هذا الاحتمال الأخير: أننا وجدناه لا يلتزم بحرفية الأوامر في كثير من المواقع والحالات، بل هو يصر على مخالفتها. ومن ذلك تمرده على أوامر النبي يوم الحديبية وقبلها ومنعه للنبي «صلى الله عليه وآله»

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٣٠

وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٠ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥١ والسيرة النبوية

لابن كثير ج ٣ ص ٤١٨.

من كتابة كتاب لا تفضل الأمة بعده أبداً، وقوله: إن النبي غلبه الوجع، أو إن النبي ليهجر، أو نحو ذلك..

وقد تقدم عن قريب، كيف أنه يأمر بقتل يهودي، وجده في نوبة حراسته، دون أن يراجع النبي «صلى الله عليه وآله» في ذلك.

٢ - إن مشورة ذلك الدليل على عمر بمهاجمة الخثعميين تشير إلى أن هؤلاء كانوا يظنون أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرسل هذه السرايا لأجل السلب والنهب، والقتل، والأسر.. مع أن الأمر ليس كذلك، بل الهدف هو دفع العدوان حين يتبين له «صلى الله عليه وآله» أنهم يخططون، ويدبرون لهذا الأمر، ويجمعون الجموع له..

٣ - إن توصيف الموضع الذي قصده عمر بن الخطاب يدل على أنه بعيد كثيراً عن المدينة، وأن الوصول إليه يتطلب السير الحثيث لعدة أيام. فإذا فرض أن هؤلاء القوم كانوا يدبرون ويجمعون لشن الغارات على المدينة، أو على أطرافها، أو على جماعات من المسلمين الذين كانوا في مناطق قريبة لهم.. فلا بد أن يكون عددهم كثيراً، يمكّنهم من القيام بأمثال تلك التحرشات الخطيرة. فما معنى أن يهربوا، ويخلوا أماكنهم بمجرد سماعهم بأن ثلاثين راكباً يقصدونهم؟!

بل إنهم حتى لو لم يكونوا قد حشدوا واجتمعوا، فإن هروب هوازن من ثلاثين راكباً ليس له ما يبرره، خصوصاً وأن أمير السرية هو عمر بن الخطاب، وليس علي بن أبي طالب «عليه السلام»، أسد الله الغالب، الذي كان يعرف كل أحد أن مواجهته في أي موقع، وموقف لن تعود عليه بالخير.. وقلعه لباب خير، وقتله لمرحب فارس اليهود، ولعمرو بن عبد

٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

ود، فضلاً عما سوى ذلك، لا يزال الناس يتداولونه، ويتناقلونه في مجالس الأسفار والأسفار..

٤ - إن إرسال سرية بهذا العدد القليل والضئيل إلى تلك البلاد البعيدة، التي يتمكن الأعداء من محاصرتها بكثراتهم، وقطع المدد عنها، ومنعها من الاتصال بالمدينة، التي هي مصدر قوتها، ثم الإيقاع بها، والقضاء عليها بسهولة.. إن ذلك أمر غير عقلائي، ولا يتوقع صدوره من عقل الكل، ومدبر الكل، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولم يكن لدى عمر صيت ذائع في الشجاعة، لترهبه الأبطال، وتهرب من وجهه الجموع.

ولا نظن أنه كان لديه من الشجاعة والإقدام ما يدفعه إلى الإقدام على مخاطرة من هذا القبيل.. وقد تعودنا منه الفرار من الزحف، والنكوص عن منازل الأقران في أكثر من موقف وموقع.. على الرغم من وجود المسلمين ورسول الله «صلى الله عليه وآله» معه، أو بالقرب منه..

ولأجل ذلك كله نقول:

لو صح أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أرسل سرية بهذه المواصفات، فلا بد أن تكون سرية استطلاع واستكشاف، لا سرية قتال ونزال.. أو يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعلم بأن أحداً سوف لا يجرؤ على التعرض لسراياه، بعد أن رأى الجميع ما جرى في خيبر، فأرسل هذه السرايا ليظهر لهم حضوره في المنطقة، وهيمته على الموقف..

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء ٤٧
سرية أبي بكر إلى نجد:

وقالوا: إنه في شعبان سنة سبع، بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله»
أبا بكر إلى نجد، فبيّت ناساً من هوازن، قال حمزة: فسينا هوازن، وقال
هشام: فسبى ناساً من المشركين، فقتلناهم.
قال سلمة بن الأكوع: فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات، وكان شعارنا:
أمت، أمت^(١).

ونقول:

إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة هذه القصة، التي وردت على هذا النحو
من الإبهام، والإيهام، حيث لم يذكر عدد أفراد تلك السرية، ولا الموضع
الذي أرسلها النبي «صلى الله عليه وآله» إليه من نجد، ولا السبب الذي
أرسلت تلك السرية من أجله، ولا.. ولا.. الخ..
خصوصاً ونحن نرى سلمة بن الأكوع يتحدث عن نفسه، ويسطر لها
البطولات الخارقة، التي لم يذكرها له أحد سواه، ولكنها ليست بطولات في
ساحات الحرب والنزال، بل هي صولات على أسرى مغلولي الأيدي، لا

(١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٢٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٨٥ و(ط
دار صادر) ج ٢ ص ١١٨ وج ٣ ص ١٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٩٢ و
١٣١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٦ وشرح النهج
للمعتزلي ج ١٧ ص ١٩٩ وعن مسند أحمد ج ٤ ص ٤٦ وعن سنن أبي داود ج ١
ص ٥٩٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٩ والمصنف للصنعاني ج ٧
ص ٦٤٧ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٤٨ و ٥٢ و ٥٣ وعن الكامل ج ٥
ص ٢٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٢ ص ٩٢ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٢٧.

يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.

واللافت هنا: أنه حتى هذه الصولات على الأسرى لم يتحدث عنها، سوى سلمة بنفسه، فلم يذكر لنا أبو بكر، ولا أحد من أفراد تلك السرية شيئاً عن هؤلاء الذين قتلهم هذا البطل العظيم، الذي يريد أن يجعل مما ينسبه لنفسه حديث النوادي، ومجالس السمر، من أول الليل إلى وقت السحر!! ثم إنه إذا كان سلمة قد قتل وحده سبعة أهل أبيات، فكم قتل غيره من أفراد تلك السرية يا ترى؟!

ولماذا لم يتحدث التاريخ لنا بالتفصيل عن هذا الحدث الكبير؟!

وهل جاؤوا بغنائم؟! وما هو مقدارها؟!

ولماذا أوجل حمزة الكلام، فأشار إلى السبي بصورة مطلقة؟!

بل إن كلمة حمزة ظاهرة في أنهم قد سبوا معظم هوازن، حيث قال:

فسبينا هوازن، وهذا حدث عظيم، فلماذا لم يذكره غير حمزة؟!

بطولات سلمة بن الأكوع:

وذكر سلمة هنا أيضاً: أنه لقي جماعة منهم يهربون إلى الجبل، فرمى

بسهم بينهم وبين الجبل، فوقفوا، فأتى بهم إلى أبي بكر يسوقهم، وفيهم

امرأة من بني فزارة مع ابنة لها من أحسن العرب، فأخذ أبو بكر ابنتها،

وقدموا المدينة، وما كشف لها ثوباً.

فلقيه النبي «صلى الله عليه وآله» في السوق مرتين في يومين، فطلبها منه

رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: هي لك يا رسول الله.

فبعث بها إلى مكة، ففدى بها ناساً من أسرى المسلمين^(١).

ونقول:

إن هذه القصة بعينها - تقريباً - قد تقدمت في غزوة أم قرفة، التي يقال: إنها كانت في شهر رمضان من سنة ست، وقد ذكرنا هناك ما يشير إلى عدم إمكان الاطمينان إلى صحتها، فراجع..

قتل سبعة أهل أبيات:

ربما يقال: إن قول بعضهم: فسبى ناساً من المشركين فقتلناهم، فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين يدل على أنهم قتلوا أولئك الذين وقعوا في السبي، فيأتي السؤال أولاً عن سبب قتلهم بعد سبيهم.

ثانياً: هل قتل سبعة أهل أبيات بما في ذلك النساء والرجال والشيخ والأطفال؟ أم اقتصر القتل على المقاتلين منهم؟!

وقد يجاب، بأنه:

ربما لم يقتلهم بعد سبيهم، إذ يمكن أن يكون الضمير وهو كلمة «هم»

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٠ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٢٢ وعن الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٨ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٤ وعن سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٩٢ ونيل الأوطار ج ٥ ص ٢٦٢ وعن مسند أحمد ج ٤ ص ٤٦ و ٥١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٢٩ وتحفة الأحوذى ج ٤ ص ٤٢٢ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٠٠ والمعجم الكبير ج ٧ ص ١٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٢ ص ٩٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤١٧ وعن سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٩٢.

٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

في قوله: «فقتلناهم» عائداً على المشركين الذين أرسلوا للإغارة عليهم.

وهو جواب ضعيف يخالف ظاهر الكلام، كما هو واضح.

أو يقال: إنها تطلق على خصوص سبي النساء، لكن يصح إطلاقها أيضاً على كل من يؤخذ حياً من الأعداء بما في ذلك الرجال والنساء.

ويشهد له قول علي «عليه السلام» لما اعترض البعض عليه لعدم إقدامه على أخذ سلب عمرو بن عبد ود، وهو أنفس سلب: كرهت أن أبزّ السبي ثيابه.

فعبّر عن الذي قد استولى عليه وقهره، ثم قتله بأنه سبي.

فقوله: سبي ناساً من المشركين معناه: أنه أسر ناساً منهم.. وربما يكون في جملتهم نساء وشيوخ، وأطفال أيضاً.

وبعد ما تقدم نقول:

يحتمل أن يكون سلمة قد قتل سبعة أهل أبيات بما في ذلك النساء، والرجال، والشيوخ، والأطفال، وإن لم يقاتله إلا رجالهم، ويحتمل أن يكونوا قاتلوه نساءً ورجالاً وأطفالاً، فقتلهم من أجل ذلك.

سرية بشير بن سعد إلى فدك:

ويذكرون أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث في شعبان سنة سبع بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة بفدك، فلقي رعاتهم فسألهم عنهم، فقالوا: هم في بواديهم (أو نواديهم، أو واديهم). والناس يومئذ شاتون، لا يحضرون الماء.

فاستاق النعم والشاء، وعاد بها إلى المدينة، فخرج الصريخ، فأدركوه عند

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمره القضاء ٥١

الليل، فباتوا يرامونهم بالنبل، حتى فنيت نبل أصحاب بشير، وأصبحوا، وحمل بنو مرة عليهم، فقتل من أصحاب بشير من قتل، وهرب من هرب، (وقتل كثير من الصحابة).

وقاتل بشير قتالاً شديداً حتى ارتث، وضرب كعبه، ووقع في القتلى، وقيل: قدم مات.

ورجع بنو مرة بنعمهم، وشائهم إلى بلدهم..

ووصل خبر ما جرى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أوصله إليه علبة بن زيد الحارثي.

وأهل بشير بن سعد، وهو في القتلى، فلما أمسى تحامل حتى أتى فذكاً، فأقام عند يهودي بفدك أياماً حتى ارتفع من الجراح، ثم رجع إلى المدينة^(١).

فلما علم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما جرى، قرر اتخاذ موقف حاسم، فكانت:

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٢٣ و ٧٢٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٠ و ٦١ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٣٢ والبحار ج ٢١ ص ٤٨ عن الكامل لابن الأثير، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٦ وعن الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٩ وج ٣ ص ٥٣١ وعن الثقات ج ٢ ص ٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٠ ص ٢٨٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠٨ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٥ وراجع: تاريخ خليفة بن خياط ص ٤٦ والتنبيه والإشراف ص ٢٢٧ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٤.

سرية غالب الليثي إلى فذك:

فقد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هياً الزبير بن العوام، فقال له: سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير، فإن ظفرك الله بهم فلا تبق فيهم (وأمره أن يستأصلهم).

وهياً معه مائتي رجل، وعقد له اللواء، فبينما هو على ذلك إذ قدم غالب بن عبد الله من الكديد، بعد أن ظفره الله، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» للزبير: اجلس.

وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل، كان فيهم أسامة بن زيد، وكعب بن عجرة، وعلبة بن زيد، وغيرهم.

فلما دنا غالب من بني مرة بعث الطلائع، فبعث علبة بن زيد في عشرة ينظر إلى جماعة منهم في محالهم، فرجعوا إليه، فأخبروه. فأقبل غالب يسير، حتى إذا كان منهم بمنظر العين ليلاً، وقد احتلبوا، وعطنوا^(١)، وهدأوا، خطب أصحابه. ثم ألف بين كل رجلين، وشرط أن لا يفارق كل رجل زميله.

ثم كبر وكبروا، وأخرجوا السيوف، فخرج إليهم الرجال، فقاتلوا ساعة، فوضعوا السيوف فيهم حيث شاؤوا.

وفي نص آخر: أغاروا عليهم مع الصبح، وقاتلوا قتالاً شديداً، وقتل كثير من المشركين، وأخذ المسلمون كثيراً من الأسارى، والإبل والغنم، فكانت سهام كل رجل عشرة أبعة، أو عدلها من الغنم، (كل جزور بعشرة من الغنم).

(١) أي: سقوا الإبل، ثم أناخواها وحبسوها عند الماء (لسان العرب ج ١٧ ص ١٥٨).

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمره القضاء ٥٣

وخرج أسامة بن زيد في أثر رجل منهم، يقال له: نبيك بن مرداس فأبعد.

ثم أخذوا النعم، والنساء، فقال غالب: أين أسامة؟! فجاء بعد ساعة من الليل، فذكر لهم: أنه لحق برجل، حتى إذا رهقه بالسيف قال: لا إله إلا الله.. ولكن أسامة قتله رغم ذلك. قال أسامة: فأتيت إلى المدينة، فاعتنقني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقبّلني، واعتنقته. ثم ذكر أنه أخبره بها جرى، فقال «صلى الله عليه وآله»: قتلت يا أسامة، وقد قال: لا إله إلا الله؟.

قال فجعلت أقول: يا رسول الله، إنها قالها تعوداً من القتل. فقال «صلى الله عليه وآله»: ألا شقت قلبه، فتعلم أصادق هو أم كاذب؟!

فقال أسامة: لا أقتل أحداً يقول لا إله إلا الله. قال أسامة: وتمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ^(١).

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٢٣ و ٧٢٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٧ و ٦٨ عن معالم التنزيل، وعن روضة الأحياء، والبحار ج ٢١ ص ٦٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٦ و ١٨٧ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٨ و ج ٨ ص ٣٦٨ وعن صحيح مسلم ج ١٠ ص ٦٨ وشرح مسلم للنووي ج ٢ ص ١٠٠ والديباج على مسلم ج ١ ص ١١٢ ورياض الصالحين للنووي ص ٢٣١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٣ و ٣١٦ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٦ والمحلى لابن حزم ج ٧ ص ٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٢٣ وعن النص والاجتهاد =

ومن جهة أخرى: فقد روي عن المقداد بن عمرو، قال: قلت يا رسول الله: أرايت رجلاً من الكفار يقاتلني، وضرب إحدى يديّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أقتله بعد أن قالها؟! فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تقتله.

قال: فإني قتلته، فماذا؟!

قال: فإنه بمنزلك التي كنت بها قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال^(١).

= ص ١١٢ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ٢٠٠ أسباب نزول الآيات ص ١١٧ وعن فتح الباري ج ١٢ ص ١٧٢ وعن سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٩٢ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٥٧ وراجع: روضة الطالبين ج ٧ ص ٢٨٨ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٨٧ والمعجم الكبير ج ١٩ ص ١٦٥ وعن تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٢٢.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٢٥ و ٧٢٦ وكتاب الأم ج ١ ص ٢٩٦ وج ٦ ص ٤ و ١٧٠ والمغني ج ١٠ ص ١٠٢ والشرح الكبير ج ١٠ ص ٩٤ ونيل الأوطار ج ٧ ص ١٩٨ وعن كتاب المسند ص ١٩٧ وعن مسند أحمد ج ٦ ص ٤ و ٦ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ١٩ وج ٨ ص ٣٥ وعن صحيح مسلم ج ١ ص ٦٧ وشرح مسلم للنووي ج ٢ ص ٩٨ وعن سنن أبي داود ج ١ ص ٥٩٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٩ و ١٩٥ والديباج على مسلم ج ١ ص ١٠٩ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٧٥ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٥٥ والمعجم الكبير ج ٢٠ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥١ ورياض الصالحين ص ٢٣٠ وكنز العمال ج ١ ص ٩٧ وإرواء الغليل ج ٨ ص ١٣٦ وأحكام القرآن ج ٢ ص ٣٠٩ وتهذيب الكمال ج ١٩ ص ١١٦ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٨٦ وعن سبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٣٠١.

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء ٥٥
ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات عديدة، نكتفي منها بما يلي:

أين تقع فذك؟!

ذكر بعضهم: أن المقصود بفذك هنا: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال^(١).

وهو كلام غير دقيق، فإن فذكاً تقع على بعد يومين أو ثلاثة من المدينة. بل في بعض النصوص: أنها على ستة ليال من المدينة^(٢).

لماذا ثلاثون رجلاً؟!

ويعود السؤال لطرح نفسه من جديد، ولكنه مزود هذه المرة بالشاهد القوي، والقاطع للعدر، فيقول: إذا كان التغلب على بني مرة في فذك يحتاج إلى مائتي مقاتل، كما ظهر من تجهيز هذا العدد بقيادة غالب بن عبد الله، فلماذا يرسل النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً فقط؟! وإذا كان بنو مرة قد واجهوا المائتين، وقتلوههم، فهل سوف يتركون ثلاثين رجلاً يستاقون نعمهم، دون أن يلاحقوهم، وينزلوا بهم ضرباتهم

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٦ وعن سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٦٩ و ٤١١.

(٢) راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٢٨٠ وعن الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٩٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٠ ص ٣٠٠ والتنبيه والإشراف ص ٢١٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٣ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٠٧ وعن سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٩٧.

القوية والمهلكة؟!

ويزداد هذا الأمر وضوحاً إذا لوحظ: أن المقصود بالهجوم هو أناس يبعدون عن المدينة مسافات طويلة، تحتاج إلى مسير ثلاثة أيام!! فكيف إذا كانوا في محيط اليهود المعروفين بغدرهم وخياناتهم، وبحقدهم على أهل الإسلام؟! وبالأخص إذا كان ذلك قد حصل بعد أن أوقع المسلمون بهم، وهزموهم شر هزيمة؟!

أهداف تلك السرية:

قلنا أكثر من مرة: إننا لا نتعقل أن يكون هدف النبي «صلى الله عليه وآله» من إرسال تلك السرايا هو مجرد الإيقاع بالناس، وقتل رجالهم، وسبي نسائهم وأطفالهم، واستياق مواشيهم، واستلاب أموالهم من دون دعوة مسبقة لهم إلى الله تعالى، كما هي عادته «صلى الله عليه وآله».. حتى إنه «صلى الله عليه وآله» في آخر غزواته ليهود وادي القرى، كان يعاود الدعوة لهم عند كل صلاة، وبعد قتل كل رجل منهم^(١)، فما معنى أن يرسل بالسرايا لتغير على الآمنين، وتأخذ الناس على حين غرة، وتقتلهم، وتسبي نساءهم وأطفالهم، وتأخذ أموالهم، وتستاق مواشيهم؟! إننا من خلال كل ما قدمناه وسواه نرى: أن هذه السرايا هي سرايا دعوة إلى الله، وبعضها كانت مهمته الرصد والرقابة.. حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة.

ذكر النص المتقدم: أن بني مرة لحقوا المسلمين في أول الليل، فباتوا يرامونهم بالنبل، حتى فئيت نبال أصحاب بشير..

والسؤال هو: لماذا لم يغتنم أصحاب بشير الفرصة، ويتخذوا الليل جلاءً للنجاة بأنفسهم، إذا كانوا يعلمون أنهم لا يقدرّون على المواجهة؟! وأن مصيرهم سيكون هو البوار والدمار؟!

إذ إنهم بعد أن فني نبلهم ليلًا لا بد أن يعرفوا: أنهم في خطر أكيد، وضيق شديد، فإما أن يستعملوا خطة أخرى، أو أن يتحيزوا إلى فئتهم، لكي يأتوا بقوة قادرة على حسم الأمور لصالحهم.

من هم القتلى؟!!:

وقد تعودنا من المؤرخين، ومن رواة المسلمين أن يذكروا أسماء قتلاهم في الحروب المختلفة، فراجع حرب بدر، وأحد، وخيبر، وغير ذلك، بل هم يذكرون أسماء القتلى من المشركين وغيرهم من أعدائهم أيضاً، فما بالهم لم يذكروا أسماء ولا عدد من قتل في سرية بشير بن سعد هذا؟!

ولابد أن تتنامى توقعاتنا لذلك، ونحن نرى مدى اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بالانتقام لهم، حتى إنه يبادر إلى تجهيز جيش، وإرساله لهذا الغرض.

بشير بن سعد الجريح الناجي!!:

ونلاحظ هنا أيضاً: أن هذا الذي ذكره عن بشير بن سعد، من أنه

ضرب كعبه، فظنوا موته، ثم نجا بنفسه؛ قد ذكر ما يشبهه في سرية أخرى، هي سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة في ذي القصة.. وجاء فيها:

أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث محمد بن مسلمة في عشرة إلى بني ثعلبة، فورد عليهم ليلاً، فكمن القوم حتى نام، ونام أصحابه، فأحدقوا بهم، وهم مائة رجل، فما شعروا إلا بالنبل وقد خالطتهم، فوثب ابن مسلمة، وعليه القوس، ووثب من معه، فتراموا بالنبل ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم، فقتلت ثلاثة منهم، ثم قتلوا الباقين، ووقع ابن مسلمة جريحاً، فضرب كعبه فلم يتحرك.. فتركوهم..

ثم نجا محمد بن مسلمة بواسطة رجل مسلم مر على القتلى، فحمله حتى ورد به المدينة.

ثم إن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث أبا عبيدة في أربعين رجلاً إلى مصارعهم، فلم يجد أحداً، فاستاق نعماً ورجع^(١).

وستأتي قضية أخرى تشبه هذه القضية أيضاً، وهي سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم في سنة سبع.

ومثلها سرية ذات أطلاح أيضاً.

وهذا التشابه يلقي ظلالاً من الشك على صحة أكثر هذه النصوص.

قاتل حتى ضرب كعبه!!:

وورد في النص المتقدم كلام غير مفهوم، فقد قال: قاتل قتالاً شديداً

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٥٥١ وعن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٣ والبحار

ج ٢٠ ص ٢٩١ و ٣٠٨ وعن إعلام الوری ج ١ ص ٢٠٠.

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء ٥٩
حتى ضرب كعبه.

وقيل: قد مات..

فما هو ربط القتال الشديد بضرب الكعب؟!
وكيف أصبح ضرب الكعب هو أقصى شيء في القتال؟!
إلا أن يقال: إنه حين جرح، ضربوا كعبه، ليعرفوا موته من حياته، فلم
يتحرك.

وقيل: قد مات.. ولذلك زاد الحلبي عبارة: «اختباراً لحياته»^(١) فراجع.
ولكن لماذا تم اختيار الكعب لمعرفة موته من حياته؟!
بل لماذا يضربون كعبه، ولا يضربونه بموضع قتال، فيحصل لهم اليقين بموته؟!
إلا إن كان لهم غرض بأسره ومفاداته، أو نحو ذلك..

لماذا عدل عن الزبير؟!

لقد ذكر النص المتقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» جهز الزبير أولاً،
وعقد له اللواء، وأمره بالمسير إلى بني مرة، ولكنه عاد وأمره بالجلوس،
واستبدله بغالب بن عبد الله من دون أن يفصح عن الداعي إلى ذلك..
رغم أن غالباً كان قد قَدِمَ لتوه من سرية أخرى، ولم يسترح من عناء
السفر.. مع ملاحظة: أنهم لم يفصحوا لنا - أيضاً - عن أي شيء يرتبط بتلك
السرية التي عاد منها غالب!!

والسؤال هنا هو:

هل اعرض النبي «صلى الله عليه وآله» عن ارسال الزبير، لأن الزبير امتنع من القيام بهذه جنناً وخوراً، أو اعتذر عنها بمشاغل رأى أنها أهم من تنفيذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فإن كان الأمر كذلك فلماذا لم يذكر لنا المؤرخون..

وإن كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي انصرف عنه فالسؤال هو: هل وجد «صلى الله عليه وآله» من الزبير أي هناة تمنع من إرساله في مهمة كهذه؟!

أو أنه لم يكن أهلاً لقيادة سرية بهذه الحجم، ولها مهمة كهذه؟!
فإن كان الأمر من هذا القبيل أو ذاك، فلماذا قدمه أولاً؟
ألم يكن عالماً بعدم كفاءته، أو بالهئات التي صدرت منه؟!
وإن كان الأمر كذلك، فكيف يقدم على أمر لم يثبت فيه، ولم يستكشف حقيقته؟! ويقف على ما ينبغي له أن يقف عليه؟!
وإن كان الزبير بريئاً من كل عيب، وكان كفواً للمهمة التي رُشح لها، فلماذا نحا عنها؟!

ألا يعتبر ذلك بمثابة تشكيك في أهليته، أو الطعن في إخلاصه؟! فلماذا لم يقل أي شيء من شأنه أن يبعد الشبهة عنه؟!
أم أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يتفاهل بالنصر الذي حصل للسرية السابقة، كما يوحى به قول الراوي: «فقدم غالب بن عبد الله من سرية قد ظفره الله عليهم»؟!

ولكن هل يصح أن يكون هذا التفاؤل بقيمة إثارة الشبهات حول

٦١ الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء

الزبير، أو بقيمة تحقيره، وتصغير شأنه بين أقرانه؟!

على أن من يلاحظ السرايا وأمرائها، لا يجد للزبير ذلك النصيب الذي يتوقع من مثله!! ولا سيما فيما يتعلق بإمارة تلك السرايا، وكذلك الحال بالنسبة لعدد من أقرانه. فما هو السبب يا ترى؟!

الزبير.. وبشير بن سعد:

فهل المقصود من ذلك كله: هو تخصيص بشير بن سعد بالفضائل والكرامات، لأنه كان أول من بايع أبا بكر، وكسر شوكة ابن عمه سعد بن عبادة في يوم السقيفة؟!

أما الزبير، فكان معارضاً لهم، ومؤيداً لمن أبغضوه، وناوأوه، واغتصبوا حقه!! وإن كان قد انقلب بعد ذلك على عقبيه، فقاتل إمامه في حرب الجمل، بعد بيعته له، فقتل هو في تلك الحرب التي أثارها.

حرب إبادة:

وأغرب من ذلك كله، أن نجده «صلى الله عليه وآله» يصدر أمراً لقائد سريته، بإبادة بني مرة إن ظفر بهم. فقد زعموا: أنه «صلى الله عليه وآله» قال له: «فإن ظفرك الله بهم لا تبقي فيهم...»^(١).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٠ ص ٢٩٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٣ وعن الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٦ وعن سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٠.

أو قالوا: أمره بأن «يستأصلهم».

فهل يمكن أن يصدر أمر كهذا من نبي الرحمة، الذي يقول بعد استشهاده عمه حمزة وعشرات من أصحابه في حرب أحد: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»؟!

ولماذا هذه القسوة منه «صلى الله عليه وآله» على قوم قد جاءهم من انتهب منهم النعم والشاء، فهبوا لتخليصها واسترجاعها، ودفع المهاجمين عن أنفسهم؟!

ثم لماذا أصر المهاجمون والمغيرون على مواصلة الحرب مع بني مرة حتى قتلوا عن آخرهم؟! مع قصور الرواية التاريخية عن التصريح بشيء يدل على أن بني مرة

قد جمعوا لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو تأمروا عليه، أو نقضوا عهده، أو ما إلى ذلك!!

الغنائم والأسرى:

وبعد... فإنه إذا كان نصيب كل واحد من المقاتلين من الغنيمة عشرة أبعة، فسيكون مجموع ما غنموه من بني مرة حوالي ألفي بعير، أو عدلها من الغنم، على أن يكون مقابل كل جزور عشرة من الغنم.

فأين كانت تلك المواشي ترعى؟! وكيف كانت تؤوى؟!

ومن الذي كان يحمي تلك الأبعة والأغنام الكثيرة في ذلك المحيط الذي كان يمارس أهله الغارة والسلب في كل اتجاه؟ وكيف غفل عنها أصحاب الغارات، وطلاب اللبانات؟! وكانوا يجوبون المنطقة طولاً وعرضاً، خصوصاً

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء ٦٣
إذا كانت حاميتها ضعيفة إلى هذا الحد؟!

وكم ينبغي أن يكون هناك من الرجال، ليحموها من سباع وفرسان القبائل، برماحهم وسيوفهم؟! إذ لا بد أن يكون عدد حمايتها متناسباً مع حجم التحدي الذي يتهددها في تلك المنطقة.

وهل قتلهم جميعاً غالب ومن معه؟! أم أنه قد أسر أحداً منهم؟! مع العلم بأن الوصية له من رسول الله «صلى الله عليه وآله» هي كما زعموا: «فإن ظفرك الله بهم لا تبقي فيهم...».

ومع العلم بأن النص لم يشر إلى أسر أحد منهم، بل قال: «فوضعنا السيوف حيث شئنا منهم، ونحن نصيح بشعارنا: أمت أمت...».

إلى أن قال: «وحوينا على الحاضر، وقتلنا من قتلنا، ومعنا النساء والماشية»^(١).

وإذا كانوا قد سبوا النساء، فلا بد أن يكون عدد السبايا بلغ المئات.

ومن المتوقع أن يكون لها ذكر يتناسب مع كثرتها.

وأن يكون لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بعض الصُفَى منهن.

وأن يقع التنازع، أو التنافس في الحصول على الجميلات منهن.

أو يكون ذكر لمن في نصيبه من تُذَكَّرُ منهن بجمال، كما رأينا في مناسبات أخرى.

ولكننا لم نعر على شيء من ذلك في كتب السير، ولم نقف له على أي أثر.

قصة أسامة بنحو آخر:

وعن قصة أسامة نقول:

إنها رويت بنحو آخر، وهو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله في خيل إلى بعض قرى اليهود ليدعوهم إلى الإسلام، وكان رجل من اليهود يقال له: مرداس بن سليم، لما أحس بهم جمع إبله وماله في ناحية الجبل، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فمر به أسامة، فقتله.

ثم تذكر الرواية: ما جرى لأسامة مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وأنه «صلى الله عليه وآله» قال له: «لا ما قال بلسانه قبلت، ولا ما كان في قلبه علمت».

وفيه أنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(١).

وربما تكون هذه الرواية هي الأقرب إلى الصحة، مع ملاحظة: أنها مختصرة إلى درجة الإخلال باللوم الشديد، الذي وجهه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأسامة، وهي أوضح من الرواية الأولى التي تحاول التخفيف من قبح وبشاعة ما صدر عن أسامة، وأن تعطي أسامة منزلة خاصة من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولكننا رغم ذلك لا بد أن نتوقف قليلاً مع بعض ما ورد فيها، فنقول:

الاشققت قلبه!؟:

إن أسامة بن زيد يقتل من شهد أن لا إله إلا الله، ثم يزعم لرسول الله

«صلى الله عليه وآله»: أن ذلك المقتول لم يشهد الشهادتين عن قناعة، وإنما قال ذلك بلسانه لينجو من القتل، مع أنه عاجز عن التحقق من ذلك، وعن إثباته..

وحتى لو كان يعلم بذلك، فالمفروض هو: قبول ذلك منه.. تأسيساً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي يعلم الناس كلهم: أنه كان يعرف بنفاق كثير من أصحابه، وقد أعلم حذيفة بعدد منهم. ولكنه «صلى الله عليه وآله» كان يعاملهم وفق ما يظهرونه، وليس على حسب ما يعلمه منهم..

بل إن الكثيرين منهم كانوا يقدّمون الدليل تلو الدليل على عدم صحة إيمانهم، ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يرتب أثراً على ذلك في مقام التعامل معهم.. وقد انخدل عنه «صلى الله عليه وآله» عبد الله بن أبي - في ثلث الجيش - في واقعة أحد.. كما أن جماعة من الصحابة قد نفّروا به «صلى الله عليه وآله» ناقتة، لكي يقتلوه، وكان يعرفهم بأسمائهم، وأشخاصهم، ولكنه لم يعلن بذلك للناس.

وقد ندد القرآن الكريم في كثير من آياته بهم، وأدان تصرفاتهم، وفضحهم، وشنع عليهم في كثير من المناسبات..

ولم يعاقبهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ما صدر منهم تجاهه، ولا حاسبهم، ولا طالبهم بغير ما كانوا يظهرونه.

وتلك هي ساحة الإسلام، وبالعكس حكمته، ودقة تعاليمه، فإنه يريد أن ينتزع السلاح من يد هؤلاء، فلا يشهرونه في وجهه، ويريد لهم أن يعيشوا هم وكل من يلوذ بهم من أقرباء، وعشائر، وأصدقاء، أجواء الإسلام من دون أي تكلف أو حرج، فعسى ولعل، ولعل وعسى أن يُقْبَلَ الله بقلوبهم

ولو بعد حين.

بل إن القاعدة التي أرساها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في التعامل مع الأغيار، هي: أن من قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، حقن بها ماله، ودمه. فما معنى التعدي عن هذه القاعدة، وتحمل الأعذار لذلك؟!

تهافت.. لا علاج له:

يدّعي أسامة: أن ذلك الرجل تشهد الشهادتين بعدما ضربه أسامة بالسيف. فقد روي أنه قال لأميره: «خرجت في أثر رجل منهم، فجعل يتهكم بي، حتى إذا دنوت منه وضربته بالسيف، قال: لا إله إلا الله. فقال له الأمير: بشس ما فعلت وما جئت به، تقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله؟! فندم أسامة الخ...».

ونقول:

لا نشك في عدم صحة هذه الرواية، إذ يرد عليها -بالإضافة إلى أنها لا تنسجم مع الرواية التي ذكرت - ما يلي:
أولاً: لقد ذكرت: أن ذلك الرجل كان يتهكم بأسامة، وأنه: قد شهد الشهادتين بعد أن ضربه أسامة بالسيف.
فلماذا يلام أسامة إذن؟!
ولماذا يتهم بأنه قد قتل رجلاً مسلماً؟!

ثانياً: إن هذا النص لا يبقّي مجالاً لقول أسامة: إنها قالها متعوذاً؛ لأن التعوذ إنما يكون قبل إصابة السيف له لا بعده. كما أنه لا يبقّي مجالاً لأن يلومه الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويقول له: هلا شققت عن قلبه؟ وغير ذلك..

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء ٦٧

والظاهر هو: أن المقصود بهذه الصيغة؛ التخفيف من حدة النقد الذي ربما يوجه إلى أسامة على فعلته هذه..

لا أقتل أحداً يقول: لا إله إلا الله:

قال الحلبي: «ومن ثم لم يشهد أسامة رضي الله عنه مع علي كرم الله وجهه قتالاً، وقال له: لو أدخلت يدك في فم تنين لأدخلت يدي معها. أو قال: لو كنت في فم الأسد لدخلت فيه معك. ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين قتلت ذلك الرجل، الذي شهد أن لا إله إلا الله. وقلت له: أعطي الله عهداً: أن لا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله».

وإذا كان أسامة بن زيد قد تعهد بأن لا يقتل أحداً يقول: لا إله إلا الله^(١)، فذلك لا يبرر تخلفه عن نصرته النبي «صلى الله عليه وآله» والإمام علي «عليه السلام»، حين يقاتل البغاة عليه، ولا يبرر مخالفته لأمره، إذا أمره بالخروج لحربهم.

وليس له الاعتذار: بأنه قد تعهد بأن لا يقتل مسلماً، إذ إنما يصح له أن يتعهد بما يرجع أمره إليه، ويكون باقتراح ومبادرة منه. أما إذا كان الله تعالى هو الأمر له - باعتبار أنه أمره بطاعة نبيه وإمامه - فإنه يصبح أمام أحد خيارين: إما الطاعة الموجهة للمثوبة الإلهية، وإما المعصية المؤدية إلى الهلاك والعقوبة في نار جهنم.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٢٥ والجمل ص ٤٥. وراجع: الأمالي للطوسي ص ٧١٦ والبحار ج ٢٨ ص ١٥٣ وج ٣٢ ص ٧٠ وراجع الغارات ج ٢ ص ٥٧٧.

فلا يصح لأحد الاعتذار بذلك لأسامة في تخلفه عن حروب أمير المؤمنين «عليه السلام» للبغاة، كما صرحت به بعض الروايات^(١).

وقد أغضب ذلك إمامه «عليه السلام»، حتى حرمه من العطاء، وقال له: هذا المال لمن جاهد عليه^(٢). ولو أنه «عليه السلام» وجد أن ذلك يبرر موقف أسامة؛ لَعَذَّرَهُ، ولم يحرمه من العطاء..

وأما ما روي من أنه: انحرف عن أمير المؤمنين «عليه السلام» ثم رجع إليه^(٣)، فسنده ضعيف، فإن كان ذلك قد حصل بالفعل، فهو الفلاح والنجاح، والسداد والرشاد.

(١) تفسير القمي ج ١ ص ١٤٨ وراجع: البحار ج ٢١ ص ١١ وج ٢٥ ص ٩٣ وج ٦٢ ص ٢٣٥ والتفسير الصافي ج ١ ص ٤٨٥ والتفسير الأصفي ج ١ ص ٢٣١ وكتر الدقائق ج ٢ ص ٥٨٠.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٠٢ والغارات (ط الأولى) ج ٢ ص ٥٧٧ والبحار ج ٢٨ ص ١٥٣ وج ٩٤ ص ٥٨ وج ١٠٠ ص ٥٨ وج ٢١ ص ٦٥ ونهج السعادة ج ٤ ص ١٢٧ وعن ميزان الحكمة ج ٤ ص ٢٩٩٦ والدرجات الرفيعة ص ٤٤٥ وتاريخ المدينة ج ٣ ص ١١٣٩، ومستدرک الوسائل ج ١١ ص ٩٧ وتكملة الرجال ج ١ ص ١٧٤ والغارات للثقفی ج ٢ ص ٥٧٧.

(٣) قاموس الرجال (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج ١ ص ٧١٦ و ٧١٧ ورجال الكشي ص ٣٩ وراجع: كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٧٩٧ ورجال ابن داود ص ٥٠ وإتقان المقال ص ٢٥٩ والتحرير الطاووسي ص ٥٠ و ٥١.

ماذا عن سؤال المقداد رضي الله عنه؟!

وأما بالنسبة لقصة المقداد بن عمرو..

فربما يقال: إن قصد هؤلاء القوم منها هو إيجاد شريك لأسامة، في هذا الأمر القبيح الذي صدر منه، وإيهام: أن المقداد كأسامة قد قتل امرءاً مسلماً أيضاً.

مع أن المقداد كان من خيرة أصحاب علي «عليه السلام»، وكان معروفاً بالطاعة المطلقة له «عليه السلام»، وبالتسليم التام لما يريده الله سبحانه، ولما يأمر به رسوله «صلى الله عليه وآله». على أن التأمل في القصة التي يرويها هؤلاء يعطي أنها لا تفيدهم فيما قصدوه، لأن ظاهرها: أن المقداد قد طرح على الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» سؤالاً افتراضياً، ولم يكن يتحدث عن نفسه أبداً.

والذي يظهر لنا:

أن الأقرب إلى الاعتبار: هو أن بعض الناس ربما لم يبلغهم تغیظ رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أسامة، فظنوا أو خدعتهم ادعاءات صحة ما أقدم عليه أسامة، فأراد المقداد أن يعرفهم هذه الحقيقة من لسان النبي «صلى الله عليه وآله»، مباشرة فطرح السؤال على سبيل الافتراض، مضمناً إياه خصوصية تزييد في وضوحه، فقد ذكر في سؤاله الأول: أن ذلك الكافر المقاتل قطع يد مهاجمه (الذي هو السائل) بسيفه، ثم أعلن إسلامه.

وجاء الجواب: بتحريم قتل ذلك الرجل.

وهذا سؤال افتراضي جزماً، لأن المقداد لم تقطع يده أصلاً..

ثم رتب على هذا السؤال وجوابه سؤالاً افتراضياً آخر يقول: لنفترض

أنني قتلته بعد إعلانه الإسلام، فما هو الحكم في ذلك؟
فجاء الجواب في هذه الحالة أيضاً: بأن الحكم هو كذا وكذا..

هل هذا هو النص الصحيح للقضية؟!

تقدم أننا نحتمل: أن يكون ثمة سعي للتخفيف من وقع جريمة أسامة بادعاء: أن ذلك المقتول قد أظهر الإسلام حين رقهه أسامة بالسيف..
مع أن ثمة ما هو صريح في: أن إسلام ذلك الرجل كان متقدماً على ذلك، كان معروفاً ومشهوراً.

وتقدم أيضاً: النص الذي ذكره القمي، وهو لا ينسجم مع هذه الادعاءات.. كما أنهم قد رووا ما يؤيده عن ابن عباس، وهو: أن نبيك بن مرداس كان من أهل فذك، وكان مسلماً، ولم يسلم من قومه غيره، فسمعوا بأن سرية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» تريد، وكان على السرية غالب بن فضالة الليثي، فهربوا، وأقام الرجل، لأنه كان على دين الإسلام.
فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» فألجأ غنمه إلى عال من الجبل، فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون، فعرف أنهم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكبر ونزل، وهو يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. السلام عليكم.
فقتله أسامة، واستاق الغنم.

ثم رجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبروه، فوجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجداً شديداً، وكان قبل ذلك قد سبق الخبر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أقتلتموه إرادة ما معه؟!

ثم قرأ هذه الآية على أسامة بن زيد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١)، فقال: يا رسول الله استغفر لي.

فقال: فكيف بلا إله إلا الله؟!

قالها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات.

قال أسامة: فما زال رسول الله يكررها ويعيدها، حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ.

ثم إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» استغفر لي بعد ثلاث مرات، وقال: اعتق رقبة.

وروى عكرمة، عن ابن عباس: أنه مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه غنم له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم، فقاموا، وقتلوه، وأخذوا غنمه، وأتوا بها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأنزله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢).

وفي رواية أبو ظبيان قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسامة بن زيد مع جماعة إلى الحرقات من جهينة، فصبحوهم، فهزموهم، وقتل أسامة رجلاً ظنه متعوذاً بقول لا إله إلا الله، فكرر رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليه

(١) الآية ٩٤ من سورة النساء.

(٢) راجع: مسند أحمد ج ١ ص ٢٧٢ وسنن الترمذي ج ٤ ص ٣٠٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ١١٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ٥٧٧ وج ٧ ص ٦٥٢ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٥٩ وموارد الظمان ص ٣٣ وجامع البيان للطبري ج ٥ ص ٣٠٢ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص ١١٥.

وآله، قوله له: أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله، حتى قال: تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(١).

ونقول:

١ - إن التأمل في هذا النص يجعلنا نشك في أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قد استغفر لأسامة، وذلك لأنه طلب منه أن يستغفر له، فقال له ثلاث مرات: فكيف بلا إله إلا الله؟!

ثم لم يزل صلى الله عليه وآله يكررها، ويعيدها، حتى تمنى أنه لم يسلم إلا يومئذ.

وهو جواب ينضح بالآلم، ويشي بالاستياء الشديد، من فعل أسامة.. فكيف يمكن الركون إلى زعمهم: أنه استغفر له؟!

٢ - وإذا كان جشع أسامة، وحبه للمال يدفعه لارتكاب جريمة القتل حتى للمسلم.. فلست أدري إن كان قد وقَّ بعد ذلك للتخلص من شره وجشعه هذا؟! أم أنه بقي على حاله؟! أو ربما يكون قد تنامى وتعاضم. وتعمق وترسخ حب الدنيا في نفسه؟!

وربما يشير إلى ذلك: أن علياً عليه السلام قد عاقبه بحرمانه من بعض هذا المال الذي يحبه، حيث قطع عطاءه، وقال: إن هذا المال لمن جاهد

(١) راجع: المحلى لابن حزم ج ٧ ص ٣١٦ وج ١٠ ص ٣٦٨ والبحار ج ٢١ ص ٦٥ والديباج على مسلم ج ١ ص ١١١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ٥٧٥ وج ٧ ص ٦٥٠ وج ٨ ص ٤٦٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٧٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٢٣ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٦ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٨ وعن صحيح مسلم ج ١ ص ٦٧.

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء ٧٣
عليه. حسبما تقدم.

٣ - إن هذا النص يصرح بأن الرجل المقتول جاء إلى جيش المسلمين، وسلم عليهم، وذلك يجعلنا نرتاب فيما زعموه من أن أسامة قد قتله في ساحة الحرب، وأنه لما رهبه بالسيف نطق بالشهادتين، وربما يكون الدافع إلى ادعاء ذلك هو التخفيف من حدة النقد لهذا القاتل، ومن قبح الذنب الذي صدر منه.

٤ - إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى الإعلان القاطع عن دوافع أسامة لقتل ذلك الرجل. وقد ساق كلامه بصورة الإخبار عن أمر يقيني. واليقين بذلك لا يتأتى إلا لمن يكون نبياً، قد علم ذلك عن طريق الوحي، أو من خلال اطلاعه على الغيب، ولو عن طريق إشرافه على اللوح الذي تكتب فيه الغيوب، التي أذن الله تعالى له بالاطلاع عليها، ويسر له ذلك، بما آتاه إياه من قدرات..

٥ - إن رواية أبي ظبيان تحاول أن تنسب القتل إلى قوم آخرين يحكي أسامة لنا: أن هذا القتل قد صدر منه، بعد أن اعتبروا تسليم ذلك الرجل عليهم كان من أجل التعوذ به منهم.

مع أن الرواية المتقدمة تصرح بأن أسامة انفرد به، وقتله.

٦ - إن هذه الرواية التي رواها أسامة تثير أكثر من سؤال.

فإنه إن كان يريد أن يبرئ نفسه من هذه الجريمة، وينحي باللائمة على غيره؛ فالروايات كلها تكذبه في ذلك.

وإن كان يتحدث عن أن غيره فعل ذلك، وكان هو معهم..

فإن كان ما فعلوه قد حدث قبل أن يرتكب هو جريمته بحق ذلك

الرجل، فالسؤال هو: أن آية «فتبينوا» إن كانت نزلت لتحكي ما فعلته تلك الجماعة في هذه المناسبة، فكيف يقدم هو بعد نزول الآية فيهم على قتل ذلك المتعوذ - بزعمه - بلا إله إلا الله، محمد رسول الله؟!..

ولماذا لم يتبين أمره، ولم يتحقق مما صدر منه، وفقاً لما أمر الله تعالى به؟! وإن كان ذلك قد حصل بعد أن فعل أسامة فعلته، وبعد استنكار رسول الله «صلى الله عليه وآله» فعله ذاك.. فكيف لم يعتبر أولئك القوم الذين هم من الصحابة بما جرى لأسامة؟! وكيف يقدمون على أمر من هذا القبيل، بعد البيان النبوي الواضح والصريح؟

وكيف يصح من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يغفر لهم ذلك، ولا يعاقبهم عليه؟! هذا، وسيأتي بعض الكلام عما جرى لمسلم بن جثامة في سرية أبي قتادة إلى بطن إضم، وفي أواخر حرب حنين، والطائف، فانتظر.. فإنها تشبه قضية أسامة إلى حد بعيد.

سرية غالب بن عبد الله إلى الميفعة:

وفي شهر رمضان سنة سبع، وبعد أن رجع النبي «صلى الله عليه وآله» من غزوة الكدر، أقام مدة، ثم قال له يسار (مولاه): يا رسول الله، إني علمت غيرة من بني عبد بن ثعلبة، فأرسل معي إليهم (ولى بني عوال). فأرسل معه النبي «صلى الله عليه وآله» غالب بن عبد الله في مائة وثلاثين رجلاً إلى الميفعة، بناحية نجد، على ثمانية برد من المدينة.

وقد خرج بهم يسار، فسار بهم في غير الطريق، حتى فנית أزوادهم، وجهدوا، واقتسموا التمر عدداً.

وساء ظنهم بيسار، وفي صحة إسلامه. ثم وصلوا إلى وادٍ قد حفره السيل، فساروا فيه حتى انتهوا إلى أكمة. كان الذين يقصدونهم خلفها، فأغاروا عليهم، واستاقوا نعماً وشاء، وقتلوا من أشرف لهم منهم.. واستاقوا النعم إلى المدينة، ولم يسمع أنهم جاؤوا بأسرى.. وفي نص آخر: ولم يأسروا أحداً^(١).

ونقول:

أولاً: لقد ذكروا: أن قصة أسامة بن زيد، وقته لذلك الرجل الذي أسلم، ثم قول النبي «صلى الله عليه وآله» لأسامة: ألا شققت عن قلبه - ذكروا - أن ذلك قد حصل في هذه الغزوة^(٢).

وتقدم وسيأتي قولهم: إنها كانت في سرايا أخرى أيضاً..

ثانياً: إننا نقول هنا نفس ما قلناه في سائر المواضع، وهو: إن النبي

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٢٦ و ٧٢٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦١ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٣ والبحار ج ٢١ ص ٤٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٦ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠٨ وعن الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٩ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٦.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦١ عن المواهب اللدنية، وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٣٣ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ٢ ص ١١٩ ومسند أحمد ج ٥ ص ٢٠٧ وجامع البيان ج ٥ ص ١٢٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٦ و ١٨٧ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٨ والتنبيه والإشراف ص ٢٢٧.

الكريم «صلى الله عليه وآله» لا يغير على قوم لمجرد استلاب أموالهم، ولا يقتل أحداً قبل دعوته إلى الله تعالى، فإن لم يكن «صلى الله عليه وآله» قد دعا هؤلاء القوم إلى الإسلام، ولم يكونوا نقضوا عهداً، أو ارتكبوا جرمًا، أو جمعوا جمعاً للإغارة على أهل الإسلام، فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يستحل الإغارة عليهم بهذه الطريقة. وحيث لم نجد فيما بين أيدينا من نصوص ما يثبت شيئاً من ذلك، فلا نستطيع تأكيد صحة ما زعموه..

هذا مع غض النظر عن أننا لا بد أن نسأل عن هذا التفاوت في التعبير عن موضوع الأسرى، فتارة يقال: لم يسمع عن أسرى أتى بهم منهم. وأخرى يصرحون: بأنه لم يؤسر منهم أحد!!

سرية بشير بن سعد إلى الجنب:

وقالوا أيضاً: إنه في سنة سبع قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجل من أشجع، يقال له: حسيل بن نيرة. وكان دليل النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خير، فقال له «صلى الله عليه وآله»: من أين يا حسيل؟ قال: قدمت من الجنب.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ما وراءك؟

قال: تركت جمعاً من غطفان بالجنب، (وقيل: فزارة وعذرة)، قد بعث إليهم عينة يقول لهم: إما تسيروا إلينا، وإما نسير إليكم. فأرسلوا إليه: أن سر إلينا، حتى نزحف إلى محمد جميعاً. وهم يريدونك، أو بعض أطرافك.

قال: فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا بكر وعمر، فذكر لهما

ذلك، فقالا جميعاً: ابعث بشير بن سعد.

فبعثه في ثلاث مائة رجل، وبعث معهم حسيل بن نيرة دليلاً، فساروا حتى أتوا يمن وجبار، فزلزوا بسلاح (موضع أسفل من خيبر) أو سلاج^(١) ثم دنوا من القوم، فأغاروا على النعم، فأصابوا نعمة كثيراً، ملأوا منه أيديهم، ونفر الرعاء، وحذروا قومهم، فتركوا محالهم، فلما هجم عليها المسلمون لم يجدوا بها أحداً.

ثم رجعوا، فأخذوا في الطريق عيناً لعينة، فقتلوه.

ثم لقوا جمع عينة، وعينة لا يشعر بهم، فناوشوهم.

ثم انكشف جمع عينة، وتبعهم المسلمون، فأسروا منهم رجلاً أو رجلين - على اختلاف الروايات - فقدموا بهما على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلما، فأطلق سراحهما^(٢).

وأما عينة فانهمزم على فرس له، فاستوقفه حليفه الحارث بن عوف المري. فلم يقف له، وقال: لا، ما أقدر، الطلب خلفي، أصحاب محمد. وهو يركض. فقال له الحارث: أما لك أن تبصر ما أنت عليه؟ إن محمداً قد وطئ البلاد، وأنت توضع في غير شيء. ثم تنحى الحارث عن الموضع الذي

(١) راجع: معجم البلدان ج ٥ ص ١٠١ ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٢٣ وعن الثقات ج ٢ ص ٢٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠٨ وعن سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٣٤.

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٢٧ و ٧٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٣٤ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦١ وعن الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٧ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠٨.

يتوقع أن تمر فيه الخيل لكي يراه، ولا يراه أحد منهم.

فأقام من حين زوال الشمس ظهراً إلى الليل، فلم يمر به أحد. ولا طلبه أحد منهم، ولكن الرعب الذي دخله صور له ذلك..

ثم إن الحارث ذكر ذلك لعينته، فأقر له به، وأنه خاف أن يؤسر.

فقال له الحارث: أيها الرجل قد رأيت ورأينا معك أمراً بيناً في بني النضير، ويوم الخندق، وقریظة، وقبل ذلك قينقاع، وفي خير، إنهم كانوا أعز يهود الحجاز كله، يقرون لهم بالشجاعة والسخاء، وهم أهل حصون منيعة، وأهل نخل.

والله، إن كانت العرب لتلجأ إليهم فيمتنعون بهم، لقد سارت حارثة بن الأوس حيث كان بينهم وبين قومهم ما كان، فامتنعوا بهم من الناس. ثم قد رأيت حيث نزل بهم كيف ذهبت تلك النجدة! وكيف أدبل عليهم!! فقال عينته: هو - والله - ذاك! ولكن نفسي لا تقرني.

فقال الحارث: فادخل مع محمد!

قال: أصير تابعاً؟! قد سبق قوم إليهم، فهم يُزْرُونَ بمن جاء بعدهم، يقولون: شهدنا بدرأً وغيرها.

قال الحارث: وإنها هو على ما ترى، فلو تقدمنا إليه لكننا من عليه أصحابه، قد بقي قومه بعدهم منه في موادة، وهو موقع بهم وقعة ما وطئ له الأمر. قال عينته: أرى والله.

فأتعدا يريدان الهجرة، فمر بهم فروة بن هبيرة القشيري يريد العمرة، وهما يتقاولان، فأخبراه بأمرهما. فطلب منهما الانتظار إلى أن ينظرا ما يصنع أهل مكة، فأخرا القدوم.

ومضى فروة إلى مكة، فإذا هم على عداوتهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبرهم بما جرى لأهل خيبر، وبأن رؤساء الضاحية على عداوتهم أيضاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسألوه عن رأيه، فأشار عليهم أن يتموا مدة العهد الذي بينهم وبين النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم يجمعون العرب لغزوه «صلى الله عليه وآله» في عقر داره.

وسمع نوفل بن معاوية الديلي بوجود فروة بن هبيرة في مكة، فنزل إليه من باديته، فأخبره فروة بما قال لقريش.

فطلب منه نوفل أن يستنصر له قريشاً على خزاعة، التي كانت عيبة نصيح لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا يغيبون عنه حرفاً من أمورهم.

فكلم فروة رؤساء قريش في ذلك: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعبد الله بن أبي ربيعة، فاعتذروا وقالوا: إذن يغزوننا محمد فيما لا قبل لنا به؛ فيوطننا غلبة، وننزل على حكمه، ونحن الآن في مدة، وعلى ديننا.

فأخبر فروة نوفلاً بما جرى. ثم رجع إلى عيينة والحارث، فأخبرهم، وقال: رأيت قومه قد أيقنوا عليه، فقاربوا الرجل، وتدبروا الأمر.

فقدّموا رجلاً، وأخروا أخرى^(١).

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم عدة وقفات، هي التالية:

التأمر.. والاستعداد:

صرحت النصوص المتقدمة: بأن سبب إرسال هذه السرية هو: أن الغطفانيين قد جمعوا، وتآمروا، واجتمعوا مع جماعات أخرى، ليزحفوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، أو إلى بعض أطرافه، فكان لابد من تسديد ضربة استباقية لهم، تفل جمعهم، وتبطل كيدهم.

ولا يصح الانتظار إلى أن يأتوا هم لغزو البلد، وهتك حرمة، وكسر هيئته، ولا يجوز في منطق الحرب أن تعطى للعدو الفرصة لاختيار الزمان، والمكان، والخطة الحربية، وطريقة القتال، وأساليبه ووسائله.

بل لابد من استلاب الفرصة من يده، وإرباكه، وإشعاره بأنه لن يكون آمناً، لا في الزمان، ولا في المكان، ولن يكون قادراً على اختيار الإقدام أو الإحجام، ولابد من زعزعة ثقته بالوسائل التي يملكها، وبالخطط التي يضعها، وبالتحالفات التي يعقدها، ويعتمد عليها.

وهذا ما حصل للغطفانيين بالفعل، فإنَّ شن الغارة عليهم، وبعثرة جمعهم، قد حقق النتائج الباهرة، سواء بالنسبة إليهم، أم بالنسبة لعينته بن حصن، الذي أراد الاعتضاد بهم في مواجهة أهل الإسلام..

مشورة العمرين:

وأما ما ذكرته الرواية المتقدمة: من أنه «صلى الله عليه وآله» دعا أبا بكر وعمر، وذكر لهما ذلك، فقالا جميعاً: أبعث بشير بن سعد..

فلا نستطيع أن نؤيده بصورة حاسمة، إذ لم يكن هناك داع للاستشارة في أصل إرسال السرية، لأن المصلحة كانت ظاهرة في هذا الأمر، وهي

ضرورة إيراد الضربة القاضية بأولئك المتآمرين. وفق ما جرت عليه عادة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مثل هذه الحالات.

وأما بالنسبة لاختيار الأشخاص، فليس لنا أن نظن: أنه «صلى الله عليه وآله» كان في حيرة من أمره فيهم، علماً أنه كان لديه من القادة كثيرون، وقد أثبتوا جدارتهم في المواقف. ولم يكن لبشير بن سعد أي امتياز، يقتضي ترجيحه عليهم، أو يفرض ترشيحه لمثل هذه المهمة دونهم..

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان مسدداً بالوحي، ولم يكن بحاجة لرأي أحد..

فمن أجل ذلك كله نقول:

ربما يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرض على أبي بكر وعمر أن يتوليا هذه المهمة، فاعتذرا عن قبولها، وأشارا عليه ببشير بن سعد..

وربما يكون قد أعلن أو أراد أن يعلن اسم شخص بعينه، فبادرا إلى اقتراح بشير بن سعد، فأخرجاه به.. وربما.. وربما..

لماذا بشير بن سعد دون سواه؟!:

ويبقى سؤال يحتاج إلى الإجابة عليه هنا، وهو لماذا رجحا هذا الرجل دون سواه؟! وقالوا معاً بصوت واحد: ابعث بشير بن سعد؟!.. فهل كانا قد تداولوا هذا الأمر، واتفقا عليه؟!

أم أن الأمر جاء منهما على سبيل الاتفاق، وبغفوية تامة؟!

إن الإجابة على هذا السؤال نتركها للقارئ الكريم!!

غير أننا نشير إلى ما يلي:

١ - إن اختيار النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ثلاث مائة رجل لهذه المهمة يشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» أراد حسم الأمر، وضمان النصر، وإبعاد أي احتمال في الاتجاه الآخر بصورة عملية..

٢ - إننا لا نستغرب اهتمام أبي بكر وعمر ببشير بن سعد، وترجيحهما له على من عداه، فإن الوقائع اللاحقة أثبتت: أن هذا الرجل كان من المؤازرين لها على ما أراده من الاستئثار بأمر الأمة، فقد كان أول من بايع أبا بكر في السقيفة، حتى إنه سبق عمر وأبا عبيدة إلى ذلك^(١).

وهو الذي أشار عليهما بعدم الإلحاح على سعد بن عباد، فقبلوا مشورته «واستصحوه لما بدا لهم منه»^(٢).

وقد قال قيس بن سعد - الذي كان مع علي «عليه السلام» - للنعمان بن بشير الذي كان مع معاوية في صفين: «..ولعمري لئن شغبت علينا، لقد شغبت علينا أبوك»^(٣).

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٥٨ والبحار ج ٢٨ ص ٣٢٥ وفدك في التاريخ ص ٧٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٣٩ وج ٦ ص ١٠ والدرجات الرفيعة ص ٣٢٧ وبيت الأحزان ص ٥٧ والسقيفة وفدك ص ٦١ وعن الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٦ والغدير ج ٢ ص ٨٢.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٥٩ والبحار ج ٣٢ ص ٥١٨ والإحتجاج ج ٢ ص ١٤٨ وعن الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٧.

(٣) صفين للمنقري ص ٤٤٩ والبحار ج ٣٢ ص ٥١٨ ومواقف الشيعة ج ١ ص ٩٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٨٨ والدرجات الرفيعة ص ٣٤٥ وعن الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣١.

ولا شك في أن هذا الموقف من بشير بن سعد لم يأت من فراغ، وكان له معهودات، ونال عليه رشاوى مسبقة، فلعل اتفاق العمرين على تخصيصه بإمارة هذه السرية - التي كانت بشائر النصر فيها لائحة - كان إحدى هذه الرشاوى الجليلة التي نالها مسبقاً!!

نصرت بالرعب:

ويستوقفنا هنا أيضاً هذا الرعب الذي ظهر من عينته، واستخرجه منه، وفضحه فيه حليفه الحارث بن عوف، فقد تجلى لكل أحد كيف أهمته نفسه، لأنه كان يظن بالله غير الحق ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(١).

وقد صدق رسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث يقول: نصرت بالرعب مسيرة شهر^(٢).

(١) الآية ١٥٤ من سورة آل عمران.

(٢) راجع: البحار ج ١٦ ص ١٧٩ وراجع: ص ٣٠٨ و ٣١٧ و ج ٢٠ ص ٢٩ و ج ٧٧ ص ٢٧٧ والمبسوط للسرخسي ج ١٥ ص ٣ و ج ٢٣ ص ٣ وحاشية رد المحتار ج ١ ص ٢٤٦ والمغني لابن قدامة ج ١ ص ٦ والمحلى لابن حزم ج ١ ص ٦٥ وسبل السلام ج ١ ص ٩٣ وفقه السنة ج ١ ص ٧٧ و ج ٢ ص ٦٧٤ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٤١ وعن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٠٩ وعوالي اللآلي ج ٢ ص ١٤ ونور البراهين ج ١ ص ١٩٧ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ١٤٥ وعن صحيح البخاري ج ١ ص ٨٦ و ١١٣ و ج ٤ ص ١٢ وعن سنن النسائي ج ١ ص ٢١٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٢١٢ و ٤٣٣ و ج ٩ ص ٤ وعن فتح الباري ج ١ ص ٣٧٠ و ج ٦ ص ٩٠ وتحفة الأحوذى ج ٥ ص ١٣٥ وعن المصنف لابن أبي شيبه ج ٧ ص ٤١١ =

وهكذا ينصر الله تعالى أوليائه، ومنهم الإمام الحجة من آل محمد «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، فإن الرعب يسير معه أيضاً^(١).

هلا لنفسك كان ذا التعليم:

تقدم: أن الحارث بن عوف قال لعينة: أما لك أن تبصر ما أنت عليه؟! إن محمداً قد وطئ البلاد، وأنت توضع في غير شيء.
وقد سبق للحارث أن قال لعينة نفس هذا الكلام، وذلك حين وصل

= ومتخب مسند عبد بن حميد ص ٣٤٩ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٣٠٨ ونظم درر السمطين ص ٣٩ وعن نصب الراية ج ٢ ص ٣٧٩ وعن الجامع الصغير ج ١ ص ١٧٧ وكثر العمال ج ١١ ص ٤١٢ و ٤٤٠ وعن فيض القدير ج ١ ص ٧٢٠ وإرواء الغليل ج ١ ص ٣١٥ والبيان ج ٣ ص ١٧ وتفسير مجمع البيان ج ٢ ص ٤١٤ والتفسير الصافي ج ١ ص ٣٩١ والتفسير الأصفي ج ١ ص ١٧٧ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٠٢ وتفسير كثر الدقائق ج ٢ ص ٢٥٥ وعن أحكام القرآن ج ٢ ص ٤٩ وعن الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٤٢٦ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٢٠ و ٥١٨ وج ٢ ص ٢٦٦ و ٣٣٩ و ٥٤٢ وج ٣ ص ٥٤٧ وعن فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ وعن البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٦٤ وج ٦ ص ١٩٧ و ٢٠٥ و ٢٨٨ و ٣٢٠ وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ١ ص ٢٧٧ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ١٦٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٦١ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٢٧١ و ٣١٥ والنهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٢٣٣ و ٤٣٤ ولسان العرب ج ١ ص ٤٢٠ وج ٤ ص ٣٨٩ ومجمع البحرين ج ٢ ص ١٩٣ وتاراج العروس ج ١ ص ٢٧٢ وج ٣ ص ٢٨٦.
(١) البحار ج ٢٨ ص ٦٢ وج ٥٢ ص ٣٤٨ و ٣٥٦ وكامل الزيارات ص ٥٤٩ والجواهر السنية ص ٢٩٠ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج ٢ ص ٨٨١.

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء ٨٥

النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خير، وحاصر حصن النطاة، وسمع الغطفانيون صائحاً يقول: أهلكم، أهلكم بحيفا، فلا تربة، ولا مال.

حيث قال له: يا عيينة، والله لقد غبرت إن انتفعت.

والله إن الذي سمعت لمن السماء.

والله، ليظهرن محمد على من ناوأه، حتى لو ناوأته الجبال لأدرك منها ما

أراد الخ...^(١).

وبعد فتح خير - أيضاً - حاول عيينة أن يحصل على بعض الغنائم،

فرجع خائباً إلى منزله، فجاءه الحارث بن عوف، فقال له:

«ألم أقل لك: إنك توضع في غير شيء؟!»

والله، ليظهرن محمد على من بين المشرق والمغرب.. اليهود كانوا

يخبروننا هذا، أشهد لسمعت أبا رافع، سلام بن أبي الحقيق الخ...^(٢).

فإذا كان الحارث بن عوف عارفاً بصحة ما جاء به رسول الله «صلى الله

عليه وآله»، وكان على يقين من انتصاره «صلى الله عليه وآله» على أعدائه، وأنه

لا فائدة من مناوئته، حتى أصبح يسدي نصائحه مرة بعد أخرى لحليفه عيينة

بن حصن، فلماذا لا يبادر - الحارث نفسه - إلى حفظ نفسه وقومه، وحقن دمه

ودمائهم، بإعلان قبوله بالأمر الواقع، واعترافه بما يعلم أنه حق، ويحاول إقناع

غيره به؟! غير

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤١ والسيرة

النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٠١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٣٨.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٧٦.

لقد كانت جميع الدلائل متوفرة لديه على لزوم المبادرة إلى ذلك، فإن كان الأمر يتعلق بالآخرة، فقد صرح في النصوص المتقدمة، وفي أقواله لعينة في حرب خيبر: بأن هذا النبي مؤيد من السماء، وأن اليهود أخبروه بأنهم يجدون في كتبهم ما يدل على صحة نبوته «صلى الله عليه وآله»..

وإن كان الأمر يتعلق بالدنيا، فقد صرح في كلامه لعينة في خيبر: بأنه لا فائدة من مناوأة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

كما أنه قدم له في هذه المرة الأخيرة شرحاً وافياً، من شأنه أن يقنع عينة وسواه بأنه يوضع في غير شيء..

وذكر له: أن الأحداث التي جرت لبني النضير، وفي الخندق، وقریظة، وقينقاع، وخيبر هي أدلة دامغة على صحة ما يدعوه الحارث إليه.

بل هو يتوقع: أن يوقع النبي «صلى الله عليه وآله» بقریش أيضاً في الوقت المناسب، ولا يجد من عينة أي اعتراض على ذلك كله..

فلماذا لا يبادر إلى العمل بما كانت المصلحة له ولقومه ظاهرة فيه، بحسب ما يؤمن به ويعتقده؟

ومما يزيد هذه المفارقة وضوحاً: أنه استطاع أن يقنع عينة بما يراه ويعتقده، حتى لقد أتعدا على الهجرة، وإعلان إسلامها، ولكن فروة بن هبيرة يفسد هذا الاتفاق بكل سهولة وبساطة، حيث اكتفيا بمجرد وعد منه بأن يأتيهما بما تفكر فيه قریش، التي أصبحت معزولة ومحاصرة في محيطها، وقد فشا الإسلام فيها، ولم تعد قادرة على منع المسلمين من ممارسة شعائهم وحریاتهم حتى في داخل مكة بالذات..

هذا.. وقد تأخر إسلام الحارث بن عوف، ولم يفلح في التشرف

بالإسلام، حتى بعد أن سقطت مقاومة قريش، وفتحت مكة، وجرى ما جرى في حين، وغيرها، إلى أن كانت غزوك تبوك^(١).

إن ذلك كله، لا يمكننا تفسيره، ولا يتسنى لنا تصديقه إلا على قاعدة التعرض للخذلان الإلهي وحجب الألفاظ عنه، رغم أن هذا المنقول عنه يشير إلى أنه لم يكن ينقصه عقل ودراية، ولا أثر فيه للتسرع، أو للحمق، والرعونة.. أعاذنا الله من سيئات أعمالنا، وشرور أنفسنا، إنه ولي قدير..

موانع من إسلام عيينة:

وأما ما تذرعه به عيينة بن حصن، واعتبره مبرراً لصدوده عن الإسلام، فهو ينبئ عن المزيد من الرعونة والحمق، وسوء التقدير للأمر. ويكفي أن نتذكر قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه: هذا الأحق المطاع^(٢).

(١) راجع: الإصابة ج ١ ص ٦٨٣.

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٥٤ عن سعيد بن منصور، والطبراني، وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩١ والبحار ج ١٧ ص ٢٠٤ وج ١٩ ص ١٤٧ وج ٢٢ ص ٦٤ وج ٦٩ ص ٢٨٢ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ٣٧٨ وج ١٣ ص ٢١٨ و ٢٥٣ وتأويل مختلف الحديث ص ٢١٨ وتفسير القمي ج ١ ص ١٤٧ وعن تفسير مجمع البيان ج ٣ ص ١٥٤ والتفسير الصافي ج ١ ص ٤٨٢ والتفسير الأصفي ج ١ ص ٢٢٨ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٣٠ وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٥٦٧ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٣١٠ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٦٧ و ٥٤٣ وكتاب المحبر ص ٢٤٩ وتاريخ المدينة ج ٢ ص ٥٣٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ١ ص ٣٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٢٦ وشرح أصول الكافي ج ٩ ص ٣٦٥.

فهو قد علل صدوده عن الإسلام: بأنه لا يريد أن يصير تابعاً، وأن الذين سبقوه إلى الإسلام سوف يُزرون عليه؛ بأنهم شهدوا بدرأً وغيرها دونه، وبأن نفسه تأبى ذلك..

فاسمع، واعجب، ممن يبيع آخرته بأوهام دنيوية، فإنك ما عشت أراك الدهر عجباً..

الفصل الثالث:

شخصيات وأحداث..
إلى عمرة القضاء

مجموعه کتابهای درسی
آموزش و پرورش

کتابخانه

کتابخانه
آموزش و پرورش

قتل شيرويه:

وذكروا: أن شيرويه قتل أباه في سنة سبع، في ليلة الثلاثاء، لعشر مضين من جمادى الآخرة، أو جمادى الأولى.

وروي أنه لما قتله لم يستقم له الأمر حتى قتل سبعة عشر أخاً له، ذوي أدب وشجاعة، فابتلي بالأسقام، فبقي ثمانية أشهر، أو ستة، ثم مات، وعمره اثنتان وعشرون سنة^(١).

وكان «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم بأن كسرى سيقتل في هذا الوقت، فكانوا ينتظرون هذا الأمر. فلما بلغهم وقوع ما أخبر به «صلى الله عليه وآله» أسلم باذان، وأسلم الأبناء من فارس، الذين كانوا باليمن. وبعث «صلى الله عليه وآله» إلى باذان بنيابة اليمن كلها^(٢).

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦١ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٩٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٠ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ١٦ والبحار ج ٢٠ ص ٣٩١ وج ٢١ ص ٤٥ وعمدة القاري ج ٢ ص ٢٨ وج ١٨ ص ٥٨ وفتح الباري ج ٨ ص ٩٦ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٦٥٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٧ وتحفة الأحوذى ج ٦ ص ٤٤٧ والأخبار الطوال للدينوري ص ١١٠.

(٢) راجع في ذلك: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٣٢ عن رسالات نبوية ص ٩٤ =

ونقول:

١ - ذكروا: أنه لما سمع المنتصر أباه المتوكل العباسي يشتم فاطمة الزهراء «عليها السلام»، سأل رجلاً من الناس عن ذلك، فقال له: قد وجب عليه القتل، إلا أنه من قتل أباه لم يطل له عمر.

قال: ما أبالي إذا أطعت الله بقتله أن لا يطول لي عمر.

فقتله، وعاش بعده سبعة أشهر^(١).

ومن الواضح: أن المنتصر العباسي قد سأل عن أمر لا يعرفه البشر بالوسائل العادية، بل يحتاج إلى النقل، والبيان عن الله تعالى.

وهذا معناه: أن المجيب كان مطلعاً على الغيب، عارفاً به، وليس هو إلا الإمام المعصوم من أهل البيت «عليهم السلام»، أو من أخذ عنه..

٢ - إذا كانت الحكمة الإلهية تقضي بأن لا يطول عمر من قتل أباه - حتى لو قتله بحق - أكثر من أشهر معدودة، فذلك معناه: أن الله تعالى يريد للولد القاتل أن يفهم: أن ما فعله، إن كان مرضياً له تعالى، فسيكون

= وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥ وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٨ وعن السيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٦٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٤٥ وعمدة القاري ج ٢ ص ٢٩ وج ٢٥ ص ٢٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٥ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٩٥.

(١) راجع: البحار ج ٤٥ ص ٣٩٦ و ٣٩٧ وعن الأمالي للطوسي ص ٣٣٧ والعوالم ص ٧٢٦ وعن مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٢١ وراجع: الغدير ج ٣ ص ٤١ وشجرة طوبى ج ١ ص ١٥٧ والمجدي في أنساب الطالبين ص ٣٧٢ وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ٢٧٩.

الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء ٩٣
موته في هذه المدة اليسيرة لطفاً به، ورحمة له منه تعالى، وفيه إبعاد له عن
أجواء كريمة، لو استمر يعيش قريباً منها فربما تؤثر على حالته الروحية
والإيمانية، وتتسبب له بما لم يكن في حسبانته.

ومما يدل على ذلك: أن المنتصر حسب ما ورد في الروايات كان في وضع
صعب، وكان إذا جلس إلى الناس يتذكر قتله لأبيه فترتعد فرائضه^(١).
ولعل لابن السكيت الفضل في تربية المنتصر على حب أهل البيت
«عليهم السلام»، فإنه كان مؤدياً لأولاد المتوكل، وقد قتله المتوكل لأجل
تشيعه، وقصته مشهورة.

أما إذا كان هذا القتل من موجبات سخط الله تعالى، فإن وضع هذه السنة
وإجراءاتها من شأنه أن يؤثر في الردع عن الإقدام على مثل هذه الجريمة،
ويكون ذلك تقوية لدرجة حصانة المجتمعات من الوقوع في مآزق ومزالق
كبيرة وخطيرة.

جبلة بن الأيهم:

قالوا: وفي سنة سبع كتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى جبلة بن
الأيهم، ودعاه إلى الإسلام، فلما وصل إليه الكتاب أسلم، وكتب جواب
كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأعلمه بإسلامه، وأرسل الهدية،
وكان ثابتاً على إسلامه إلى زمان عمر بن الخطاب^(٢).

(١) راجع: الأعلام ج ٦ ص ٧٠.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦١ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٠٥ وفي هامشه عن
المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٦٥ ومجموعة الوثائق =

وهناك من يزعم: أنه أسلم في زمن عمر، وأنه قاتل المسلمين في دومة الجندل سنة ١٢ هـ. وحضر وقعة اليرموك سنة ١٥ هـ وهو على مقدمة عرب الشام في الجيش الموالي للروم، ثم قدم على عمر فأسلم، أو أنه أسلم، ثم قدم عليه..

ثم قالوا: إنه في نفس سنة إسلامه قدم مكة للحج، وحين كان يطوف في المطاف وطأ رجل من فزارة إزاره فانحل، فلطم الفزاريّ لكمة هشم بها أنفه، وكسر ثناياه، فشكاه الفزاري إلى عمر، واستغاثه، فطلب عمر جبلة، وحكم بأحد الأمرين، إما العفو، وإما القصاص.

قال: جبلة: أتقتص له مني سواء، وأنا ملك، وهو سوقي؟!

قال عمر: الإسلام ساوى بينكما، ولا فضل لك عليه إلا بالتقوى.

قال: والله، لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

قال عمر: هو ذاك.

قال: فإن كنت أنا وهذا الرجل سواء في هذا الدين فسأنتصر.

قال عمر: إذا أضرب عنقك.

قالوا: واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة، فكادت تكون فتنة..

قال: فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري.

فلما كان الليل ركب في بني عمه، وهرب إلى قسطنطينية، وتنصر

= السياسية ص ١٢٧ وعن إمتاع الأسعاع، وعن اليعقوبي ج ٢ ص ٦٧ والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٨٥ والمتنظم ج ٤ ص ٧ وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٨٦ ترجمة شجاع بن وهب، وراجع: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٣٢ وكتاب المحبر ص ٣٧٢ والنصائح الكافية ص ٢٠٤.

الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء ٩٥
هناك، ومات مرتدًا^(١).

قالوا: «وبعض أهل الإسلام على أن جيلة عاد إلى الإسلام، ومات مسلماً»^(٢).
وله شعر يظهر فيه حسرته، وألمه البالغ مما جرى، فهو يقول:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجحاح ونخوة وبعث لها العين الصحيحة بالعمور
فيا ليت أُمِّي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قال لي عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
زاد في الأغاني قوله:

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة وقد يحبس العود الضجور على الدبر^(٣)

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦١ والوافي بالوفيات ج ١١ ص ٥٣ وأشار في هامشه إلى: المحبر ص ٢٧٦ و ٣٧٢ والمعارف ص ٢٥٦ والأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج ١٥ ص ٥٧ والإستيعاب ج ١ ص ١٢١ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٢٤٢ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٤٨ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج ٢ ص ٧٤ والإصابة ج ٢ ص ٦٤ وطرفة الأصحاب ص ٢١ والأعلام ج ٢ ص ١٠٢ انتهى. والعقد الفريد (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٥٦-٦٢ وراجع ج ١١ ص ١٩ (هامش).

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦١.

(٣) النص والإجتهد ص ٣٦٠ والوافي بالوفيات ج ١١ ص ٥٦ والعقد الفريد ج ٢ ص ٦١ والأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج ١٥ ص ١٦٢ و ١٦٣ والجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣٦٥ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٣١٤ وعن البداية والنهاية ج ٨ ص ٧١ وحياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ج ١ ص ٢٨٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ١٨٣.

وفي نص آخر عن ابن الكلبي: أن الفزاري لما وطئ إزار جبلة لطم جبلة كما لطمه، فوثبت غسان فهشموا أنفه، وأتوا به إلى عمر.. ثم ذكر باقي الخبر^(١).

وذكر الزبير بن بكار: أن جبلة قدم على عمر في ألف من أهل بيته فأسلم. وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة كلام، فسب المدني، فرد عليه، فلطمه جبلة، فلطمه المدني، فوثب عليه أصحابه، فقال: دعوه حتى أسأل صاحبه، أنظر ما عنده.

فجاء إلى عمر، فأخبره، فقال: إنك فعلت به فعلاً، ففعل بك مثله.

قال: أوليس عندك من الأمر إلا ما أرى؟

قال: لا، فما الأمر عندك يا جبلة؟

قال: من سبنا ضربناه، ومن ضربنا قتلناه.

قال: إنما أنزل القرآن بالقصاص.

فغضب، وخرج بمن معه، ودخل أرض الروم، فتنصّر، ثم ندم^(٢).

ونقول:

لا شك في أنه كان بإمكان عمر أن يراعي حال هذا الرجل، ويعالج القضية بحكمة وروية، ويستوهب من الفزاري لطمته، وينتهي الأمر. ويتأكد لزوم ذلك إذا صح أن جبلة قد أسلم لتوّه، ولم يتعرف بعد على أحكام الإسلام، ولا يزال يعيش زهو الملك، ونخوة السلطان..

(١) الأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج ١٥ ص ١٥٩.

(٢) الأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج ١٥ ص ١٥٩ و ١٦٠.

وقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغمض النظر عما يرتكبه أصحابه عن جهل، ونحوه، مما يمكن أن يعتبر شبهة تدرؤ عنهم العقوبة. ويتأكد وجود الشبهة التي تدرؤ الحد، بادعاء جبلة: أن الفزاري قد تعمد أن يطأ إزاره^(١). وأن يكشف عورته. وأن ذلك الفزاري لطم جبلة أيضاً..

وأن الذين ضربوا الفزاري هم الناس الذين كانوا مع جبلة نفسه. وإذا صح: أن الفزاري لطم جبلة مقابل لطمته له، وكذا إذا كانت الرواية الأخيرة هي الصحيحة، فذلك يؤكد على أنه كان ينبغي الفرق به في مقام تعريفه بالأحكام، والمبادرة إلى تطيب خاطره، والتأني في بيان الأمر له..

ملاحظة للسيد شرف الدين رحمته الله:

وقد سجل العلامة العلم السيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله» ملاحظة على صنيع عمر بجبلة بن الأيهم، مفادها مع مزيد من التوضيح والتأييد: أن عمر بن الخطاب أراد أن يسوم عز جبلة الخسف، وأن يجدع منه الأنف، بعد أن وفد عليه بأبهة الملوك، وجلال السلطان.

ونحن نزيد في توضيح هذا الأمر، كما يلي:

يقولون: إن جبلة كان قد كتب إلى عمر يعلمه بإسلامه، ويستأذنه في الوفود عليه، فكتب إليه عمر: أن أقدم، فلك ما لنا، وعليك ما علينا. فقدم في خمس مائة فارس من عدد جفنة (وقيل: بألف فارس)، فلما دنا

من المدينة ألبسهم الوشي المنسوج بالذهب، والحرير الأصفر، وجلل الخيل بجلال الدياج، وطوّقها بالذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه، وفيه قرطاً مارية - وهي جدته - فلم يبق في المدينة أحد إلا خرج للقاءه، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه.

ثم حضر الموسم من عامه ذلك. فبينما هو يطوف إذ وطئ رجل فزاري الخ^(١).

وقال في نص آخر ذكره أبو الفرج: «ودخل المدينة، فلم يبق بها بكر ولا عانس إلا تبرجت، وخرجت تنظر إليه، وإلى زيه. فلما انتهى إلى عمر رحب به، وأطفه، وأدنى مجلسه.

ثم أراد عمر الحج، فخرج معه جبلة، فبينما هو يطوف بالبيت، وكان مشهوراً بالموسم، إذ وطأ إزاره رجل من فزارة الخ^(٢).

فهذا العز، والجلال، وهذه الشهرة، وذلك الاستقبال الذي حظي به جبلة، لم يكن ليتحملة عمر، أو يروق له، وهو الذي ضرب شاباً (ابناً له) بدرته حتى أبكاه، لمجرد أنه رآه يلبس ثياباً حسنة، فسألته حفصة عن سبب ذلك، فقال: إني رأيته قد أعجبته نفسه، فأحببت أن أصغرها إليه^(٣).

وأقبل الجارود العامري، وعمر قاعد والناس حوله، فقال رجل: هذا

(١) الوافي بالوفيات ج ١١ ص ٥٣ والعقد الفريد ج ٢ ص ٥٦ والأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج ١٥ ص ١٥٨.

(٢) الأغاني (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١٥ ص ١٥٨.

(٣) تاريخ الخلفاء ص ١٣٣ الغدير ج ٦ ص ١٥٧ والمصنف للصنعاني ج ١٠ ص ٤١٦ وكنز العمال ج ١٢ ص ٦٦٨ وعمر بن الخطاب للبكري ص ٣٦٣.

الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء ٩٩
سيد ربيعة، فسمعها عمر ومن حوله، وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه
بالدرة، فسأله الجارود عن السبب.

فقال له عمر: مالي ولك؟ لقد سمعتها!

قال: وسمعتها!! فمه؟

قال: خشيت أن تخالط القوم.

ويقال: هذا أمير.

وفي لفظ: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء، فأحببت أن أطأطئ منك^(١).
ودخل عليه معاوية وعليه حلة خضراء، فنظر إليه الصحابة، فقام إليه
عمر، وجعل يضربه، فلما سئل عن ذلك، قال: «رأيت - وأشار بيده إلى فوق -
فأردت أن أضع منه ما شمخ»^(٢).

وقد فعل بضبيع التميمي الأفاعيل حتى أسقطه في الناس، وعاش
ذليلاً وضيعاً في قومه حتى هلك، مع أنه كان سيد قومه، وذلك لمجرد أنه
كان يسأل عن معنى بعض الآيات^(٣).

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٨٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي
ج ١٢ ص ٧٣ وج ١٨ ص ٢٣٣ والغدير ج ٦ ص ١٥٧ وتاريخ المدينة ج ٢
ص ٦٩٠ وعمر بن الخطاب ص ٢٥١ وكتر العمال ج ٣ ص ٨٠٩.

(٢) البداية والنهاية (حوادث سنة ٦٠) ج ٨ ص ١٢٥ والإصابة ج ٣ ص ٤٣٤
والغدير ج ٦ ص ١٥٨.

(٣) راجع: سنن الدارمي ج ١ ص ٥٤ و ٥٥ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي
ص ١٧ والإتقان ج ٢ ص ٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٠٢ وتاريخ
دمشق لابن عساكر ج ٣ ص ٤١١ ومختصر تاريخ دمشق ج ١١ ص ٤٦ وعن =

١٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وحين رأى جمال نصر بن الحجاج - وهو من بني سليم - نفاه عن أهله إلى البصرة، من دون ذنب جناه، سوى أن عمر كان يعس بالليل، فسمع امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج^(١)
فقال عمر: لا أرى معي في المدينة رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن.
وكذلك فعل بأبي ذؤيب، وهو من بني سليم أيضاً^(٢).

= تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٣٢ وكنز العمال ج ٢ ص ٣٣١ وراجع
ص ٣٣٤ عن الدارمي، ونصر المقدسي، واللالكائي، وابن عساكر، وابن
الأنباري، والإصبهاني، والفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤٤٥ والدر المنثور ج ٦
ص ١١١ و ٣١٧ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٢١١ وج ١٣ ص ٢٧٢ وإحياء علوم
الدين ج ١ ص ٢٨ والصراط المستقيم ج ٣ ص ١٥ وكتاب الأربعين للشيرازي
ص ٥٤٢ وتحفة الأحوذ ج ٨ ص ٢٧٣.

(١) الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٨٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٢٧ - ٣٠ وراجع ج ٣
ص ٥٣ و ٥٩ ووضوء النبي ج ١ ص ٣٨ وفقه السنة ج ٢ ص ٢١٢ ولسان العرب
ج ١٥ ص ٢٩٤ وتاج العروس ج ١١ ص ٣٥٠ وعن كتاب سليم بن قيس ص ٢٣٠
والبهار ج ٣١ ص ٢١ و ٢٣ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٣٥٣ وعن النص
والإجتهاد ص ٣٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٢٧٥ وج ٦٢ ص ٢٠ - ٢٣ وعن
أسد الغابة ج ١ ص ٣٧١ وج ٦ ص ٣٨٢ والأعلام ج ٨ ص ٢٢ وتاريخ المدينة ج ٢
ص ٧٦٣ وعن البداية والنهاية ج ٩ ص ١٣٨ والكنى والألقاب ج ١ ص ٢٥٨
وغريب الحديث ج ٢ ص ٢٢٣ والنهاية في غريب الحديث ج ٤ ص ٣٦٧.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٣٠ و ٣١ والبحار ج ٣١ ص ٢٤ ومناقب آل
البيت للشيرازي.

الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء ١٠١

هذا بالإضافة إلى تشدده على سعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، ولعل السبب هو ما كان يلمسه فيها من قوة، ومن اعتداد بنفسيهما^(١). وربما يكون هذا بالذات هو ذنب جبلة، الذي كان يعيش عزة الملك، وزهو السلطان وعنفوانه..

ولكن عمر كان رؤوفاً بالمغيرة بن شعبة، متأنياً في أمره، ساعياً في إبعاد شبح تعرضه لإقامة حد الزنى عليه^(٢)..

وما ذلك إلا لأن المغيرة كان على حد تعبير السيد شرف الدين: «أطوع لعمر من ظله، وأذل من نعله، وكانت سياسته تقضي إرهاب الرعية، بالتشديد على من كان عزيزاً كجبلة، وخالد.

وربما أربهم بالوقعة بذوي رحمه، كما فعله بابنه أبي شحمة^(٣)، وبأم فروة

(١) راجع: النص والاجتهاد (ط سنة ١٤٠٤ هـ) ص ٣٦٣ و ٣٦٤.

(٢) راجع: مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٤٩ وتلخيصه للذهبي بهامشه، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٢٣٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٩ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٨١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٥٩ وعمدة القاري ج ٦ ص ٣٤٠ وفتوح البلدان للبلاذري ص ٣٥٢ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٦٠٩ وعن الأغاني ج ١٦ ص ٩٤ و ١٠٠ و ١٠٩ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٦٤ وكنز العمال ج ٥ ص ٤٢٣.

(٣) راجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٣٩٤ والرياض النضرة ج ٢ ص ٣٠١ والإصابة ج ٣ ص ٧٢ وعن تاريخ الأمم والملوك (حوادث سنة ١٣) ج ٣ ص ٥٩٧، وإرشاد الساري ج ٩ ص ٤٣٩ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢١٣ والعقد الفريد ج ٦ ص ٢٦٥ وتاريخ بغداد للخطيب ج ٥ =

١٠٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
أخت أبي بكر^(١)، وبمن لا فائدة له به، ممن لا يكون في غير السياسة ولا في
نفيها، كما فعله بجعدة السلمي^(٢)، وضيع التميمي، ونصر بن حجاج، وابن
عمه أبي ذؤيب الخ^(٣).

وقال رحمه الله أيضاً: «ليت الخليفة لم يخرج هذا الأمير العربي وقومه،
ولو ببذل كل ما لديه من الوسائل إلى رضا الفزاري، من حيث لا يدري
ذلك الأمير، أو من حيث يدري. وهيهات أن يفعل عمر ذلك»^(٤).

تأييد عودة جبلة إلى الإسلام:

وأما بالنسبة لما قيل: من أن جبلة بن الأيهم قد عاد إلى الإسلام، فربما
يمكن تأييده، بشعره المتقدم، وبتصريحات أخرى منقولة عنه، تدل على ندمه

= ص ٤٥٥ عن الكامل في التاريخ (حوادث سنة ١٤) ج ٢ ص ١٢٤.

(١) راجع: كثر العمال ج ١٥ ص ٧٣٢ والإصابة ج ٦ ص ٤٢٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١
ص ١٨١ والبحار ج ٣١ ص ٣٢ والغدير ج ٦ ص ١٦١ وأضواء على الصحيحين
ص ٤٢٨ والمصنف للصنعاني ج ٣ ص ٥٥٧.

(٢) الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج ٣ ق ١ ص ٢٠٥ والإصابة ج ١ ص ٢٦١ عن الأمدي،
وابن عساكر، وعن فتح الباري ج ١٢ ص ١٤١ ولسان العرب ج ٤ ص ١٨.
وذكروا: أنه ضربه مائة ونفاه إلى عمان لمجرد: أنه قرأ شعراً لبعض الناس يتهمه فيه
بمغازلة النساء. وحتى لو صح ذلك عنه، فإن عقوبته ليس فيها النفي، ولا جلد

مائة!!

(٣) النص والإجتهد (ط سنة ١٤٠٤ هـ ق) ص ٣٦٠ و ٣٦١ والموارد الثلاثة
الأخيرة ذكرنا مصادرها، فراجع. وراجع: تاريخ المدينة ج ٢ ص ٧٦٢.

(٤) النص والإجتهد (ط سنة ١٤٠٤ هـ) ص ٣٦٠.

الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء ١٠٣
على ما فرط منه.

ويمكن تأييد ذلك أيضاً: بما ذكره من أن رسولاً كان عمر أرسله إلى
هرقل دخل على جبلة، فأجلسه على سرير قوائمه من الذهب، فأنحدر عنه،
فقال: له جبلة: «لم تأبى الكرامة التي أكرمناك؟!»

قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نهى عن هذا.
قال: نعم، «صلى الله عليه وآله»، ولكن نقّ قلبك من الدنس، ولا تبال
على ما قعدت.

قال ذلك الرسول: فلما صلى على النبي «صلى الله عليه وآله» طمعت
به، فقلت..

إلى أن قال: قلت: «إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نهى عن الأكل
في آنية الذهب، والفضة.

قال: نعم، «صلى الله عليه وآله»، ولكن نقّ قلبك، وكل فيما أحبيت
الخ...»^(١).

بل ربما يستظهر من بعض الروايات أن ابنة جبلة كانت مسلمة أيضاً..
فقد رووا: حرصها على انتصار المسلمين على الروم، وإعلان فرحها
بذلك في مقابل بنت هرقل، التي كانت تظهر الفرح بانتصار الروم.
فقد زعموا: أن جيشاً غزا القسطنطينية في زمن معاوية، فكان هناك
قبتان مبهتان، عليهما ثياب الديباج؛ فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من

(١) راجع: الوافي بالوفيات ج ١١ ص ٥٤ والعقد الفريد ج ٢ ص ٥٨ والأغاني (ط دار
الكتب العلمية) ج ١٥ ص ١٦٠ و ١٦١.

إحداهما أصوات الدفوف، والطبول والمزامير.

وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى مثل ذلك..

وكانت الأولى بنت جبلة بن الأيهم، والثانية بنت ملك الروم، فكانت

كل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها^(١).

ومن الواضح: أن كلمة «عشيرتها» غير دقيقة، لأن حمية الدين هي

الأقوى، فلو كانت بنت جبلة تدين بالنصرانية، فلا يتوقع منها هذا الفرح

بانتصار من هم على غير دينها. ومجرد كونهم من عشيرتها لا يبرر ذلك منها.

فلعلها كانت تتظاهر بالعصبية العشائرية للتستر على الدافع الحقيقي

لهذا الفرح، وهو أنها تبطن الحب للإسلام، والولاء لأهله..

جبلة يعطي الزكاة لا الجزية:

وذكر اليعقوبي: أنه لما أتى عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس، وعاد

منها قاصداً المدينة: «أتاه جبلة بن الأيهم، فقال له: تأخذ مني الصدقة، كما

تصنع بالعرب.

قال: بل الجزية، وإلا فالحق بمن هو على دينك.

فخرج في ثلاثين ألفاً من قومه حتى لحقوا بأرض الروم. وندم عمر

على ما كان منه في أمره^(٢).

ونقول:

إن هذا النص يستحق الدراسة لفهم مرماه، ومغزاه، فإذا كان جبلة قد

(١) الأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج ١٧ ص ٢١٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ١٨٣.

الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء ١٠٥

أسلم قبل هذه الحادثة، في عهد النبي «صلى الله عليه وآله» مثلاً، فلماذا يريد عمر منه الجزية؟!

وإن كان لم يسلم، فلماذا يعرض على عمر أن يعطيه الصدقة، التي هي الزكاة؟!

ألا يدل هذا على أن جبلة كان مسلماً آنئذ؟!

وحين يعرض على عمر أن يعطيه الصدقة، ألا يفترض في الخليفة الاستفهام عن سرّ هذا العرض؟!

ولماذا يأبى إلا أن يعتبره كافراً؟!

ولاً أن يفرض عليه الجزية؟!

ولماذا يطرده من بلاد المسلمين بهذه الطريقة، التي تحمل معها المهانة والاستخفاف؟!

وإذا كان يعلم أن جبلة أنصاراً بهذا الحجم - ثلاثين ألفاً - فلماذا يفرط بكل هذا الجمع، ويرسلهم إلى عدو المسلمين، ليتقوى بهم في حربه للإسلام والمسلمين؟!

وإذا كان يعتقد أنه نصراني حقاً، فلماذا لا يخيره بين الجزية والحرب؟!
ألم يكن هذا هو الأوفق بالموقف الإسلامي من محارب يرفض الانصياع للحكم الإلهي؟!

ويبقى سؤال هو: ألا تتناقض هذه الرواية مع ما تقدم، مما دل على أن سبب لحوقه بالروم، وتنصره هو قصته مع الفزاري في الطواف، ثم قضاء عمر عليه.

ويمكن الجواب: بأن من الممكن أن تكون الأسباب التي دعت به إلى ذلك قد اجتمعت، وتضافرت، حتى كان آخرها ما جرى له في مكة..

وصول هدايا المقوقس:

وفي سنة سبع وصلت هدية المقوقس ملك الإسكندرية ومصر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله». ومن جملة ما فرس اسمه للزار، وبغلة يقال لها: دلدل، وحمار يقال له: يعفور، وثياب، ومثاقيل من الذهب، ومارية، وسيرين، وجاريتان أخريان، وجريج، وخصي اسمه مأبور، وغير ذلك^(١). فأسلمت مارية وأختها قبل الوصول إلى المدينة، وأسلم الخصي في المدينة^(٢)، وولدت مارية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» إبراهيم، كما سنبينه في موضعه إن شاء الله تعالى.

قيمة الهدايا:

إن الهدية دليل احترام، وعنوان تقدير وتكريم، فإذا كانت من الملوك إلى أمثالهم، فهي على نحوين: أحدهما: أن تكون دليل رغبة بالسلام، وتجنب الدخول في الصدام، والبقاء على درجة من التوافق والوثام، والإعلان عن حسن النوايا حسبما تقتضيه ظروف مرسل الهدية، ونرى أن هدايا المقوقس كانت تسير في هذا الاتجاه حسبما أوضحناه حين الحديث عن مراسلته «صلى الله عليه وآله»

-
- (١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٦٢ والبحار ج ٢١ ص ٤٥ وص ٤٧ و ٤٨ وراجع: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٢٤ - ٤٢٧ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١١ وج ٥ ص ٣٢٤ و ٣٥٠ وج ٧ ص ٨٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥١٥.
- (٢) راجع: البحار ج ٢١ ص ٤٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٢١٢ والإصابة ج ٨ ص ٣١١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠٧.

الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء ١٠٧
للملوك، ومنهم المقوقس.

الثاني: أن يكون الدافع للهدية: الصداقة، والوفاء، والمحبة والإخاء، والإعراب عن الطاعة والإيمان، والولاء..

ولعل تفسير هدايا النجاشي بهذه المعاني أليق، وهي بها أوفق. كما يظهر من كثير من الأمور التي عبرت عن حب النجاشي لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإيمانه، وطاعته له، ومنها فرحه بانتصار النبي «صلى الله عليه وآله» في حرب بدر، وإصداق أم حبيبة، وغير ذلك..

هدايا متبادلة:

وقد أرسل النجاشي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بمناسبة زواجه بأم حبيبة «قميصاً وسراويل، وعطافاً، وخفين ساذجين»^(١).
وروى الكليني: أنه أهدى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حلة قيمتها ألف دينار، فكساها علياً «عليه السلام»، فتصدق بها^(٢).

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٤٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٥٧٦ وج ٢ ص ٦٦٠ وتحفة الأحوذ ج ٨ ص ٧٨.

(٢) راجع: الكافي ج ١ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ الحديث رقم ٣ والوسائل ج ٣ ص ٣٤٩ وج ٦ ص ٣٣٤ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٨٤ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٤٤ والتفسير الأصفي ج ١ ص ٢٨١ ونور الثقلين ج ١ ص ٦٤٣ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١١٦ وتأويل الآيات ج ١ ص ١٥٣.

تصحیح اشتباه:

وأما قول الطبرسي: «ثم بعث إلى الرسول بهدايا، وبعث إليه ببارية القبطية، أم إبراهيم، وبعث إليه بثياب وطيب كثيرة، وفرس»^(١).
فالظاهر: أنه قد جاء على سبيل الاشتباه.

فإن مارية كانت من هدايا المقوقس ملك الإسكندرية، كما نص عليه عامة المؤرخين الذين تعرضوا لسيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..
وليست من هدايا النجاشي.

المقابلة بالمثل:

هذا.. وقد بادله رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا الأمر، فأرسل مستقة من سندس - كان ملك الروم قد أهداها إليه «صلى الله عليه وآله» -

(١) راجع: البحار ج ١٨ ص ٤١٦ و ٤١٨ و ٤١٩ و ج ٢١ ص ١٩ ومستدرک سفینه البحار ج ٢ ص ١٧٠ و ج ٩ ص ٥٠٢ و ج ١٠ ص ٤٩٧ وتفسير القمي ج ١ ص ٨٦ و ١٧٩ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٢٢ ولكنه ذكر في ص ٢٠٩ أنها من هدايا المقوقس، والتفسير الصافي ج ٢ ص ٧٩ ونور الثقلين ج ١ ص ٦٦٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٥٧ وإعلام الوری ج ١ ص ١١٩ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٢٢ والبرهان للبحراني ج ١ ص ٤٩٤ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٥٢ عن بعض من تقدم، وعن البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٨ وعن الأموال ص ٣٤ وطبقات المحدثين بإصبهان ج ٢ ص ٢٧٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ق ٢ ص ٤٦٦.

الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء ١٠٩

إلى جعفر بن أبي طالب، وقال له: ابعث بها إلى أخيك النجاشي^(١).
وليلاحظ: وصفه «صلى الله عليه وآله» النجاشي بأنه أخو جعفر.

موت النجاشي:

وذكروا: أن النجاشي توفي قبل الفتح^(٢) في السنة الثامنة، أو السابعة،
بعد عودة جعفر بن أبي طالب وأصحابه إلى المدينة^(٣).
وقيل: بل توفي في شهر رجب في السنة التاسعة^(٤).

(١) راجع: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٥٧ ونيل الأوطار ج ٢ ص ٧٤ وفقه السنة ج ٣ ص ٤٨٠ ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٢٩ و ٢٥١ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥٨ وعون المعبود ج ١١ ص ٦٤ ومسند أبي داود ص ٢٧٤ ومسند أبي يعلى ج ٧ ص ٦٠ والكمال لابن عدي ج ٥ ص ١٩٨ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٢٩٨ ولسان العرب ج ١٠ ص ٣٤٣.

(٢) الإصابة ج ١ ص ١٠٩ وأسد الغابة ج ١ ص ٩٩ والكافي ج ٢ ص ١٢١ والألماني للمفيد ص ٢٣٨ والبحار ج ٦٩ ص ١٢٤ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٤٣٧ - ٤٣٩ وعن فتح الباري ج ٧ ص ١٤٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٢.

(٣) راجع: مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٢.

(٤) راجع: الإصابة ج ١ ص ١٠٢ و ١٠٨ و ١٠٩ والأقول المتقدمة في مكاتب الرسول (ط سنة ١٤١٩ هـ) ج ٢ ص ٤٣٨ عن المصادر التالية: الكامل ج ٢ ص ٢٩٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٠ والطبري أيضاً، وكذا في مرآة الجنان لليافعي في حوادث السنة التاسعة والبحار ج ٢١ ص ٣٦٨ وابن خلدون ج ٢ ص ٨٢٦ وزاد المعاد ج ٣ ص ٦٠ وعن السيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٦٩ =

١١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وقد بكى عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فعن علي «عليه السلام» قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أتاه جبرئيل بنعي النجاشي بكى بكاء حزين عليه، وقال: إن أخاكم أصحمة مات.
ثم خرج إلى الجبانة، وصلى عليه، وكبر سبعاً. فخفض له كل مرتفع، حتى رأى جنازته، وهو بالحبشة^(١).

زاد في رواية أخرى عن قتادة وجابر: أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ...﴾^(٢) نزل في النجاشي..

فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علع نصراني حبشي، ولم يره قط وليس على دينه، فنزلت هذه الآية.

وجاءت الأخبار من كل جانب: أنه مات في تلك الساعة. وما علم هرقل بموته إلا من تجار رأوا بالمدينة^(٣).

= وعمدة القاري ج ١٧ ص ١٥ وفتح الباري ج ٧ ص ١٤٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٥٨ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٤٣٨.

(١) راجع: الخصال ج ٢ ص ٣٥٩ و ٣٦٠ باب السبعة حديث رقم ٤٧ وراجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٤٦ وجمع البيان (ط سنة ١٣٧٩ هـ) ج ٢ ص ٥٦١ والكشاف (ط سنة ١٤٠٦ هـ) ج ١ ص ٤٥٩ والأقطاب الفقهية ج ٦ ص ٦٥ وتفسير مجمع البيان ج ٢ ص ٤٨٠ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٥٢ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٧٩٦ والبحار ج ١٨ ص ٤١٨ وج ٧٥ ص ٣٤٦ ومسند الإمام الرضا ج ٢ ص ٤١٧ و ٤٩٠.

(٢) الآية ١٥٩ من سورة النساء.

(٣) راجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٦ وجمع البيان ج ٢ ص ٥٦١ والبحار =

الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء ١١١

وفي نصوص أخرى ذكرها أهل السنة: أنه «صلى الله عليه وآله» كبر على النجاشي أربعاً^(١)، ومنه استفاد أهل السنة ما يعرف عندهم بصلاة الغائب، أي أنهم يصلون على الميت وهو في بلد آخر.

وحديث الصلاة على النجاشي، ونزول الآية المباركة فيه مذكور في عشرات من المصادر^(٢).

ونقول:

إن ما ذكره حول عدد التكبيرات، وحول الصلاة على الميت الغائب لا يصح: ونوضح ما نرمي إليه كما يلي:

= ج ١٨ ص ١٣٠.

(١) راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٥ و ٤٩ السنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٦٤٠ وصحيح البخاري ج ٢ ص ٧٢ و ٨٨ و ٩١ وج ٤ ص ٢٤٦ وصحيح مسلم ج ٣ ص ٥٤ وتنقيح المقال ج ١ ص ١٥٠ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ وتبيان الحقائق ج ١ ص ٢٤١ والبحر الرائق ج ٢ ص ٩٧ و ٩٨ والهداية في شرح البداية ج ١ ص ٩٢ والأصل ج ١ هامش ص ٤٢٤ عن شرح المختصر للسرخسي ج ٢ ص ٦٣ وسنن النسائي ج ٤ ص ٧٠ و ٧٢ وتلخيص الحبير ج ٥ ص ١٦٥ وأحكام الجنائز ص ١١١ وشرح مسلم ج ٧ ص ٢٣ وتحفة الأحوذى ج ٤ ص ٨٨ وعن الكامل ج ٦ ص ١٢٣ وعلل الدارقطني ج ٩ ص ٣٥٩ والحدائق الناضرة ج ١٠ ص ٤٠٤ وكتاب الأم ج ٧ ص ١٩٨.

(٢) راجع: جواهر الكلام ج ١٢ ص ٥٨، وراجع المصادر السابقة.

صلاة الغائب:

لقد أجمع فقهاء الإمامية تبعاً لأئمتهم على عدم جواز صلاة الغائب^(١)، إلا إذا كان المراد بالصلاة على الغائب الدعاء له، كما ورد في بعض الروايات^(٢).

(١) تهذيب الأحكام ج ٣ ص ٢٠٢.

(٢) إننا نكتفي بالإرجاع إلى كتاب: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٣٨ و ٤٣٩ فقد قال: راجع:

مسلم ج ٢ ص ٦٥٦ و ٦٥٧ والبخاري ج ٢ ص ١٠٩ و ١١١ و ١١٢ و ج ٥ ص ٦٤ و ٦٥ والشفاء ج ١ ص ١٦٤ و ٦٧٢ و ٦٩٠ ومسنند أحمد ج ١ ص ٢٥٤ و ج ٢ ص ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٨٩ و ٤٧٩ و ج ٣ ص ٣٥٥ و ٣٦٩ و ج ٤ ص ٧ و ٣٠٣ و ٤٣٣ و ٤٣٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٤٩ و ٥٠ وابن ماجه ج ١ ص ٤٩٠ و ٤٩١ والنسائي ج ٤ ص ٧٢ وأبي داود ج ٣ ص ٢١٢ وكشف الأستار ج ١ ص ٣٩٢ والترمذي ج ٣ ص ٣٤٢ و ٣٥٧ والمصنف لعبد الرزاق ج ٣ ص ٤٧٩ وابن أبي شيبة ج ١٤ ص ١٥٤ و ج ٣ ص ٣٦٢ ومسنند فاطمة للسيوطي ص ١١٢ والكامل لابن عدي ج ١ ص ٢٥٦ و ج ٢ ص ٨٤٣ و ج ٣ ص ١١٧١ و ١٢٥٩ و ج ٤ ص ١٥٧٥ و ج ٦ ص ٢٠٨٣ و ٢١٣٠ و ٢١٣٥ و ٢٢١٤ و ٢٢٧١ وتأريخ يحيى ابن معين ج ٣ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ والمعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٩٨ و ج ٥ ص ٢٤٨ و ج ١٧ ص ٢٠ و ج ١٨ ص ١٨٧ و ١٩٦ و ١٩٩ و ج ٢٥ ص ٢٢٣ و ج ١٩ ص ٤٤٦ و ج ٢٢ ص ١٣٦ وإعلام السائلين ص ٥ والمناقب ج ١ ص ١٠٧ والبحار ج ١٨ ص ١٣٠ عن المناقب و ص ٤١٨ عن الخصال والعيون و ج ٢١ ص ٣٦٨ عن المتقى، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٧ و ج ٤ ص ٢٧٧ وتأريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٨٢٦ والدر المشورج ج ٢ ص ١١٣ (في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ عن النسائي، والبزار، وابن المنذر، والطبراني، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وعبد بن حميد، وابن جرير). وراجع في تفسير الآية الشريفة أيضاً: القرطبي ج ٢ ص ٣٢٢ وابن كثير ج ١ ص ٤٤٣ وروح المعاني ج ٤ ص ٣١٥ =

الفصل الثالث: شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء ١١٣

وإن حكماً يجمع أهل البيت «عليهم السلام» على خلافه، لا مجال للأخذ به، لأنهم هم سفينة نوح، وهم أحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما. وأما قضية النجاشي، فقد كانت أمراً خاصاً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم تكن من قبيل الصلاة على الغائب، غيبة حقيقية، بل كانت صلاة على الميت الحاضر، إذ قد صرحت الرواية: بأن الله تعالى رفع لرسول الله «صلى الله عليه وآله» كل خفض، وخفض له كل رفع، حتى رأى «صلى الله عليه وآله» جنازة النجاشي وهو بالحبشة.

ولو كان ذلك جائزاً لكان الناس صلوا في كل البلاد صلاة الغائب على النبي «صلى الله عليه وآله» حينما توفي.

بل لو صح ذلك، لم يبق مبرر لدعوة الناس إلى حضور صلاة الجنازة، إذ يمكن لكل مكلف أن يصلي عليها وهو في بيته.

= والمنار ج ٤ ص ٣١٥ وروح البيان ج ٢ ص ١٥٥ ومجمع البيان ج ٢ ص ٣١١ وأبي السعود ج ٢ ص ١٣٦. وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٢٨٠ عن التهذيب والإستبصار، وص ٢٨٢ عن الخصال والعيون، وتفسير الإمام العسكري، وفقه الراوندي، وأسد الغابة ج ١ ص ٩٩ والإصابة ج ١ ص ١٠٩ وفتح الباري ج ٣ ص ١٥٠ و ١٥٢ و ١٦٣ وج ٧ ص ١٤٦ وعمدة القاري ج ٨ ص ١٨ و ١١٥ و ١٢٠ و ١٢٢ و ١٣٢ وج ١٧ ص ١٥ ودحلان هامش الحلية ج ٣ ص ٦٩ والحلية ج ٣ ص ١٨٠ وسيرة ابن إسحاق (المطبوعة) ص ٢١٩ ودلائل النبوة لابن نعيم ص ٤٨٦ والمحل ج ٥ ص ١٣٩ والخصال ج ١ ص ٣٦٠ وإعلام الوری ص ٥٦ والروض الأنف ج ٢ ص ٩٤ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٢٣ وج ٥ ص ٣٢٥ و ٣٧٣ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٤١٩ والمتنظم ج ٣ ص ٣٧٥ والمصباح المضيء ج ٢ ص ٣٤.

١١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

ولو كان ذلك مشروعاً لاشتهر فعله في البلاد في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله.

الفصل الرابع:

تكبيرات صلاة الميت..
وصلاة الغائب

رواية الحفصاء

شهادة القصة تاريخية
بالتغاية القصة

عدد تكبيرات صلاة الميت:

أما بالنسبة لعدد تكبيرات صلاة الميت، فنقول:

ان من المسائل التي وقع الخلاف فيها بين المذاهب الإسلامية مسألة عدد التكبيرات في صلاة الجنازة على المسلم.

فذهبت طائفة - تبعاً لأئمتها - إلى أن الواجب فيها هو فقط أربع تكبيرات، وهؤلاء هم جمهور أهل السنة والجماعة..

وذهب أهل البيت «عليهم السلام»^(١)، وشيعتهم، وتابعهم آخرون من غيرهم - كما سيتضح - إلى أن الواجب هو خمس تكبيرات.. وهذا الحكم إجماعي عند الشيعة الإمامية، لا تجد فيه مخالفاً على الإطلاق، بل لعله من ضروريات المذهب عندهم^(٢).

والأخبار عندهم في ذلك متواترة عن العترة الطاهرة، وقد رواه عن أهل البيت «عليهم السلام» كل من:

زرارة، والحلي، وأبي ولاد، وأم محمد بن مهاجر، وابن محبوب، وسماعة،

(١) وقد رواه في البحر الزاخر ج ٣ ص ١١٨ عن العترة جميعاً، وراجع: نيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩.

(٢) راجع: مستمسك العروة الوثقى (ط ثانية) ج ٤ ص ٢٣٤.

١١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وكليب الأسدي، وعمار الساباطي، وعلي بن سويد، وإسماعيل بن همام، ويونس، وهشام بن سالم، وحامد بن عثمان، وأبي بصير، وجعفر الجعفري، وأبي بكر الحضرمي، وإسماعيل بن سعد، وعبد الله بن سنان، وعبد الله بن مسكان، وعلي بن أبي حمزة، وقدامة بن زائدة، والحسين بن النضر، وإبراهيم بن محمد بن حران، والفضل بن شاذان، وسفيان بن السمط، وأبي حمزة، والأعمش، ومحمد بن الفضيل، وفضيل بن يسار، وعمرو بن شمر، وجابر، وإسماعيل بن سعيد الأشعري، وعبد الرحمن العزمي، وعلي بن عبد الله، والحسين بن خالد. إلى غير ذلك مما لا مجال لتبعه..^(١).

مذهب أهل البيت ﷺ هو الصحيح:

ونحن بدورنا لا نجد مناصاً عن الالتزام بمذهب أهل البيت عليهم السلام» وشيعتهم.. ولا نستند في ذلك إلى الإجماع المذكور فقط، ولا إلى خصوص الروايات عنهم «عليهم السلام»، وهم سفينة النجاة التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وأحد الثقلين اللذين لا يضل أبداً من تمسك بهما..

وإنما نستند -بالإضافة إلى ذلك- إلى العديد من الأدلة والروايات ذات الأسانيد الصحيحة عند غيرهم أيضاً، والمروية في أوثق مصادرهم، والتي تؤكد على أن الزيادة على الأربع ثابتة من فعل النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته «عليهم السلام»، وعدد من الصحابة وغيرهم..

(١) راجع: الوسائل (طبعة حجرية) ج ١ ص ١٤٤ فصاعداً، ومستدرك الوسائل، والكافي، وجامع أحاديث الشيعة، وغير ذلك من مجاميع الحديث والرواية.

أدلة القائلين بالتكبيرات الأربع:

لقد استُدلَّ على أن الواجب في صلاة الجنازة هو أربع تكبيرات بعدة أدلة:
الأول: أن الأربع هي آخر ما وقع منه «صلى الله عليه وآله»، كما أخرج الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ:

«آخر ما كبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الجنائز أربع». وكذا روي عن عمر، وابن عمر، وأنس، وابن أبي حثمة.

وفي بعضها: أنه «صلى الله عليه وآله» كبر على النجاشي أربعاً، وثبت عليها حتى مات، فكانت الأربع ناسخة لما قبلها..^(١)

ولكن هذا الدليل لا يصح.. لأن هذه الروايات كلها، والتي تريد أن تثبت أنه «صلى الله عليه وآله» كبر في آخر صلاة له أربعاً، لا تصح، وطرق جميعها ضعيفة، وقد تكلم على أسانيدنا جميعاً الزيلعي والشوكاني، وابن القيم، والبيهقي^(٢).

أضف إلى ذلك: ما سيأتي من أنه «صلى الله عليه وآله» قد كبر على النجاشي خمساً.. هذا عدا عن إصرار كثير من الصحابة على غير الأربع، كما سيتضح..

(١) راجع: نيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ وتبيان الحقائق ج ١ ص ٢٤١ والبحر الرائق ج ٢ ص ٩٧ و ٩٨ والهداية في شرح البداية ج ١ ص ٩٢ وهامش ص ٤٢٤ من كتاب الأصل ج ١ عن شرح المختصر للسرخسي ج ٢ ص ٦٣ وناسخ الأحاديث ومنسوخه ص ٢٦٨.

(٢) راجع: في تضعيف ذلك: نصب الراية ج ٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٩ و (ط أخرى) ص ٣١٧ - ٣٢٠ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ و ١٠٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٧ وزاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ١٤١ و ١٤٢.

١٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وثمة روايات أخرى تذكر التكبيرات الأربع، فنّدها الزيلعي، وابن القيم الجوزية وغيرهما، فراجع^(١).

الثاني: الإجماع على الأربع، حيث نقل عن ابن عبد البر - في الإستذكار - قوله: «وانعقد الإجماع بعد ذلك على أربع، وأجمع الفقهاء، وأهل الفتوى بالأمصار على أربع ما جاء في الروايات الصحاح، وما سوى ذلك شذوذ لا يلتفت إليه، قال: ولا نعلم أحداً من فقهاء الأمصار يخمس إلا ابن أبي ليلى^(٢)». هذا كلامه..

وقال البيهقي: «إن إجماع أكثر الصحابة (رض) على الأربع كالدليل على ذلك^(٣)».

ولكننا بدورنا نعتبر أن كل ما قاله أبو عمر هنا من أوله إلى آخره محض مبالغة لا مبرر لها، وذلك استناداً إلى ما يلي:

أما بالنسبة إلى اختلاف الصحابة في ذلك، فهو غير قابل للإنكار، بل لم ينكره ابن عبد البر نفسه، حيث قال:

١ - «وقطع عمر بن الخطاب اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ عليه وآله في التكبير على الجنائز، وردهم إلى أربع...»^(٤).

(١) زاد المعاد ج ١ ص ١٤١ و ١٤٢ ونصب الراية ج ٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٩.

(٢) راجع: شرح النووي على صحيح مسلم (هامش إرشاد الساري) ج ٤ ص ٤٨٥ وفتح الباري ج ٣ ص ١٦٣ وعون المعبود (ط الهند) ج ٣ ص ١٨٧ و ١٩٠ و (ط أخرى) ج ٨ ص ٣٤٢ والحدائق الناضرة ج ١٠ ص ٤٠٤ عنه.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٧ ونصب الراية ج ٢ ص ٣١٨.

(٤) جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٠٤.

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب ١٢١

٢ - وقال ابن رشد: «اختلفوا في عدد التكبير في الصدر الأول اختلافاً كثيراً: من ثلاث إلى سبع، أعني الصحابة..»^(١).

٣ - وقال النووي، والقاضي عياض: «واختلفت الصحابة، من ثلاث تكبيرات إلى تسع..»^(٢).

٤ - والعسقلاني أيضاً: ذكر اختلاف السلف في ذلك لاسيما ما يذهب إليه زيد، وعلي «عليه السلام»، وابن مسعود، وغيرهم ممن سيأتي..»^(٣).

٥ - وقال في عون المعبود، حول دعوى الإجماع هذه: «في دعوى الإجماع في نفسي شيء، لأن زيد بن أرقم كان يكبر خمساً، ويرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله..»^(٤)، إلى آخر كلامه الذي سوف يأتي إن شاء الله.

٦ - وقال أيضاً: «ثبوت الزيادة على الأربع لا مرد له من حيث الرواية..»^(٥).

٧ - وفي حاشية السندي على سنن النسائي: «قالوا: كانت التكبيرات على الجنائز مختلفة أولاً، ثم رفع الخلاف، واتفق الأمر على الأربع، إلا أن بعض الصحابة ما علموا بذلك، فكانوا يعملون بها عليه الأمر أولاً..»^(٦).

(١) بداية المجتهد ج ١ ص ٢٤٠.

(٢) شرح مسلم (بهامش القسطلاني) ج ٤ ص ٤٨٤ وعون المعبود ج ٣ ص ١٩٠ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٨.

(٣) فتح الباري ج ٣ ص ١٦٢ وراجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٨ ص ٢٢٢.

(٤) عون المعبود ج ٣ ص ١٩٠.

(٥) عون المعبود ج ٣ ص ١٨٧.

(٦) هامش سنن النسائي ج ٤ ص ٧٢ و ٧٣ وحاشية السندي على النسائي ج ٤ ص ٧٣ والمجموع للنووي ج ٥ ص ٢٣١ وعن فتح الباري ج ٣ ص ١٦٢.

١٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وقال الترمذي: «..وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا من أصحاب النبي وغيرهم. رأوا التكبير على الجنازة خمساً.

وقال أحمد وأحمد وإسحاق: إذا كبر الإمام على الجنازة خمساً، فإنه يتبع الإمام^(١). وعن ابن المنذر: أن أحمد بن حنبل يرى: أنه لا ينقص من أربع، ولا يزداد على سبع، ومثله قال بكر بن عبد الله المزني، إلا أنه قال: لا ينقص من ثلاث.. وفي إحدى الروايتين عن ابن مسعود: أنه قال: كبر ما كبر الإمام^(٢).

وحمد بن سليمان يقول مثل قول أحمد^(٣).
والصحابه أيضاً إلى زمان عمر كانوا يكبرون أربعاً، وخمساً، وستاً، وسيأتي تفصيله.

وبعد كل ما تقدم، فلسوف نرى كثيرين جداً يلتزمون بخمس تكبيرات، فأين هو الإجماع يا ترى!؟

القول الحق:

ونحن نقول: لا بد من الالتزام بالتكبيرات الخمس تبعاً للنبي «صلى الله عليه وآله» وأهل البيت «عليهم السلام»، وشيعتهم، وعدد من الصحابة

(١) صحيح الترمذي ج ٣ ص ٣٤٣ وأحكام الجنازة للألباني ص ١١٢ وسنن الترمذي ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢) فتح الباري ج ٣ ص ١٦٢ والإعتبار للحازمي ص ١٢٢ ونيل الأوطار ج ٤ ص ١٠٠ وجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٢ والمجموع للنووي ج ٥ ص ١٣١ والمعجم للطبراني ج ٩ ص ٣٢٠ و ٣٢١ والغدير ج ٦ ص ٢٤٧ وعون المعبود ج ٨ ص ٣٥٢.

(٣) الإعتبار للحازمي ص ١٢٢.

وغيرهم، ونذكر منهم:

١ - زيد بن أرقم.

٢ - حذيفة بن اليمان.

٣ - ابن مسعود.

٤ - أباذر.

٥ - ابن الحنفية.

٦ - ابن عباس.

٧ - أمير المؤمنين علي «عليه السلام».

٨ - الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام».

٩ - جابر بن زيد.

١٠ - أبا يوسف.

١١ - ابن أبي ليلى.

١٢ - عيسى مولى حذيفة.

١٣ - هو مذهب بني هاشم.

١٤ - أصحاب معاذ في الشام.

١٥ - أهل الشام.

١٦ - هو مذهب الصحابة قبل تقرير الأمر على الأربع.

١٧ - العباس بن عبد المطلب.

هؤلاء بعض من عرفنا أسماءهم في هذه العجالة.

هذا.. عدا عن غيرهم ممن لا يمانع في التكبير خساً، وأربعاً، وستاً، وغير

ذلك من الأقوال التي تقدمت الإشارة إلى بعض منها، فمن أراد فليراجع..

١٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

ولابد من الإشارة هنا: إلى أننا لا ننكر أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد كَبَّرَ على بعض الجنائز أربعاً، ولكن لذلك علة أخرى سنوضحها فيما يأتي إن شاء الله تعالى..

وأما ما نستند إليه نحن - في وجوب التكبيرات الخمس في الصلاة على الميت المؤمن - فهو:

أولاً: ما تقدم وما سيأتي من الروايات التي تذكر الزيادة على الخمس^(١).
ثانياً: الروايات المتعرضة للخمس، ونذكر منها ما يلي:

ما ورد عن النبي الأعظم ﷺ:

١ - عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان زيد يكبر على جنازتنا أربعاً، وأنه كبر على جنازة خساً، فسألته، فقال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يكبرها.
قال ابن البديع، والشوكاني: رواه الخمسة إلا البخاري^(٢)، ويقصد

(١) راجع على سبيل المثال: تعليقات المحمودي على ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٣٠٧ و ٣٠٨.

(٢) صحيح مسلم (ط سنة ١٣٣٤هـ) ج ٣ ص ٥٦. وتيسير الوصول (ط الهند) ج ١ ص ٣٤٥ وبداية المجتهد ج ١ ص ٢٤٠ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٨ ومنحة المعبود في تهذيب مسند الطيالسي ج ١ ص ١٦٤ والترمذي ج ٣ ص ٣٤٣ وزاد المعاد ج ١ ص ١٤١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٦ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٨٢ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٧٢ و ٣٦٧ وفتح الباري ج ٣ ص ١٦٢ وعون المعبود (ط الهند) ج ٣ ص ١٩٠ والرصف ج ١ ص ٤٢٠ و ٤٢١ والإعتبار للحازمي ص ١٢٢ وجواهر الأخبار والآثار (بهاشم البحر الزخار) ج ٣ ص ١١٨ وسنن النسائي ج ٤ ص ٧٢ وشرح الموطأ للزرقاني ج ٢ ص ٢٥٣.

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب ١٢٥

بالخمس: مسلماً، والترمذي، وأبا داود، والنسائي، وابن ماجه.

وعلى حسب نص آخر، عن عبد العزيز بن حكيم، قال: صَلَّيْتُ خَلْفَ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَلَى جَنَازَةٍ، فَكَبَّرْتُ خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ سَمِعَهُ يَقُولُ: هَذِهِ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ^(١).

وعن جابر بن عبد الله بن عبد العزيز الحضرمي، قال: صَلَّيْتُ خَلْفَ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَلَى جَنَازَةٍ فَكَبَّرْتُ خَمْسًا، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَنَّةُ نَبِيِّكُمْ^(٢).
وعلى حسب رواية أيوب بن سعيد، الذي صَلَّى خَلْفَهُ: فَكَبَّرْتُ خَمْسًا، ثُمَّ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» عَلَى جَنَازَةِ فَكَبَّرْتُ خَمْسًا، فَلَنْ نَدْعُهَا لِأَحَدٍ..

وعلى حد تعبير المرقع، الذي صَلَّى خَلْفَهُ أَيْضًا: فَإِنِّي لَا أَدْعُهَا لِأَحَدٍ بَعْدَهُ..

(١) ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتعليق المحمودي) ج ٣ هامش ص ٣٠٨ عن المحاملي في أماليه (مخطوط) ج ٣ الورق ٢٨ والطرائف ص ١٧٥ ومسنند زيد بن أرقم في كتاب الجمع بين الصحيحين، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٤٧٠، والضعفاء للعقيلي ج ٣ ص ١٤ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٢٧ ولسان الميزان ج ٤ ص ٢٩ وعن مسند أحمد ج ٤ ص ٣٧٢ عن عبد العزيز بن حكيم. ووضوء النبي ج ٢ ص ١٨٢ والغدير ج ٦ ص ٢٤٥ ومسنند أحمد ج ٤ ص ٣٧٠ وشرح معاني الآثار ج ١ ص ٤٩٤ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٢٢٨ عن عبد الأعلى. والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ١٨٧ وتاريخ الحديث ومنسوخة ص ٢٦٣ وسنن الدارقطني ج ٢ ص ٦٠ والتاريخ الكبير للبخاري ج ١ ص ٤٢٤ عن أيوب بن النعمان.

(٢) جواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج ٣ ص ١١٨.

١٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وعلى حسب رواية عبد الأعلى، الذي صلى خلفه، أنه قال: «فلا أتركها أبداً».

وعلى حسب رواية أبي سلمان، الذي صلى خلفه، أنه قال: بل عمداً إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلّيها^(١).

وقوله: لا أتركها أبداً، ولا أدعها لأحد بعده، ونحو ذلك يدل: على أن زيد بن أرقم لم يكن يترك التكبيرات الخمس..

وهذا يلقي ظلالاً من الشك على ما جاء في الرواية الأخرى: من أنه كان يكبر أربعاً.. فالظاهر: أن هذه زيادة اجتهدية من الراوي لحاجة في نفسه..

وأخيراً، فقد قال الترمذي: «حديث زيد بن أرقم حديث حسن صحيح»^(٢).

٢ - عن يحيى بن عبد الله الجابر التيمي، قال: صليت خلف عيسى مولى لحذيفة بالمداثن، فكبر على جنازة خمساً، ثم التفت إلينا، فقال: ما وهمت ولا نسيت، ولكن كبرت كما كبر مولاي وولي نعمتي حذيفة بن اليمان، صلى على جنازة، وكبر خمساً، ثم التفت إلينا، فقال: ما نسيت، ولكن كبرت كما كبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جنازة، فكبر خمساً. وفي نص آخر: «ما وهمت، ولكن كبرت كما كبر خليلي أبو القاسم»^(٣).

(١) راجع هذه النصوص في: سنن الدارقطني ج ٢ ص ٧٥ و ٧٣ وفي نسخة أخرى ص ٦٢ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٧٠ و ٣٧١ والإعتبار للحازمي ص ١٢٢ ومختب مسند عبد بن حميد ص ١١٢ والمعجم الكبير للطبراني ج ٥ ص ١٧٤ وشرح معاني الآثار لابن سلمة ج ١ ص ٤٩٤ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ١٤٣.

(٢) الجامع الصحيح ج ٣ ص ٣٤٣.

(٣) مسند أحمد ج ٥ ص ٤٠٦ والإمام الصادق «عليه السلام» والمذاهب الأربعة المجلد =

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب ١٢٧

وهذا يدل: على أن ذلك كان بعد إرجاع الناس إلى الأربع، وإلا فلا حاجة إلى اعتذارهما عنه، وكذلك الحال أيضاً بالنسبة لصلاة زيد بن أرقم، واعتراضهم عليه، وجوابه لهم.

كما أن المعارضين لم يدركوا النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا أبا بكر، ولا عمر.. كما هو ظاهر.

٣- عن ابن أبي خيثمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يكبر أربعاً وخمساً، وستاً، وسبعاً، وثمانياً حتى مات النجاشي، فكبر عليه أربعاً، وثبت على ذلك حتى توفي «صلى الله عليه وآله»^(١).
ولكن ذيل هذه الرواية لا يصح كما تقدم.

= الثالث ج ٥ ص ٢٤١ عن أحمد، والغدير ج ٦ ص ٢٤٥ و ٢٤٦ عن عمدة القاري ج ٤ ص ١٢٩ عن معاني الآثار للطحاوي، وهو موجود كذلك في: سنن الدارقطني ج ٢ ص ٧٣ وفي (ط أخرى) ص ٦٠ وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٨٩ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ١٤٢ وعون المعبود (ط الهند) ج ٣ ص ١٩٠ وجواهر الأخبار والآثار (بهاشم البحر الزخار) ج ٣ ص ١١٨ وناسخ الحديث ومنسوخة لعمر شاهين ص ٢٦٤ ونيل الأوطار ج ٤ ص ١٠٠ و ١٠١ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٤ عنه، وقال: يحى الجابر فيه كلام.

(١) نصب الراية ج ٢ ص ٢٦٨ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٨ عن أبي عمر في الإستذكار، والقاضي عياض، وبداية المجتهد ج ١ ص ٢٤٠ وعون المعبود (ط الهند) ج ٣ ص ١٨٧ وشرح مسلم للنووي (هامش القسطلاني) ج ٤ ص ٤٨٤ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٥ وراجع: وضوء النبي ج ١ ص ٣١٠ والنص والإجتهد ص ٢٥٧.

كما أن ذكر ما عدا الأربع والخمس محل شك كبير، ليس هنا محل بحثه..
 ٤ - عن كثير بن عبد الله، عن جده، عن أبيه، قال: صلى رسول الله
 «صلى الله عليه وآله» على النجاشي، فكبر عليه خمساً. قلت: رواه ابن ماجه
 خلا ذكر النجاشي. رواه الطبراني في الكبير والأوسط^(١).
 ٥ - عن كبير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله «صلى الله
 عليه وآله» كبر خمساً^(٢).

٦ - عن عبد الله بن الحارث، قال: صلى رسول الله «صلى الله عليه
 وآله» على حمزة، فكبر عليه تسعاً، ثم جيء بأخرى فكبر عليها سبعاً، ثم
 جيء بأخرى فكبر عليها خمساً، حتى فرغ من جميعهم غير أنه وتر^(٣).
 ٧ - عن ابن مسعود، قال: قد كبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعاً
 وخمساً، وأربعاً، فكبروا ما كبر الإمام إذا قدمتموه^(٤).

٨ - وقريب من ذلك، ما رواه ابن عباس عن النبي «صلى الله عليه
 وآله»: أنه كان يكبر على البدرين سبعاً، وعلى بني هاشم خمساً، ثم كان

(١) مجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٨ و ٣٥ وراجع: المعجم الأوسط للطبراني ج ٩ ص ٦٤
 ولسان الميزان ج ٤ ص ١٨١ والمعجم الكبير ج ١٧ ص ٢٠ والكامل لابن عدي
 ج ١ ص ٢٥٨ والأحكام ج ١ ص ١٥٩ عن يحيى بن الحسين.

(٢) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٨٣.

(٣) طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج ٣ ص ٩ و (ط دار صادر) ج ٣ ص ١٦.

(٤) مجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٤ و ٣٥ والمعجم الأوسط ج ٤ ص ٢١٧ وشرح مسند أبي
 حنيفة ص ١٣١.

آخر صلاته أربع تكبيرات حتى خرج من الدنيا»^(١).

والكلام في هذا الذيل قد تقدم.. وعرفنا أنه لا يصح..

٩ - وعن أنس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كبر على أهل بدر تسع تكبيرات، وعلى بني هاشم سبع تكبيرات^(٢).

١٠ - عن علي «عليه السلام»، قال: نزل جبرئيل على النبي «صلى الله عليه وآله» يعلمه السلام على الناس، والصلاة على الجنائز، فقال: يا محمد، إن الله عز وجل فرض الصلاة على عباده خمس صلوات في كل يوم، وليلة، فإن مرض الرجل، فلم يقدر يصلي قائماً صلى جالساً، فإذا ضعف عن ذلك جاء وليه، فقال له: يكبر عن كل وقت صلاة خمس تكبيرات، فإذا مات صلى عليه وليه، وكبر عليه خمس تكبيرات، مكان كل صلاة تكبيرة^(٣).

١١ - وروى الخطيب في تاريخه، وابن شيرويه الديلمي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلي على الميت بخمس تكبيرات^(٤).

(١) نصب الراية ج ٢ ص ٢٦٩ عن أبي نعيم في تاريخ إصبهان ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٥ والإعتبار للحازمي ص ١٢٥ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٥ والمعجم الكبير ج ١١ ص ١٢٩ وكتاب المجروحين ج ٣ ص ٥٩ والكامل لابن عدي ج ٧ ص ٤٩ ولسان الميزان ج ٦ ص ١٤٦.

(٢) المجروحون ج ٣ ص ٥٩ وتحفة الأحوذى ج ٤ ص ٨٨ ولكن في ميزان الإعتدال ج ٤ ص ٢٤٣ ولسان الميزان ج ٦ ص ١٤٦ سبع تكبيرات في الموضعين فراجع.

(٣) منتخب كنز العمال (هامش مسند أحمد) ج ١ ص ٢٢١ و ٢٢٢ وعن كنز العمال ج ٣ ص ٧٥٣ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ١٨ ص ٢٥٣.

(٤) نهج الحق للعلامة ص ٤٥٣، ونقله المعلق عليه عن تعليقة صحيح مسلم ج ٢ =

وما ورد عن زيد بن أرقم في ذلك:

فقد تقدم: أنه ملتزم بأن لا يترك ذلك لأحد.. ونزيد هنا:

١٢ - أن البغوي قال: قال أبو يوسف: عن أيوب بن النعمان: شهدت سعد بن حبة، فكبر عليه زيد بن أرقم خمساً^(١).

وفي نص آخر: صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبر خمساً، ولم يرفعه^(٢).

وتقدم عن عبد العزيز بن حكيم: صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة؛ فكبر خمس تكبيرات، وقال: وحدثني رجل أنه سمعه يقول: هذه صلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣).

وقال العظيم آبادي: روي عن زيد بن أرقم: أنه كان يكبر خمساً^(٤). ومثل هذا كثير عنه.

وقال النووي في المجموع: وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية زيد

= ص ٣٧٨ ومتنخب كنز العمال ج ٦ ص ٢٥٢ عن أبي وائل، والطرائف ص ٥٥١ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٣٩٣ وراجع: غوالي اللآلي ج ١ ص ٢٠٧ وعن سنن ابن ماجه كتاب الجنائز (٢٥) باب ما جاء فيمن كبر خمساً حديث (١٤٠٦)، والبحار ج ٢١ ص ٣٩.

(١) الإصابة ج ٢ ص ٢٢ ومعارف ابن قتيبة ترجمة أبي يوسف القاضي ص ٢١٨ والغدير ج ٦ ص ٢٤٥.

(٢) سنن الدارقطني ج ٢ ص ٧٣.

(٣) تقدم مصادر هذا الحديث قبل بضع صفحات، فراجع.

(٤) عون المعبود (ط الهند) ج ١ ص ١٧٨.

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب ١٣١
بن أرقم عنه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يكبر خمساً^(١).
وليراجع: ما قاله الحازمي، والشوكاني، وغير ذلك^(٢).

وما روي عن عيسى مولى حذيفة:

قد تقدم فلا حاجة لإعادته، وليراجع: الاعتبار للحازمي، وغيره..

وما روي عن ابن مسعود:

١٣- رواه ابن المنذر، عن ابن مسعود: أنه صلى على جنازة رجل من بني أسد، فكبر خمساً^(٣)..

١٤- قال الزرقاني: «وعن ابن مسعود: أنه صلى على جنازة فكبر خمساً، وكان يكبر على أهل بدر ستاً، وعلى الصحابة خمساً، وعلى سائر الناس أربعاً^(٤)».
١٥- عن ابن مسعود، قال: كنا نكبر على الميت خمساً وستاً، ثم اجتمعنا على أربع تكبيرات^(٥).

ويلاحظ: أنه لم يذكر أنهم كانوا يكبرون أربعاً أيضاً.. كما أن ظاهره

(١) المجموع للنووي ج ٥ ص ٢٣٠.

(٢) الاعتبار للحازمي ص ١٢٢ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ وفلك النجاة ص ٣٥٥.

(٣) عون المعبود (ط الهند) ج ٣ ص ١٨٧ و ١٩٠ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٨ وفتح الباري ج ٣ ص ٦٢ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٥ ص ٢٤١ وراجع: الاعتبار للحازمي ص ١٢٢ وتحفة الأحوذ ج ٤ ص ٨٩.

(٤) شرح الموطأ للزرقاني ج ٢ ص ٢٥٣، وليراجع: جواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج ٣ ص ١١٨ ونيل الأوطار ج ٤ ص ١٠٠.

(٥) المصنف للصنعاني ج ٣ هامش ص ٤٨١ عن مصنف ابن أبي شيبة ج ٤ ص ١١٤.

١٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

دعوى إجماع الصحابة على ذلك قبل الاجتماع على الأربع ..
وسياقي الكلام حول اجتماع الصحابة إن شاء الله تعالى ..

وأما ما روي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام:

١٦- فعن عبد الرزاق، عن معمر، عن حماد، عن إبراهيم: أن علياً
«عليه السلام» كبر على جنازة خمساً.

وروي نفس هذا عن وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر، عن
كاتب لعلي «عليه السلام»^(١).

١٧- عن ابن مسعود، عن علي «عليه السلام»: أنه كان يكبر على أهل
بدر ستاً، وعلى الصحابة خمساً، وعلى سائر الناس أربعاً^(٢).
وروي عبد خير، عن علي «عليه السلام» مثل ذلك^(٣).

(١) المصنف للصنعاني ج ٣ ص ٤٨١، وهامش نفس الصفحة منه عن ابن أبي شيبة.
(٢) نيل الأوطار ج ٤ ص ٩٨ وعون المعبود (ط الهند) ج ٣ ص ١٨٧ و ١٩٠ و (ط دار
الكتب العلمية) ج ٨ ص ٣٤٢ و ٣٤٩ والمجموع ج ٥ ص ٢٣١ وتلخيص الحبير
ج ٥ ص ١٦٨ وأحكام الجنائز للألباني ص ١١٣ والغدير ج ٦ ص ٢٤٦ وشرح
مسلم للنووي ج ٧ ص ٢٣ وعن فتح الباري ج ٣ ص ١٦٢ وتحفة الأحوذ ج ٤
ص ٨٩ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ١٨٧ وسنن الدارقطني ج ٢ ص ٦٠
وشرح معاني الآثار ج ١ ص ٤٩٧ ونصب الراية ج ٢ ص ٣٢١ وكتر العمال ج ١٠
ص ٣٩٩ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٢٩.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٧ وسنن الدارقطني ج ٢ ص ٧٣ وفتح الباري
ج ٢ ص ١٦٢ عن ابن المنذر، وشرح مسلم للنووي (هامش القسطلاني) ج ٤
ص ٢٨٤ و ٢٨٥ وزاد المعاد ج ١ ص ١٤١ وعون المعبود ج ٣ ص ١٩٠ وج ١ =

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب ١٣٣
ولكن قوله: أنه «عليه السلام» كان يكبر على سائر الناس أربعاً؛ في غير محله، وإنما أخذت الست من تكبيره على سهل بن حنيف على ما يظهر، وسنرى: أنه كان يكبر على سائر الناس خمس تكبيرات أيضاً.
١٨- عن عمير بن سعيد: صلى علي على سهل بن حنيف فكبر خمساً، فقالوا: ما هذا التكبير؟!!

فقال: هذا سهل بن حنيف، من أهل بدر، ولأهل بدر فضل على غيرهم، فأردت أن أعلمكم فضلهم.
وكذا روي عن ابن معقل، عن علي «عليه السلام»، وعن عبد الله بن مغفل عنه^(١). ولعله نفس ابن معقل السابق لكنه صحف.
١٩- وقال السرخسي: «..وأهل الزيغ يزعمون أن علياً «عليه السلام» كان يكبر على أهل بيته خمس تكبيرات، وعلى سائر الناس أربعاً»^(٢).

= ص ١٨٧ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٨ عن الدارقطني، والطحاوي، وابن أبي شيبة، وجواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج ٣ ص ١١٨، وقال: حكاها في الانتصار، ونصب الراية ج ٢ ص ٢٧٠ عن ابن أبي شيبة ج ٣ ص ١١٥ وعن الدارقطني والطحاوي ص ٢٨٧.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٣ ق ٢ ص ٤٠ و ٤١ وراجع ج ٦ ص ٨ والإصابة ج ٢ ص ٨٧ وهامش كتاب الأمم ج ١ ص ٢٥١ ونيل الأوطار ج ٤ ص ١٠١ وراجع: البدء والتاريخ ج ٥ ص ١١٩ وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٤٥ عن أبي نعيم في المستخرج، والبخاري في تاريخه، والإسماعيلي، والبخاري، والبرقاني، وسعيد بن منصور، وكتاب الأم للشافعي ج ٧ ص ١٧٨.
(٢) هامش كتاب الأصل ج ١ ص ٤٢٤ عن شرح المختصر للسرخسي ج ٢ ص ٦٣ =

١٣٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

٢٠ - صلى «عليه السلام» على فاطمة صلوات الله وسلامه عليها فكبر خمس تكبيرات، ودفنها ليلاً^(١).

وهذا يكذب نقل السرخسي وغيره: أنه كبر عليها أربعاً.

ومما ورد عن الحسن عليه السلام نذكر:

٢١ - أن الحسن صلى على أبيه علي أمير المؤمنين «عليهما السلام» وكبر خمس تكبيرات^(٢).

ومما ورد عن ابن عباس:

٢٢ - عن ابن عباس: لما توفي آدم قال شيث لجبريل: صل على آدم. فقال: تقدم أنت فصل على أبيك، وكبر عليه ثلاثين تكبيرة، فأما خمس فهي

= والمبسوط للسرخسي ج ٢ ص ٦٣.

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٣١ وجواهر الأخبار والآثار (بها مش البحر الزخار) ج ٣ ص ١١٨ ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٥٦ و ٢٥٩ عن المناقب والبحار ج ٧٨ ص ٣٩٠ و ٣٧٨ وراجع: الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٧٩ وكشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ١٢٥.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج ص ٤١ وجواهر الأخبار والآثار (بها مش البحر الزخار) ج ٣ ص ١١٨ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٤٦٩ والأخبار الطوال ص ٢١٦ وتيسير المطالب في أماني الإمام أبي طالب ص ٨٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ١٢٢، وراجع: تذكرة الخواص ص ١٧٨، ويظهر من بعض النسخ أنه هو مختار سبط ابن الجوزي، ووضوء النبي ج ١ ص ٣١٠ والغارات ج ٢ ص ٨٨٢ والبحار ج ٤٢ ص ٣٣٨ ونهج السعادة ج ٨ ص ٤٩٨.

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب ١٣٥
الصلاة، وخمس وعشرون تفضيلاً لآدم^(١).
وليراجع: ما قاله الشوكاني وغيره^(٢).

ومما ورد عن محمد بن الحنفية:

٢٣ - قال الصعدي: وروي عن محمد بن الحنفية: «أنه صَلَّى على ابن عباس فكبر خمساً»^(٣)، وكذا قال غيره^(٤).

وأما ما ورد عن حذيفة:

فقد تقدمت الرواية فيه^(٥).

ومما ورد عن أبي ذر:

٢٤ - عن حصين بن عمار، قال: قال لي أبو ذر: «يا حصين إذا أنا مت فاستر عورتي، وائق غسلي، وكفني في وتر، وكبر علي خمساً الخ..»^(٦).

-
- (١) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ١ ق ١ ص ١٥ وذكره في السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٦ عن العرائس بدون ذكر مقدار الصلاة والتفصيل.
(٢) نيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٥ ص ٢٤١.
(٣) جواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج ٣ ص ١١٨.
(٤) راجع: نيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٥ ص ٢٤١.
(٥) راجع: الإعتبار للحازمي ص ١٢٢ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩.
(٦) جواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج ٣ ص ١١٨ وراجع: نيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٥ ص ٢٤١.

١٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

ومما ورد عن أصحاب معاذ في الشام:

٢٥ - عن علقمة، قال: قلت لابن مسعود: إن أصحاب معاذ قدموا من الشام فكبروا على ميت لهم خمساً، فقال ابن مسعود: ليس على الميت من التكبير وقت، كبر ما كبر الإمام، فإذا انصرف الإمام فانصرف^(١).

ومما ورد عن أهل الشام:

٢٦ - أن علقمة قدم من الشام، فقال لابن مسعود: إن إخوتك بالشام يكبرون على جنازتهم خمساً، فلو وقَّمت وقتاً نتابعكم عليه، فأطرق عبد الله، ثم قال: انظروا جنازتكم فكبروا عليها ما كبر أئمتكم، لا وقت ولا عدد^(٢).

وعن العباس بن عبد المطلب:

أنه كبر على النبي «صلى الله عليه وآله» حينما صلى عليه خمساً^(٣).

وما روي عن أبي يوسف:

٢٧ - قيل: إن أبا يوسف كان يكبر خمساً^(٤).

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٧ وزاد المعاد ج ١ ص ١٤٢ وراجع: الإعتبار للحازمي ص ١٢٢ والغدير ج ٦ ص ٢٤٧.

(٢) المصنف للصنعاني ج ٣ ص ٤٨١ و ٤٨٢ وقال المعلق على نفس الصفحة: إن ابن أبي شيبة أخرجه بسند آخر في مصنفه ج ٤ ص ١١٥ والمحل ج ٥ ص ١٢٦.

(٣) راجع: كثر العمال ج ٧ ص ١٨٤ وفلك النجاة ص ٣٥٨ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ١٨ ص ٢٥٣.

وما روي عن جابر بن زيد:

٢٨ - قد نقله عنه ابن رشد^(١).

وأما ما نقل عن ابن أبي ليلى:

٢٩ - فقد نسبته إليه كثيرون^(٢).

رأي الهاشميين في التكبير:

٣٠ - روى الزبير بن بكار: أن المنصور كَبَّرَ على هشام بن عروة أربع تكبيرات، ثم صَلَّى على مولاه هو، وكَبَّرَ عليه خمس تكبيرات، قال الزبير: «كَبَّرَ عليه أربع تكبيرات بالقرشية، وكَبَّرَ على هذا خمس تكبيرات بالهاشمية».

(١) فتح الباري ج ٣ ص ١٦٣ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ كلاهما عن المبسوط للسرخسي.

(٢) بداية المجتهد ج ١ ص ٢٤٠.

(٣) راجع: شرح المختصر للزرقاني ج ٢ ص ٢٥٣ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ وهامش كتاب الأصل للشيباني (ط الهند) ج ١ ص ٤٢٤ عن شرح المختصر للسرخسي ج ٢ ص ٣ وفتح الباري ج ٣ ص ١٦٣ وج ٧ ص ٢٤٥ وبداية المجتهد ج ١ ص ٢٤٠ وعون المعبود (ط الهند) ج ٣ ص ١٨٧ والناصريات ص ٢٦٩ ووضوء النبي ج ١ ص ٣١٠ وج ٢ ص ١٨٢ والبحار ج ٣١ ص ٣٩ والنص والإجتهاد ص ٢٥٦ ومسند أبي داود ص ٩٣ ومسند ابن أبي الجعد ص ٢٧ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ١٨٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٦ والمتقى من السنن المسندة ص ١٣٩ وعن صحيح ابن حبان ج ٧ ص ٣٣٨ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٢٢٨ والمعجم الكبير ج ٥ ص ١٦٨ وفيض القدير ج ٥ ص ١١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٢٦٧.

١٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

قال محمود محمد شاکر في تعلیقه هنا علی نسب قریش: «ومعنی ذلك: أن قریشاً كانوا یرون التکبیر علی الجنائز أربعاً، وأن بني هاشم وبني العباس كانوا یرون التکبیر علیها خمساً»^(١).
وقد تقدم: أن الرسول «صلی الله علیه وآله» کان یکبّر علی بني هاشم خمس تکبیرات.

ولعله لأجل هذا، نجد: أن علي بن المهدي، أخا الرشيد الخليفة العباسي کبّر علی السيد الحميري خمساً، بأمر من الرشيد نفسه، فقد قال المرزباني، وغيره:

٣١ - «..ووجه الرشيد بأخيه علي، وبأكفان وطيب، فردت أكفان العامة عليهم، وكفن في أكفان الرشيد، وصلّى علیه علي بن المهدي، وكبّر خمساً، ووقف علی قبره إلى أن سطح، ومضى، كل ذلك بأمر الرشيد»^(٢).

٣٢ - ومما يدل علی أن ذلك هو مذهب الهاشميين: ما رواه أبو الفرج الأصفهاني، بسنده إلى إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبي الكرام الجعفري: «أن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الثائر علی المنصور، والمقتول بباهجى.. قد صلّى علی جنازة بالبصرة، فكبّر علیها أربعاً، فقال له عيسى بن زيد: لم

(١) راجع: نسب قریش ص ٣٠٤ متناً وهامشاً، ورواه الخطيب أيضاً في تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٤١ عن الزبير بن بكار وغيره، وفيه: أن المنصور قال: «صلينا علی هذا برأيه، وعلی هذا برأيه». وراجع: وضوء النبي ج ١ ص ٢٧٢ وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٤١ وتهذيب الكمال ج ٢٠ ص ٢٤١.

(٢) راجع: أخبار السيد الحميري ص ٤٦ و ٤٩ وقاموس الرجال ج ٢ ص ٦٩ والغدير ج ٢ ص ٣٧٢ والسلسلة العلوية لأبي نصر البخاري هامش ص ٨٣.

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب ١٣٩
نَقَصْتُ واحدة، وقد عرفت تكبير أهلك»؟!^(١).

وهذا يدل على: أن الهاشميين يلتزمون بالتكبيرات الخمس.

٣٣ - وذكروا: «أنه صلى عليه (أي على أبي الهذيل) أحمد بن أبي دؤاد القاضي فكَبَّرَ عليه خمساً. ثم لما مات هشام بن عمرو فكَبَّرَ عليه أربعاً، فقليل له في ذلك.

فقال: إن أبا الهذيل كان يتشيع لبني هاشم فصلَّيْتُ عليه صلاتهم الخ..»^(٢).

ومما روي عن عمر بن الخطاب:

٣٤ - أن سعيد بن المسيب يحدث عن عمر، قال: كل ذلك قد كان: أربعاً، وخمساً، فاجتمعنا على أربع، التكبير على الجنائز. وذكره ابن المنذر، عن ابن المسيب بإسناد صحيح^(٣).

كلام ابن قيم الجوزية:

وأخيراً.. فإن ابن قيم الجوزية - بعد أن ذكر روايات التكبير الخمس عن النبي «صلى الله عليه وآله» وعن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وزيد بن أرقم، وغيرهم - قال: «وهذه آثار صحيحة، فلا موجب للمنع عنها، والنبي «صلى الله عليه وآله» لم يمنع مما زاد على الأربع، بل فعله هو وأصحابه من بعده».

(١) مقاتل الطالبين ص ٣٣٥ ووضوء النبي ج ١ ص ٣٠٩.

(٢) طبقات المعتزلة ص ٤٨.

(٣) فتح الباري ج ٣ ص ١٦٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٧ وعون المعبود (ط الهند) ج ٣ ص ١٨٧ عنه وعن ابن عبد البر، ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ عنهما أيضاً.

١٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

ثم ذكر ما استدل به المانعون من الزيادة على الأربع، وضعفه، فراجع^(١).
وأما سائر الذين أشرنا في أول البحث أنهم يقولون بوجوب التكبير
خمساً، فقد ذكرنا هناك من عزا ذلك إليهم، فلا نعيد.

التكبير خمساً عند الصحابة وغيرهم:

تقدم كلام ابن مسعود، وعمر، الدال على أن الصحابة كانوا يزيدون
في تكبيرهم على الجنائز على الأربع.
ونزيد هنا:

١ - ما سوف يأتي تحت عنوان: (عمر أول من ألزم بالأربع) من أن
الصحابة في عهد الرسول «صلى الله عليه وآله»، وعهد أبي بكر، وعهد عمر
كانوا يكبرون خمساً، وستاً، وأربعاً..

٢ - عن الحكم بن عتيبة، أنه قال: كانوا يكبرون على أهل بدر خمساً
وستاً، وسبعاً..^(٢).

٣ - عن ابن عيينة قال: كانوا يكبرون على أهل بدر خمساً، وستاً وسبعاً^(٣).

٤ - عن إبراهيم: كل قد فعل، فاجتمع الناس على أربع تكبيرات،

(١) زاد المعاد ج ١ ص ١٤١ و ١٤٢.

(٢) نيل الأوطار ج ٤ ص ١٠١ وعون المعبود (ط الهند) ج ٣ ص ١٩٠ عن سعيد بن
منصور في سننه، وعن المتقي لابن تيمية، وتلخيص الحبير ج ٥ ص ١٦٦ والمغني
لابن قدامة ج ٢ ص ٢٩٣ وعن زاد المعاد ج ١ ص ٤٢٢.

(٣) زاد المعاد ج ١ ص ١٤١ والغدير ج ٦ ص ٢٤٦.

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب ١٤١
وروي مثله عن ابن مسعود أيضاً^(١).

وابن مسعود، وإبراهيم يشيران: إلى اجتماع الناس على الأربع في عهد عمر..

ومثل ذلك كثير، وتقدم: عن ابن عبد البر، وابن رشد، وعياض، والنووي، والسندي وغيرهم ممن لا مجال لتتبع كلماتهم^(٢).

عمر هو أول من ألزم بالأربع:

١ - من أوليات عمر المعروفة عنه: إرجاع الناس إلى أربع تكبيرات في صلاة الجنازة^(٣).

٢ - عن إبراهيم النخعي: أن الناس كانوا يصلون على الجنازة خمساً وستاً وأربعاً، حتى قبض النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم كبروا كذلك في ولاية أبي بكر الصديق، ثم ولي عمر بن الخطاب، ففعلوا ذلك، فقال لهم

(١) راجع: المصنف للصنعاني ج ٣ ص ٤٨١ وهامش نفس الصفحة عن ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٤ ص ١١٤ عن ابن مسعود.

(٢) راجع: زاد المعاد ج ١ ص ١٤١ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩.

(٣) الأوائل للعسكري ج ١ ص ٢٤٠ وروضة المناظر لابن شحنة (هامش الكامل) ج ١١ ص ١٢٢ وتاريخ القرماني (هامش الكامل أيضاً) ج ١ ص ٢٠٣ وراجع: الغدير ج ٦ ص ٢٤٥ وتاريخ الخلفاء ص ١٣٧ والإستغاثة ج ١ ص ٣٥ وحياة الخليفة عمر بن الخطاب للبكري ص ١٤٣ والنص والإجتهد ص ٢٥٢ و ٢٥٣ عن تاريخ الخلفاء للسيوطي، وعن الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣١ والكنى والألقاب للقمي ج ٣ ص ٤٧ عن أبي هلال العسكري، وابن شحنة، والسيوطي.

١٤٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

عمر: إنكم معشر أصحاب محمد متى تختلفون يختلف الناس بعدكم، والناس حديث (حديثوا) عهد بالجاهلية، فأجمعوا على شيء يجمع عليه أمرهم، فأجمع رأي الصحابة على أن ينظروا إلى آخر جنازة كبر عليها النبي «صلى الله عليه وآله» الخ..

وبحسب نص آخر: فأجمعوا أمرهم على أن يجعلوا التكبير على الجنازة مثل التكبير في الأضحى، والفطر: أربع تكبيرات الخ..^(١).

وقد تقدم: عدم ثبوت قولهم: أنه «صلى الله عليه وآله» كبر على آخر جنازة أربعاً لم يثبت.. وحتى لو ثبت ذلك فهو لا يدل على أنه هو التشريع الثابت في صلاة الجنازة على كل مسلم..

وسياتي ذكر سبب التكبير أربعاً في بعض الموارد.

٣- وعن أبي وائل، قال: كانوا يكبرون على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعاً، وخمساً وستاً، أو قال: وأربعاً.

فجمع عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبر كل رجل بما رأى. فجمعهم عمر على أربع تكبيرات، كأطول ما تكون الصلاة^(٢).

(١) نصب الراية ج ٢ ص ٢٦٨ عن الآثار لمحمد بن الحسن ص ٤٠ والغدير ج ٦ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ عن عمدة القاري ج ٤ ص ١٢٩ عن الطحاوي.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٧ وإرشاد الساري ج ٢ ص ٢٣١ وفتح الباري ج ٣ ص ١٦٢ وعون المعبود (ط الهند) ج ٣ ص ١٨٧ وشرح الموطأ للزرقاني ج ٢ ص ٢٥٣ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٩ والمصنف للصنعاني ج ٣ ص ٤٧٩ و ٤٨٠ وفي هامش ص ٤٨٠ عن المصنف لابن شيبة ج ٤ ص ١١٥ والغدير ج ٦ =

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب ١٤٣

ولا ندري ما هو الداعي لإضافة عبارة «كأطول ما تكون الصلاة»، فإن الصلاة بأربع تكبيرات هي الأقصر، من التي فيها خمس أو ست أو سبع تكبيرات..

إلا إذا كان المراد: أن ما سمح به عمر هو هذا.. ولم يسمح بما هو أطول من ذلك.

٤ - قال ابن عبد البر: «وقطع عمر بن الخطاب اختلاف أصحاب رسول الله في التكبير على الجنائز، وردهم إلى أربع»^(١).

٥ - وبحسب نص آخر عن أبي وائل، قال: «جمعهم (يعني عمر) فسألهم عن تكبير النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال بعضهم: أربع تكبيرات. وقال بعضهم: خمس.

وبعضهم: ست، كلهم قال ما سمع، فجمعهم على أربع. وكان آخر ما كبر النبي «صلى الله عليه وآله» أربعاً على سهيل بن البرصاء»^(٢). وهذا القول الأخير محل نظر.. إذا قورن بقولهم: إن آخر صلاة صلاحاً

= ص ٢٤٤ عن المحلى لابن حزم، والإمام الصادق «عليه السلام» والمذاهب الأربعة

ج ٥ ص ٢٤١ عن معاني الآثار للطحاوي ج ١ ص ٢٨٨ وتلخيص الحبير ج ٥

ص ١٦٨ وكتر العمال ج ١٥ ص ٧١٠ ووضوء النبي «صلى الله عليه وآله» ج ٢

ص ١٨١ عن فتح الباري، وسبل السلام ج ٢ ص ١٠٣ وتحفة الأحوذ ج ٤ ص ٨٩.

(١) جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٠٤.

(٢) الأوائل لأبي هلال العسكري ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤١ وراجع: هامش كتاب الأصل

ج ١ ص ٤٢٤ عن السرخسي في شرح المختصر ج ٢ ص ٦٣ وما ذكره المحمودي

هامش أنساب الأشراف ج ٢ ص ٤٩٦ وراجع: تاريخ المدينة ج ٢ ص ٧٣٦.

١٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

النبي «صلى الله عليه وآله» كانت على النجاشي، ولكن قد تقدم: أن بعض الروايات ذكرت: أنه كبر عليه خمساً أيضاً..

إلا إذا فرض: أن سهيل بن البرصاء كان من المنافقين، وكان «صلى الله عليه وآله» يكبر على المنافقين أربعاً، ويترك التكبيرة الخامسة لأنه لا يريد أن يدعو لهم.

أسد حيدر ماذا يقول؟!:

وقد أنكر أسد حيدر: أن يكون عمر جمع الناس على أربع، على اعتبار كونه يستبعد أن يقدم عمر على إحداث فريضة لم تكن على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ ليس له حق التشريع، ولو فعل، فلا يجب أتباعه، لأن ذلك من وظيفة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى آخر كلامه^(١).

ولكن.. ما ذكره إنما يرد لو لم يكن لهذا الفعل نظائر صدرت من عمر ومن غيره من الصحابة، وتحريمه لزواج المتعة، ومنعه من التمتع بالعمرة إلى الحج، وإسقاطه حي على خير العمل من الأذان، وإضافته لكلمة «الصلاة خير من النوم» فيه، وغير ذلك مما شاع وذاع عنه، مما لا يمكن إنكاره^(٢).

سر الاختلاف في التكبير على الميت:

عن أبي عبد الله «عليه السلام»: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا صلى على ميت كبر وتشهد، ثم كبر وصلى على الأنبياء ودعا. ثم كبر

(١) راجع: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٥ ص ٢٤١ و ٢٤٢.

(٢) راجع: النص والاجتهاد لشرف الدين، والغدير للأميني، ودلائل الصدق للمظفر.

ودعا للمؤمنين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ثم كَبَّرَ الرابعة ودعا للميت، ثم كَبَّرَ الخامسة وانصرف، فلما نهاه الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين: كَبَّرَ وتشهد، ثم كَبَّرَ وصَلَّى على النبيين، ثم كَبَّرَ ودعا للمؤمنين، ثم كَبَّرَ الرابعة وانصرف ولم يدعُ للميت^(١).

قال أبو عبد الله «عليه السلام»: صَلَّى رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جنازة فكَبَّرَ عليه خمساً، وصَلَّى على أخرى فكَبَّرَ عليه أربعاً، فأما الذي كَبَّرَ عليه خمساً، فحمد الله ومجده في التكبيرة الأولى، ودعا في الثانية للنبي «صلى الله عليه وآله»، ودعا للمؤمنين والمؤمنات في الثالثة، ودعا في الرابعة للميت، وانصرف في الخامسة.

وأما الذي كَبَّرَ عليه أربعاً، فحمد الله ومجده في التكبيرة الأولى، ودعا لنفسه، وأهل بيته في الثانية، ودعا للمؤمنين والمؤمنات في الثالثة، وانصرف في الرابعة، فلم يدعُ له، لأنه كان منافقاً..^(٢)

(١) تهذيب الأحكام ج ٣ ص ١٨٩ والكافي ج ٣ ص ١٨١ والوسائل (ط قديم) ج ١ ص ١٤٥ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ وراجع: منتهى المطلب (ط قديم) ج ١ ص ٤٥٢ والذكرى ص ٥٩ ومجمع الفائدة ج ٢ ص ٤٣٣ وعن علل الشرائع ج ١ ص ٣٠٣ والبحار ج ٧ ص ٣٣٩ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٦٥.

(٢) الوسائل (ط قديم) ج ١ ص ١٤٥ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ وراجع: منتهى المطلب (ط قديم) ج ١ ص ٤٥٢ وتهذيب الأحكام ج ٣ ص ٣١٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٦٥ ومسند الإمام الرضا ج ٢ ص ٤١٨ عن التهذيب، والإستبصار، وذخيرة المعاد ج ٢ ص ٣٣٠ ومستند الشيعة ج ٦ ص ٣٠٠ ومصباح الفقيه ج ٢ ق ٢ ص ٥٠٠.

١٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وورد أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يكبر على قوم خمساً، وعلى قوم آخرين أربعاً، وإذا كَبَّرَ على رجل أربعاً أتهم - يعني بالنفاق -^(١). ومن الواضح: أن آية النهي عن الصلاة على المنافقين قد نزلت في سنة تسع. وآية النهي عن الاستغفار للمنافقين قد نزلت في السنة الخامسة أو السادسة^(٢).

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد صَلَّى على آخر جنازة في سنة تسع: وهي جنازة سهيل بن البرصاء، حسبما تقدم.. فنستنتج من ذلك: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» من حين نُهيَ عن الاستغفار في الخامسة، أو السادسة، بدأ يكبر على الميت من المنافقين أربع تكبيرات.. وعلى الصالح خمساً..

(١) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٥٠ والكافي ج ٣ ص ١٨١ وعن علل الشرائع ج ١ ص ٣٠٤ والإستبصار ج ١ ص ٤٧٥ والبحار ج ٢٢ ص ١٣٥ وج ٧٥ ص ٣٤٣ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٧٢ وتهذيب الأحكام ج ٣ ص ١٩٧ و ٣١٧ ومنهى المطلب (ط قديم) ج ١ ص ٤٥٢ والذكرى ص ٥٨ وروض الجنان ص ٣٠٨ ومجمع الفائدة ج ٢ ص ٤٣٢ ومدارك الأحكام ج ٤ ص ١٦٥ وذخيرة المعاد ج ٢ ص ٣٣٠ وكشف اللثام (ط جديد) ج ٢ ص ٣٤٣ ورياض المسائل (ط جديد) ج ٤ ص ١٥٧ وغنائم الأيام ج ٣ ص ٤٧٢ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٦٥ وإختيار معرفة الرجال ج ١ ص ١٦٧ ومتقى الجمان ج ١ ص ٢٧٠ و ٢٧٤.

(٢) راجع: مقالاً بعنوان: «الصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول» للأخ الكريم الفاضل السيد مرتضى مرتضى دام توفيقه. نشرته مجلة الهادي العدد ٣ سنة ٦ ص ٨٠ و ٨١.

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب ١٤٧

فلما نُهي عن الصلاة على المنافق، امتنع من الصلاة عليه بالكلية وكان ذلك في سنة تسع..

وعليه، فيكون مقصود الرواية المقدمة بالنهي عن الصلاة على المنافق: هو النهي عن الاستغفار له بعد الرابعة، فكأنه لم يصل عليه أصلاً..
أو لعل في الرواية اشتباهاً بين النهي عن الصلاة، والنهي عن الاستغفار، وكيف كان فالأمر سهل.

وبعد كل ما تقدم، نعود لنقول:

إننا لا نجد تعليلاً مقبولاً، للزيادة والنقيصة في تكبيرات النبي «صلى الله عليه وآله»، وبعض الصحابة على الجنازة سوى هذا.. فاشتبه الأمر على البعض الآخر منهم، ولم يعرفوا الوجه فيه؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يصرح لهم بنفاق من يصلى عليه لأكثر من سبب، فاختلفوا فيما بينهم، وجمعهم عمر على أربع قياساً على بعض ما رأوه بنظرهم صالحاً للقياس عليه، ولا عذر للصحابة في موافقته على التصرف في هذا التشريع، حتى لو لم يعرفوا السرَّ الكامن وراء تكبيراته «صلى الله عليه وآله» المختلفة..

ولكن الهاشميين وأهل البيت «عليهم السلام»، الذين منهم أئمة الهدى، وسفينة النجاة، وهم أقرب إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وأعرف بدقائق أموره، وأسرار تصرفاته قد اطلعوا على ذلك وعرفوه.. وبينوه في الوقت المناسب ولكن بعد أن زالت الموانع..

ولو أن أمير المؤمنين «عليه السلام» أراد أن يبين هذا الحكم في وقته، وخصوصاً حين اختلاف الصحابة، حينما جمعهم عمر، للزم من بيانه لذلك مفسدة عظيمة، ولا سيما مع وجود بقايا المنافقين فيما بينهم.. وأيضاً مع

١٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وجود أبناء من صلى عليهم النبي «صلى الله عليه وآله» منهم، وعشائهم، وأقربائهم.

نعم.. إن ذلك سوف يكون صدمة عنيفة لأولئك الأقارب، لا يؤمن معها من حصول ردّات فعل لا تحمد عقباها، في مجتمع لم يزل قريب عهد بالجاهلية - على حد تعبير عمر فيما تقدم - وحيث لم تتأصل الروح الدينية في نفوسهم بعد.

فكان من الصالح أن يسكتوا عن بيان ذلك حينئذٍ مؤقتاً.. ولكنهم استمروا على ممارسة ما يعلمون أنه الحق.. لتمرّ فترة يقلُّ معها ارتباط الناس بأسلافهم، ليُمكن طرح الحقيقة وبيانها، وهكذا كان..

واستمر عمل الهاشميين على الخمس، وأخذ الآخرون بالأربع ولعل بعضهم أخذ ذلك بحسن نية، وسلامة طوية، وغفلة عن حقيقة القضية..

والآن.. وبعد أن اتضح السرُّ الحقيقي لذلك.. فإننا ندعو الجميع بكل محبة وإخلاص إلى العودة إلى ما عليه أهل البيت «عليهم السلام»، فهم مصابيح الهدى، وباب حطة، وسفينة نوح، التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى.. وهم أحد الثقلين، اللذين لن يضل من تمسك بهما، وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

الفصل الخامس:

إلى مكة.. لأجل العمرة

الكتاب الثاني

الكتاب الثاني

توطئة.. وتمهيد:

عرفنا في جزء سابق، خصصناه للحديث عن غزوة الحديبية: أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» كان قد عاقد قريشاً على دخول مكة بعد الحديبية بعام، وليس معه من السلاح إلا سلاح المسافر، وهو السيوف في القرب (جمع قراب)، بشرط أن لا يقيم بها هو وأصحابه أكثر من ثلاثة أيام، ويخرج في اليوم الرابع، بالإضافة إلى شروط أخرى وضعها «صلى الله عليه وآله» على قريش في عهد الحديبية، كما تقدم.

وبعد سنة من عهد الحديبية قصد النبي «صلى الله عليه وآله» مكة، ليؤدي مناسك العمرة، وفق ما اتفق عليه، وهو ما يعرف بعمرة القضاء.

تصحیح اشتباه:

ولكن ظاهر عبارة بعضهم: أن اشتراط تلك الأمور المشار إليها، إنما كان في عمرة القضاء نفسها، فقد قال: «..ثم خرج «صلى الله عليه وآله» معتمراً عمرة القضاء، فأبى أهل مكة أن يدعوه «صلى الله عليه وآله» يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم ثلاثة أيام الخ..»^(١).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٢ عن الأنس الجليل.

إلا أن يقال: إن كلمة «حتى» في قوله: «حتى قاضاهم» تصحيف لكلمة «حيث»، ويكون المراد: أنه كان قد قاضاهم على ذلك في الحديبية. وفي جميع الأحوال نقول:

الصحيح: هو ما ذكرناه أولاً؛ لأن هذه الشروط المذكورة في نفس عهد الحديبية، وهو قد كتب قبل عمرة القضاء بعام، فراجع..

من المدينة إلى مكة:

ومهما يكن من أمر، فإنه «صلى الله عليه وآله» عزم على العمرة في أول ذي القعدة سنة سبع، فأمر أصحابه بأن يتجهزوا لها، وأن لا يتخلف عنه أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف عنه أحد، إلا من استشهد في خير، أو مات بين الحديبية وعمرة القضاء.

وقد انضم إليهم جمع ممن لم يحضر الحديبية أيضاً، فكان المسلمون في عمرة القضاء ألفين^(١).

وكان جعفر بن أبي طالب «عليه السلام»، ممن رافق النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو ممن لم يشهد الحديبية، لأنه كان بالحجبة آنذاك.

فقال رجل من حاضري المدينة من العرب: يا رسول الله، والله، ما لنا زاد، وما لنا أحد يطعمنا.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٥ والبحار ج ٢١ ص ٤٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٢ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٨٣ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٦٢ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٥٩ ص ٦٧ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٨.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسلمين أن ينفقوا في سبيل الله تعالى، وأن يتصدقوا، وأن لا يكفوا أيديهم فيهلكوا..

فقالوا: يا رسول الله، بم نتصدق، وأحدنا لا يجد شيئاً؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: بما كان، ولو بشق تمره^(١).

وساق «صلى الله عليه وآله» في عمرته تلك ستين بدنة^(٢)، وقيل سبعين^(٣)، وقلدها، ليعلم أنها هدي، فيكف الناس عنه، وجعل عليها ناجية بن جندب، ومعه أربعة من أسلم^(٤).

واستخلف على المدينة أبا ذر، وقيل غير ذلك. وحمل معه السلاح،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٨٩ وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٣٦٢ وتفسير السمرقندي ج ١ ص ١٢٩.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٣ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٤٣ وعن السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩ والكافي ج ٤ ص ٤٣٥ والبحار ج ٢١ ص ٤٦ وتأويل مختلف الحديث ص ١٣٤ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٦ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٥ ومرواة المفاتيح للملا علي القاري ج ٥ ص ٥١٨ وج ٧ ص ٦٤٦، وراجع: نور اليقين للخنيزي، في إسلام خالد ورفيقه.

(٣) عن الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٥٤ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٦.

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٨٩ و ١٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٢٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٠ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣١٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٥.

والدروع، والرماح. وجعل على السلاح بشير بن سعد.
وقاد معه مائة فرس، عليها - كما زعموا - محمد بن مسلمة، وأحرم من
المسجد، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قَدَّم الخيل أمامه، فقبل: يا رسول الله، حملت
السلاح، وقد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاح إلا بسلاح المسافر، السيوف
في القرب؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح،
ولكن يكون قريباً منا، فإن هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريباً منا^(١).
فمضى بالخيـل محمد بن مسلمة، فلما كان بمر الظهران وجد نفرأ من
قريش، فسألوه، فقال: هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصبِّح هذا
المنزل غداً إن شاء الله، وقد رأوا سلاحاً كثيراً.

فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً، فأخبروهم بالذي رأوا من الخيل
والسلاح، ففزعت قريش، وقالوا: ما أحدثنا حدثاً، وإنا على كتابنا ومدتنا،
ففيهم يغزونا محمد في أصحابه؟!^(٢).

ثم إن قريشاً بعثت مكرز بن حفص في نفر من قريش إليه «صلى الله
عليه وآله»، فلقوه ببطن يأجج، فقالوا: والله يا محمد، ما عرفت صغيراً ولا
كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك، وقد شرطت عليهم أن
لا تدخل إلا بسلاح المسافر، السيوف في القرب؟!

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٠ والمغازي للواقدي
ج ٢ ص ٧٣٣.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٠ والبداية والنهاية
ج ٤ ص ٢٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٥.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إني لا أدخل عليهم بسلاح.

فقال مكرز: هو الذي تعرف به البرّ والوفاء.

ثم رجع مكرز إلى مكة سريعاً، وقال: إن محمداً لا يدخل بسلاح، وهو

على الشرط الذي شرط لكم^(١).

دخول مكة:

قالوا: فلما اتصل خروجه «صلى الله عليه وآله» بقريش خرجت.

وفي نص آخر: خرج كبارؤهم من مكة، حتى لا يروه «صلى الله عليه

وآله» يطوف بالبيت هو وأصحابه، عداوة وبغضاً وحسداً لرسول الله

«صلى الله عليه وآله»^(٢).

النبي ﷺ في مكة:

فدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه مكة صبيحة الرابع

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٠ و ١٩١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٢ والطبقات

الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٢١ والمغازي

للمواقدي ج ٢ ص ٧٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير

ج ٣ ص ٤٣٦.

(٢) راجع: النصوص المتقدمة في: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٢ والمغازي للمواقدي ج ٢

ص ٧٣١ - ٧٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٨٩ - ١٩١ وتاريخ الخميس

ج ٢ ص ٦٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٨ وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر

ج ٢ ق ٢ ص ٤٠.

١٥٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

من ذي الحجة^(١)، ركباً ناقته القصواء، وابن رواحة أخذ بزمامها، وأصحابه محدقون به، قد توشحوا السيوف يلبون، ثم دخل من الثنية التي تطلعه على الحجون، وهي ثنية كداء.

وكان «صلى الله عليه وآله» إذا دخل مكة قال: اللهم لا تجعل منيتنا بها، يقول ذلك من حين يدخل حتى يخرج منها.

وجعل «صلى الله عليه وآله» السلاح في بطن يأجج، موضع قريب من الحرم.

وتخلف عند السلاح مائتان من المسلمين، ثم قضى الذين كانوا معه مناسكهم، فجاء مائتان منهم فحلوا محل أولئك، فتمكنوا من السعي والطواف، وأداء مناسكهم أيضاً^(٢).

وجعل أوس بن خولي على أولئك المائتين^(٣).

وقعد جمع من المشركين بجبل قينقاع، ينظرون إليه «صلى الله عليه وآله»، وإلى أصحابه، وهم يطوفون بالبيت، وقد قال كفار قريش: إن المهاجرين أوهنتهم حمى يثرب.

وفي لفظ، قالوا: يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩١ والمبسوط للسرخسي ج ١ ص ٢٣٦ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ٢٤٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٢ والطبقات الكبرى ج ٣ ص ٥٤٢ وفي ج ٢ ص ١٢١ مائة رجل.

فأطلع الله نبيه «صلى الله عليه وآله» على ما قالوا، ثم قال: رحم الله امرأً أراه من نفسه قوة، فأمر أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة، ليروا المشركين أن لهم قوة.

فعند ذلك قال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد أوهنتهم؟! هؤلاء أجلد من كذا، إنهم لينفرون (أي يشبون) نفر الظبي، وإنما لم يأمرهم بالرمل في الأشواط كلها رفقاً بهم.

وانتهى «صلى الله عليه وآله» إلى البيت وهو على راحلته، واستلم الركن بمحجنه، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمامها، وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله إني شهدت أنه رسوله
حقاً وكل الخير في سبيله نحن قتلناكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر بن الخطاب: يا بن رواحة!! بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفي حرم الله تقول الشعر؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا عمر، إني أسمع.
أو قال: خلّ عنه يا عمر، فلهو أسرع فيهم من نضح النبل.
فأسكت عمر^(١).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٥ و ٧٣٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٢ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩١ و ١٩٢ وفي هامشه عن: البخاري ج ٧ ص ٥٧٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٤٣ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٥٧٢ =

زاد في نص آخر قوله: «يابن رواحة، قل: لا إله إلا الله وحده. نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده».

فقالها ابن رواحة، فقالها الناس كما قالها^(١).

وذكروا أيضاً: أن الذين اعتمدوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يشهدوا الحديبية، لم ينحروا، فأما من كان شهد الحديبية، وخرج في عمرة القضاء، فإنهم شركوا في الهدى^(٢).

كما أن بعض النسوة ممن شهدن الحديبية، قد اعتمدن معه «صلى الله عليه وآله».

ونحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين الصفا والمروة.

وحلق خراش بن أمية رأس رسول الله «صلى الله عليه وآله» عند المروة^(٣).

واضطجع «صلى الله عليه وآله» بردائه، وكشف عضده اليمنى، ففعلت الصحابة كذلك.

= والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٤ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٢ وراجع: سنن الترمذي ج ٤ ص ٢١٧ وسنن النسائي ج ٥ ص ٢٠٣ والشامل المحمدية ص ٢٠٣ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣٨٣ وكتر العمال ج ٣ ص ٥٨١ والجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ١٥١ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٨ ص ٩٩ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٣٥.

(١) راجع المصادر السابقة.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٣ و ١٩٤.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٧ وعن الإصابة ج ٢ ص ٢٣١ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٣٥٠.

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة ١٥٩
وهذا أول رمل واضطباع في الإسلام^(١).

الخروج من مكة:

وكان «صلى الله عليه وآله» يكأيدهم كلما استطاع، وأقام «صلى الله عليه وآله» وأصحابه ثلاثة أيام.

فلما تمت الثلاثة التي هي أمد الصلح جاء حويطب بن عبد العزى، ومعه سهيل بن عمرو إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمرانه بالخروج هو وأصحابه من مكة.

فقالوا: نناشدك الله، والعقد إلا ما خرجت من أرضنا، فقد مضت الثلاث، فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو وأصحابه منها^(٢).

وزعم بعضهم: أنهم ستروا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من السفهاء

-
- (١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٢ و ٦٣ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٢ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢ ص ٧١ والمعجم الكبير ج ١١ ص ٣٨٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٢٦ ومعاني الآثار ج ٢ ص ١٧٩ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٧٣ وسنن أبي داود حديث رقم ١٨٨٥ وعن صحيح مسلم ج ٢ ص ٩٢٣ وعن صحيح البخاري ج ٧ ص ٥٨١ وراجع: البحار ج ٨٤ هامش ص ٢٧٦ عن ابن إسحاق، وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٩.
- (٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٩ و ٧٤٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٣ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٨٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٤ وعن زاد المعاد ج ١ ص ١١٢٤.

١٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

والصبيان حتى لا يؤذوه^(١).

وبعد.. فإن لنا مع النصوص المتقدمة، وقفات عديدة، نذكر طائفة منها على النحو التالي:

المستخلف على المدينة:

قيل: استخلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» على المدينة أبا رهم الغفاري^(٢).

ولكن ابن سعد ذكر في الطبقات: أن أبا رهم قال: كنت ممن أسوق الهدى، وأركب على البدن في عمرة القضاء. وذكر أنه كان يسير إلى جنب رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣).

وقال ابن هشام: استعمل عوف (أو عويث) بن الأضبط^(٤).

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٢ وفي هامشه عن: البخاري ج ٧ ص ٥٨١ وعن البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٣٢٨ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩١ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٠ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٦٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٨٩ عنه وعن الواقدي، وتاريخ خليفة بن خياط ص ٦٠ والمسترشد هامش ص ١٣١ عن مغازي الواقدي جلد ١ ص ٧.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٢٤٤.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٨٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٢ عن القاموس، ومكاتب الرسول ج ١ ص ٣٧ وعن الإصابة ج ٤ ص ٦١٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٢٩.

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة ١٦١
وقيل: استعمل أبا ذر^(١).

الذي حلق رأس رسول الله ﷺ:

وتقدم: أن الذي حلق رأس النبي «صلى الله عليه وآله» هو خراش بن أمية، وهذا غير مسلم أيضاً، فقد روي: أنه معتمر بن عبد الله العدوي^(٢).

لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة:

وقالوا: لما كان بعد سنة من الحديبية أمر النبي «صلى الله عليه وآله» المسلمين بالتجهز لعمرة القضاء، فشكى إليه بعض المسلمين ضيق ذات اليد، فأمر «صلى الله عليه وآله» المسلمين بأن ينفقوا، ويتصدقوا، وألا يكفوا أيديهم فيهلكوا، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٨٩ عن البلاذري والبحار ج ٢١ هامش ص ٤٦ عن ابن هشام، وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٨٩ ومرواة المفاتيح ج ٧ ص ٦٤٦ وعن السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩ وراجع: نور اليقين، في إسلام خالد ورفيقه.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥ عن إمتاع الأسماع، والطبقات الكبرى ج ٤ ص ١٣٩ (معمر).

(٣) الآية ١٩٥ من سورة البقرة. وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٢ والجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٣٦٢ ومفاتيح الغيب للرازي ج ٥ ص ٢٩٣ وزاد المسير ج ١ ص ١٨٧.

ونقول:

إن سورة البقرة - كما يقولون - هي أول سورة نزلت بالمدينة^(١)، فهل بقيت هذه الآية إلى سنة سبع حتى نزلت، ثم أضيفت إلى السورة، كما يضاف غيرها حسب زعمهم؟!^(٢) خصوصاً وأن الأمر يتعلق بأمر الإنفاق في الجهاد، وقد كان المسلمون في المدينة يعانون من ضيق ذات اليد منذ اللحظات الأولى التي بدأوا يواجهون الحروب فيها بعد الهجرة..

لكننا نرى: أن السورة كلها أو طائفة كبيرة منها كانت تنزل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» دفعة واحدة، ثم تبدأ الأحداث بالتوالي، فينزل جبرئيل ليقراً عليه «صلى الله عليه وآله» الآيات التي ترتبط بها، علماً أنها كانت قد نزلت مع سائر الآيات قبل ذلك الحدث بمدة. والظاهر: أن هذا هو ما حصل بالنسبة لآية التهلكة.

آية التهلكة خاصة:

هذا.. وقد حاول البعض أن يستفيد من هذه الآية أيضاً حكماً بتحريم كل عمل يستبطن درجة من الخطورة على الجسد.

ومما لا شك فيه: أن هذه الآية ناظرة إلى تقرير حقيقة استتباع الامتناع عن الإنفاق في سبيل الله سبحانه، للعقوبة الأخروية، ولا تتعرض إلى إلقاء

(١) الدر المنثور ج ١ ص ١٧ عن أبي داود في النسخ والمنسوخ، وتفسير الميزان ج ١ ص ٥٢ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٤١١ وعن تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٨ وعن فتح القدير ج ١ ص ٥٢٥ وتهذيب الكمال ج ٣ ص ٣٣٢.

(٢) راجع: حقائق هامة حول القرآن ص ١٤٢.

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة ١٦٣
النفس في المخاطر الدنيوية، لا جوازاً، ولا منعاً.. فاستدلال البعض بها على ذلك، ليس له ما يبرره.

وقد ذكرنا في كتابنا مراسم عاشوراء: أن إلقاء النفس في المخاطر تجري فيه الأحكام الخمسة، بحسب ما يعرض من عناوين..

ومن جهة أخرى: فإن هذه الآية لا تنشئ حكماً تعبدياً، بل هي أمر إرشادي، فلا يثبت بمقتضاها أي حكم وراء ما هو ثابت في الشرع لكل مورد بخصوصه، فهي من قبيل الأوامر بإطاعة الله تعالى، وإطاعة رسوله «صلى الله عليه وآله»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾^(١).. وذلك ظاهر لا يخفى..

أحرم من المسجد:

تقدم قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أحرم من المسجد.. وليس المراد به مسجد المدينة، بل المراد به مسجد الشجرة؛ لأنه هو ميقات أهل المدينة، وإنما أحرم «صلى الله عليه وآله» منه.
وقد سئل الإمام الصادق «عليه السلام»: لأي علة أحرم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مسجد الشجرة، ولم يحرم من موضع دونه؟! فقال: لأنه لما أسري به إلى السماء، وصار بحذاء الشجرة نودي: يا محمد! قال: لبيك الخ..^(٢).

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ عن علل الشرائع ص ١٤٩ و (ط أخرى) ج ٢ ص ٤٣٣ وراجع: كشف اللثام (ط جديد) ج ٥ ص ٢١١ ورياض =

١٦٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وفي رواية أخرى عن أبي بصير: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: خصال عابها عليك أهل مكة.

قال: وما هي؟

قلت: قالوا: أحرم من الجحفة ورسول الله «صلى الله عليه وآله» أحرم من الشجرة.

قال: الجحفة أحد الوقتين، فأخذت بأدناهما وكنت عليلاً^(١).

فإطلاق الكلام عن أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحرم من مسجد الشجرة، وعدم الإشارة إلى إحرامه من المدينة، يدل على ما ذكرناه. وأصرح من ذلك وأوضح: ما روي عن الإمام الباقر «عليه السلام»، حيث قال - رداً على دعوى: أن الأفضل إحرام المرء من دويرة أهله -: «ولو كان فضلاً لأحرم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة»^(٢).

= المسائل (ط قديم) ج ١ ص ٣٥٩ و (ط جديد) ج ٦ ص ١٨٥ وجواهر الكلام ج ١٨ ص ١٠٨ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٠٠ وعن مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٩٠ والبحار ج ١٨ ص ٣٧٠ وج ٩٣ ص ١٢٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ١٩٤.

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٢٢٩ عن تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، ومجمع الفائدة ج ٦ ص ١٨٣ ومدارك الأحكام ج ٧ ص ٢١٩ ومستند الشيعة ج ١١ ص ١٨١ وجواهر الكلام ج ١٨ ص ١١١ ومستسك العروة ج ١١ ص ٢٥٣ وجامع المدارك ج ٢ ص ٣٦٣.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٢٣٢ عن معاني الأخبار ص ١٠٨ والحدائق الناضرة ج ١٤ ص ٤٤٩ ومعاني الأخبار ص ٣٨٢ والبحار ج ٩٣ ص ١٢٩.

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة ١٦٥

وفي نص آخر رد الإمام الصادق «عليه السلام» على ذلك بقوله: لو كان كما يقولون لما تمتع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بثيابه إلى الشجرة^(١)، وقريب منه غيره^(٢).

تحديد المسؤوليات في دائرة التنظيم:

وبعد، فإن الذي يراقب الأمور في عمرة القضاء يثير اهتمامه أمران: أحدهما: أنه «صلى الله عليه وآله» يهتم بتوزيع المهام، وتحديد المسؤوليات، لكي يتشارك الإحساس بالواجب الشرعي، مع الإحساس بالكرامة الفردية، والعنفوان الشخصي لمن يتحمل أية مسؤولية.. وليتم ويهتم بإنجاز المهام الموكلة إليه، بعيداً عن روح التواكل والإهمال، وفي مأمن من التقصير الذي قد يتتاب الجماعات التي لم تحدد مسؤوليات أفرادها.

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٢٣٤ وفي هامشه عن: من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٠٨ وعن تهذيب الأحكام ج ٥ ص ١٧ وراجع: منتهى المطلب (ط قديم) ج ٢ ص ٦٦٧ ومجمع الفائدة ج ٦ ص ١٨٥ وذخيرة المعاد ج ٣ ص ٥٧٦ والحدائق الناضرة ج ١٤ ص ٤٤٨ ومستند الشيعة ج ١١ ص ١٧٥ والأصول الستة عشر ص ٢٤ ومن لا يحضره الفقيه (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج ٢ ص ٣٠٦.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٢٣٤ و ٢٤٢ وفي هامشه عن: الكافي (الفروع) ج ١ ص ٢٥٤ وعن التهذيب ج ١ ص ٤٦٣ وعن من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٠٨ وراجع: مجمع الفائدة ج ٦ ص ١٨٥ وذخيرة المعاد ج ٣ ص ٥٧٦ والحدائق الناضرة ج ١٤ ص ٤٤٨ والكافي (ط مطبعة الحيدري) ج ٤ ص ٣٢٢.

١٦٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

فانطلاقاً من قاعدة: «واجعل لكل واحد منهم عملاً تأخذه به»^(١)، جعل «صلى الله عليه وآله» على الهدي ناجية بن جندب، ومعه أربعة من أسلم، وجعل على السلاح والدروع، والرماح بشير بن سعد، وأوكل أمر الخيل - وهي مائة فرس - إلى محمد بن مسلمة، كما زعموا..

الثاني: أن ذلك يشير إلى أن ثمة سعيًا حثيثاً لإرساء قواعد تنظيم يراد له أن يهيمن على الحركة العامة، وأن يخرج الأمور عن دائرة الارتجال الذي يمارسه رئيس القبيلة أو الملك، أو الحاكم، وأن يمنع من حصر كل القرارات التفصيلية بشخص واحد، قد يعجز عن الإحاطة بكل الجزئيات التي يحتاج إلى معرفتها، ليكون قراره صحيحاً ودقيقاً.

إذ بدون هذه الإحاطة الدقيقة تصبح احتمالات إخفاقه في ذلك، وقصور قراراته عن استيعاب جميع المواقع التي يحتاج إليها، أكثر قوة، وأشد حضوراً في الحركة العملية.

لا يتخلف من شهد الحديبية:

وكما جرى في خيبر، جرى في عمرة القضاء أيضاً.. فقد اشترط «صلى الله عليه وآله» هنا كما اشترط هناك حضور من شهد الحديبية، بفارق واحد

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ٥٧ وراجع: تحف العقول ص ٨٧ وعيون الحكم والمواعظ ص ٨٥ والبحار ج ٦٨ ص ١٤٣ و ج ٧١ ص ٢١٦ و ٢٣٣ ومستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ٤٣ ونهج السعادة ج ٤ ص ٣٣٣ وموسوعة الإمام الجواد ج ٢ ص ٥٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٦ ص ١٢٢ ونظم درر السمطين ص ١٦٩ وكنز العمال ج ١٦ ص ١٨٣.

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة..... ١٦٧
بسيط، وهو: أنه «صلى الله عليه وآله» حين جاء المخلفون يريدون أن يخرجوا معه إلى خيبر، وقالوا: إنها ريف الحجاز طعاماً، وودكاً، وأمواً، بعث «صلى الله عليه وآله» منادياً فنادى: لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد، فأما الغنيمة فلا^(١).

أما في عمرة القضاء، فإنه لم يمنع أحداً من المسير معه إلى العمرة، بل اكتفى بإعلان حتمية حضور أهل الحديبية معه فيها. ولم يكن في عمرة القضاء غنائم ليعلم حرمان أو عدم حرمان أحد منها..

ولذلك انضم إليه جمع ممن لم يحضر الحديبية.

والسر في هذا وذاك يمكن رسم معالمة على النحو التالي:

١ - أما الأسباب بالنسبة لعمرة القضاء فهي:

أولاً: إن هذه العمرة هي أداء نسك ظل الناس محرومين من أدائه مدة طويلة، ولم يكن النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» ليحرم أحداً من أداء نسكه، أو أن يمنعه من القيام بعبادة ربه.

ثانياً: إن التنصيص على لزوم حضور أهل الحديبية يتضمن التعريض بغيرهم، وتعريف الناس بأن تخلفهم عنه «صلى الله عليه وآله» في تلك الغزوة كان بلا مبرر معقول أو مقبول.

ولابد أن يكون هذا درساً لهم ولغيرهم، ويفهمهم: أن التخلف عن طاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعرضهم للحرمان من أن يكونوا في

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٣٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١١٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٢٦.

مواقع التفضل، والرضا، ويوجب لهم انتكاسات لا يروق لهم أن يعرضوا أنفسهم لها.

ثالثاً: إن هذا التخصيص يمثل تكريماً وتعظيماً لمن حضر الحديبية، وهو إعلان بأن حضورهم هناك كان ذا قيمة وذا أهمية، ومن شأن هذا أن يعطيهم، المزيد من الاندفاع نحو الطاعة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، والحرص على الكون في مواقع رضا الله تبارك وتعالى.

رابعاً: إن حضور المتخلفين عن الحديبية إلى مكة، التي كانت طيلة سنوات لا يأتيهم منها إلا الشرور والمتاعب، والبلايا والمصائب، يجعلهم أكثر شعوراً بعظمة الإنجاز الذي حققه إخوانهم الذين تخلفوا هم عن مشاركتهم، وخذلانهم قبل عام.. ثم هو يثير فيهم الشعور بالحسرة والندم على ما فرط منهم. ويدفعهم نحو التوبة النصوح بقوة وحزم وإخلاص.

٢ - وأما بالنسبة لما جرى في خير، فالمقصود به هو: تخصيص من حضر الحديبية بالمكافأة، التي لا يستحقها المتخلفون، لأن الله قد جعل هذا الفتح جائزة وثواباً لهم ﴿وَأَنَابَهُمْ فَتَنَّا قُرَيْبًا، وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١).

وبذلك يتشجع المحسنون لمضاعفة إحسانهم، ويكون في هذا الإعلان بتكريمهم من التعظيم والإجلال لهم ما يسعدهم، ويفرح أرواحهم، ويهيج قلوبهم.

كما أن فيه إعلاناً بسوء فعل من تخلف، وتقبيحاً لتمرده على الأوامر

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة ١٦٩

النبوية، وتحذيراً وإنذاراً لمن تحدّثه نفسه بأن يتأسى بهم، وتحتم عليه أن يقلع عما عقد العزم عليه، فإن فيه فضيحة لا يرضاها أهل الكرامة، وخزي يأباه أهل الحفاظ.

تقليد الهدى، وحمل السلاح:

والظاهر هو: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يريد دخول مكة من خلال تحطيم عنقوان الشرك، وإسقاط مقاومته من الداخل. أي أنه يريد أن يهزم المشركين نفسياً، من خلال تكوين قناعة لديهم بعدم جدوى مقاومتهم لهذا الدين، والإدراك عملياً بأن حصاد هذه المقاومة لن يكون سوى الدمار والبوار، والمزيد من الخييات المريعة والمخزية لهم، ليتوصل «صلى الله عليه وآله» - من خلال إذكاء هذا الشعور فيهم - إلى إخراج مكة والبيت العتيق من أسرهم، من دون أن تراق فيه محجمة من دم، صيانة منه «صلى الله عليه وآله» لحرمة الحرم، وحفاظاً على مكانة البيت وموقعه وحفظاً له من أن يتجرأ عليه أحد، عبر الأحقاب والدهور..

فلأجل ذلك ترى: أنه في نفس الوقت الذي يجهز فيه أمة كبيرة من الناس لدخول مكة للاعتمار، ويستصحب معه الخيل والسلاح، والدروع والرماح، ويقود معه مائة فرس، ويقدمها هي والسلاح أمامه، حين بلغ ذا الحليفة^(١).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٣ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩ والبحار ج ٢١ ص ٤٦ ومروحة الجنان ج ٧ ص ٦٤٦ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٠.

١٧٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

تراه «صلى الله عليه وآله» يبالغ في إعطاء التطمينات بأنه لا يريد حرباً ولا قتالاً في مسيره ذاك، فهو يقلّد الهدى ليُعلم أنه هدي، فيكف الناس عنه..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» لا يخرج نفسه عن دائرة الحذر والاحتياط، فيجعل السلاح قريباً منه، تحسباً لأي طارئ، حتى إنه لما دخل مكة جعل السلاح في بطن يأجج، وهو موضع قريب من الحرم، وجعل لحراسته أوس بن خولي في مائتي رجل، ليمنع بذلك أهل الخيانة والغدر، من التفكير بالغدر، أو افتعال أي ذريعة للخيانة.

قصور النظر لدى بعض المسلمين:

وقد أظهر بعض المسلمين قصور نظر، أو سوء نية حين تظاهر بالاستغراب من أمر السلاح، وقال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، أحملت السلاح، وقد شرطوا علينا ألا ندخل عليهم إلا بسلاح المسافرين؛ السيوف في القرب؟!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنا لا ندخلها عليهم الحرم، ولكن تكون قريباً منا؛ فإن هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريباً منا.. فقال له ذلك الرجل: يا رسول الله، تخاف قريشاً على ذلك؟! فأسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقدم البدن^(١).

ونحن لا نستطيع أن نسكت على هذا التعبير القبيح والوقح، وهو

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٣ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٠ عن الواقدي.

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة ١٧١

قوله: «فأسكت رسول الله!! فإنه مناف للأدب معه «صلى الله عليه وآله»، كما أنه بجانب للحقيقة..

والحقيقة هي: أنه «صلى الله عليه وآله» قد سكت عن رجل ضعيف البصيرة، حامل التفكير، سقيم النظر، ومؤثراً عدم بسط القول معه؛ لأن ذلك الاسترسال، قد يؤدي إلى تسليط الضوء على أمور ليس من المصلحة التعرض لها.

وبقي هذا الاحتياط النبوي بحمل السلاح هو الإجراء الصحيح والضروري، وهو الموافق للحكمة والتدبير السليم، إذ لم يكن من الجائز للعاقل الأريب أن يظهر من نفسه الغفلة والاستنامة، مع عدو عرف بالغدر، والانطواء على نوايا مدخولة، وأهداف شريرة.

يضاف إلى ما تقدم: أن من المصلحة تعريف الناس بحقيقة هذا العدو الذي يواجهه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه عدو غير مأمون على الوفاء بتعهداته، وأن نهجه خياني وغادر، في حين لم يزل نفس ذلك العدو يشهد له «صلى الله عليه وآله» بأنه لم يزل يعرفه بالوفاء والاستقامة، من صغره إلى كبره، وفي جميع الأوقات والحالات..

وآخر ما نقوله هنا هو: أن المقصود من جعل السلاح قريباً منه: هو إرهاب ذلك العدو، وتعريفه بأن التفكير في غير سياق الوفاء بالعهود، سوف يعيد الأمور إلى مجراها الأول وهو مقاومة الظلم والبغي، وأن ليس ثمة أي خلل أو قصور في التصميم على نشر هذا الدين، وأن العزم لا يزال منعقداً على متابعة المسيرة، فلا مجال للمساومة، ولا للتراخي في شيء من الحقوق التي جعلها الله تعالى للمسلمين والمستضعفين، مهما طال الزمن،

فلا فائدة من التأمر، ولا جدوى من خيانة العهود، إلا المزيد من المآسي والرزايا، والنكبات والبلايا.

رعب قريش وحيرتها:

وبالعودة إلى موضوع تقديم رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخيل أمامه، حتى بلغت مر الظهران، فرأى أولئك النفر من قريش - أو الذين كانوا هناك - خيلاً كثيرة، وسلاحاً وفيراً.. فطاروا بالخبر إلى قريش، التي فزعت من ذلك، وتحيرت، وظنت أن ثمة غزواً لها من قبله «صلى الله عليه وآله»..

إننا بالعودة إلى ذلك نقول:

لقد كان هذا التصور هو ما يريده النبي «صلى الله عليه وآله»؛ لأن ذلك يعني: أن هذه المفاجأة قد أثمرت ما يلي:

أولاً: وضع قريش على محك المفاجآت لتقرب من التفكير بموضوعية وواقعية، فلا تستسلم لخيالاتها وأوهامها، التي قد توحى لها بأن الأمور تسير على وتيرة واحدة، أو تتوهم أن من الممكن أن تعرض للنبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين غفلة، تستطيع الاستفادة منها، في تسديد ضربتها الغادرة.

فإن شعورها ذاك، وتوهمها هذا، يثير فيها الرغبة الجارحة إلى أن تخطط، وتدبر، وتتأمر.. على أمل أن تنجح بتغيير المعادلة، إذا أصابت غرة من عدوها الغافل عما دبرته له، وكادته به.

ولكنها إذا عرفت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يفكر في كل اتجاه، ويلاحق كل صغيرة وكبيرة، فسوف لا تجرؤ على الدخول في مغامرة خطيرة من هذا القبيل.

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة ١٧٣

ثانياً: إن هذه المفاجأة التي حيرت قريشاً، دفعتها إلى الاعتراف لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه ما عرف بالغدر صغيراً، ولا كبيراً، بل كان البر الوفي في جميع أحواله وشؤونه.

ولابد أن تكون قد استحضرت في مقابل ذلك ما كان منها طيلة عشرين سنة تجاهه «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، من ظلم وغدر، وقطيعة رحم، وأذى.

كما أن لهذا الاعتراف أهميته البالغة، في فضح حقيقتها، وتعريف الناس بمدى شناعة وقباحة فعلها، فيما مضى، ثم فيما يأتي، حيث إنها سوف تغدر به، بعد أقل من سنة من هذا التاريخ، وتضطره إلى دخول مكة على غير هذه الصورة، وهو ما عرف بفتح مكة.

ثالثاً: كانت قريش تعلم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين حققوا أعظم الانتصارات وأجلها في المنطقة بأسرها، سواء على المشركين، أم على اليهود، ولا بد أن تتوقع منه التفكير فيما هو أبعد من ذلك.

فقد هالها أن تراه يفكر ويبادر إلى نشر هذا الدين فعلاً في أرض الحبشة، وكان النصر حليفه في ذلك، وها هي تراه قد أرسل إلى جبابرة الأرض يطالبهم بالاستجابة لأمر الله تعالى، والإيمان بنبوته.

هذا، على رغم أن أعداد أنصاره كانت لا تزال قليلة، وعُدَّتْهم ضئيلة.. فكيف وقد تضاعف العدد، وقويت العدة، وأصبح المسلمون أسياد المنطقة بأسرها. وصار الكل يرهب جانبهم، ويطمح إلى إنشاء علاقات طبيعية معهم؟!

رابعاً: إذا ظهر أن هؤلاء الأقوياء لم تسلمهم قوتهم المتنامية، ولا كثرة

١٧٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

عددهم إلى الغرور، ولم تؤثر انتصاراتهم في حقيقة ومستوى التزامهم بعهودهم، وبشعاراتهم، وبمبادئهم، وقيمهم، وبأحكام دينهم، وأخلاقهم قيد شعرة.

فذلك من شأنه: أن يهزَّ وجدان الكثيرين من الناس، وأن يدعوهم إلى احترامهم، وإلى الثقة بهم، والسكون إلى كل ما يقولونه ويفعلونه..

الحقد هو الحاكم، وليس المنطق:

وبعد، فقد ذكر النص المتقدم: أن كبراء قريش خرجوا من مكة، حتى لا يروا النبي «صلى الله عليه وآله» يطوف بالبيت هو وأصحابه، حسداً، وعداوة، وبغضاً له «صلى الله عليه وآله».

فإذا كان الكبراء والرؤساء تسيرهم مشاعرهم، ويتخذون مواقفهم انطلاقاً من البغض، والحسد والحقد، لا من خلال التفكير والتروي، ووزن الأمور بميزان العقل والحكمة، فماذا نتوقع من عامة الناس يا ترى.. فهل تراهم سوف يتصرفون على عكس ما يجدونه من كبرائهم ورؤسائهم؟! خصوصاً مع ما هو معروف من أن عامة الناس على دين ملوكهم، ولهم يكون سعيهم، وهم يبذلون غاية جهدهم في إجابة مطالبهم، وتحقيق رغباتهم ومآربهم..

وذكرنا فعل هؤلاء، وما نتوقعه من أولئك بقول الشاعر:

إذا كان رب البيت بالطلب ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ظهور الوهن في المهاجرين:

وبمجرد أن عرفت قريش بمسير النبي «صلى الله عليه وآله» بدأت شائعاتها تلاحق المسلمين، فقد ذكروا: أنه لما نزل النبي «صلى الله عليه وآله» مرّ الظهران في عمرته، بلغ أصحابه: أن قريشاً تقول: ما يتباعثون من العجف.

فقال أصحابه: لو انتحرنّا من ظهرنا، فأكلنا من لحمه، وحسونا من مرّقه، أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جمامة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تفعلوا، ولكن اجمعوا إلي من أزوادكم.

فجمعوا له، وبسطوا الأنطاع، فأكلوا حتى تركوا، وحشى كل واحد منهم في جرابه^(١).

وقد تقدم: أن جمعاً من المشركين حين نظروا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه، وهم يطوفون، لفت نظرهم المهاجرون دون غيرهم، رغم اختلاط الناس بعضهم ببعض، ورغم قلة عدد المهاجرين بالقياس إلى ذلك العدد الكبير من غيرهم، فقالوا: إن المهاجرين أوهنتهم حمى يثرب.

وببقى هنا أمامنا سؤالان:

السؤال الأول هو: لماذا نسبوا ما يلاحظونه من تعب ووهن في المهاجرين إلى الحمى، ولا ينسبونه إلى تعب السفر ومشقاته؟!

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٢٠٥ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٨٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩١ وج ٩ ص ٤٨٥ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٧.

والجواب: لعلمهم أرادوا الإيحاء للضعفاء من الناس ولأنفسهم: بأن هذا الوهن كامن في عمق شخصية أولئك الأفراد، وأنه ثابت ودائم فيهم، وليس أمراً عارضاً بسبب متاعب ومشقات السفر، لكي يزول بمجرد الراحة والجمام.

والسؤال الثاني هو: لماذا خصوا كلامهم بالمهاجرين دون غيرهم؟!

ونجيب:

أولاً: إن بعض الروايات قد ذكرت ذلك بصيغة تعم المهاجرين والأنصار، وأنهم قالوا: يقدم عليكم قوم أوهنتهم حمى يثرب..

ثانياً: لعل بعضهم خص الكلام بالمهاجرين، وبعضهم أطلقه ليشمل غيرهم معهم.

ثالثاً: إن وجود المهاجرين بين المسلمين يزيد في حسرة قریش، وفي إحراجها أمام الناس العاديين، الذين يرون أن لهم أقرباء في المسلمين، فلماذا يقسون عليهم، فلعل الأيام تعيد الأمور إلى مجاريها، ويجتمع شملهم بهم؟! فإذا أظهرت قریش: أن هؤلاء المهاجرين الأقارب لم يسعدوا بتركهم مكة، بل واجهوا الأمراض، وابتلوا بالوهن والضعف، فذلك يقلل من درجة الحنين أو الميل إلى مشاركتهم في ما هم فيه. ما دام أن ثمن ذلك سيكون ضعفاً وهناً..

أما الأنصار، فقد كانوا قحطانيين، ولا تربط أهل مكة العدنانيين بهم روابط عميقة، ولا يجدون في أنفسهم ميلاً للكون معهم، ومشاركتهم في حلو الحياة ومرها..

وأما المشركون الذين تحدثوا بصيغة التعميم لصفة الضعف والوهن حتى تشمل جميع من جاء مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فلعلمهم أرادوا أن

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة ١٧٧

يصدوا الناس عن التفكير في المدينة من حيث هي منشأً للحمى الموجبة للضعف، والوهن لكل من يسكن فيها!

إظهار القوة.. يبطل كيدهم:

وحين أطلع الله عز وجل نبيه «صلى الله عليه وآله» على مقاتلتهم هذه، طلب من أصحابه إظهار القوة، وأطلق دعاءه بالرحمة لمن يفعل ذلك.

ولم يُرَدْ «صلى الله عليه وآله» أن يجسد هذه القوة في حركات تستبطن التحدي، أو الادعاء القوي، بل أراد تجسيدها بطريقة تظهر حقيقة وجودها بالفعل في واقع نفس كل واحد من أصحابه، ولذلك قال لهم: «أراهم من نفسه قوة»، أي أنه يريد أن يرى المشركون القوة نفسها في حركة الجسد، لا أن يسمعهم ادعاءات وجودها.

واختار أن يجسدها في نفس ممارستهم العبادية، فأمرهم بالرمل - وهو ضرب من المشي السريع - في الأشواط الثلاثة.

كما أن طريقة المشي هذه تستبطن ما يشبه الوثبة مع كل خطوة، ولهذا تأثيره القوي في إعطاء الانطباع المطلوب.

وقد فاجأت حركات المسلمين هذه أهل الشرك، فجاء الاعتراض القوي من قبل أولئك الذين أُريد تضليلهم، بادعاء تأثير حمى يثرب في وهن قوتهم، وكان اعتراضاً يستبطن تكذيب هذا الزعم.

فقالوا: «هؤلاء الذين زعمتم: أن الحمى قد وهنتهم؟! هؤلاء أجلد من

كذا (أو أجلد منا)، (أو ما يرضون بالمشي) أما إنهم لينفرون نفر الظبي^(١).

إجراء آخر لإظهار القوة:

وبعد هذا الاستعراض العملي، جاء إجراء عملي آخر، ليرسخ ذلك الانطباع الذي تركه الإجراء الأول، من حيث إنه يريد أن يفهمهم: أن ما جرى في الطواف لم يكن أمراً عابراً، فرضته مناورة ومكابرة، بل هو يستند إلى مخزون حقيقي من القوة الكامنة في كيان أولئك الأفراد أنفسهم.

ويتلخص هذا الإجراء: في أنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى الاضطباع، ثم الكشف عن عضده اليمنى. ففعل الصحابة كذلك.. قالوا: وهذا أول رمل واضطباع في الإسلام^(٢).

ونلاحظ هنا:

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر هو نفسه لممارسة نفس الفعل الذي كان يفترض أن يأمر أصحابه به، فاضطبع، وأخرج يده.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٢ وعن مسند أحمد ج ٣ ص ٥٠٢ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٦٠٧ وراجع: المجموع ج ٨ ص ٤١ وتلخيص الحبير ج ٧ ص ٣٢٥ ومغني المحتاج ج ١ ص ٤٩٠ وإعانة الطالبين ج ٢ ص ٣٣٨ والمغني لابن قدامة ج ٣ ص ٣٨٧ وفقه السنة ج ١ ص ٧٠٢ عن مسند أحمد ج ١ ص ٢٩٥ وعن صحيح مسلم ج ٤ ص ٦٥ وعن سنن أبي داود ج ١ ص ٤٢١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٨٢ وتحفة الأحوذى ج ٣ ص ٥٠٤ ونصب الراية ج ٣ ص ١٢٤ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ وعن أسد الغابة ج ١ ص ٢٢.

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة ١٧٩

ثانياً: لم يتضح لنا هل اضطلع «صلى الله عليه وآله»، قبل الطواف، أو بعده؟!

ثالثاً: إن أصحابه «صلى الله عليه وآله» قد اقتدوا به، من دون أن يحتاج إلى أن يأمرهم بذلك.

رابعاً: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما كشف عن عضد اليد اليمنى، التي تتولى عادة القبض على مقابض السيوف والرماح، وتورد الضربات المهلكة على الأعداء. ليرتك ظهور عضلات هذه اليد بالذات أثراً في نفوس الأعداء. وقد روي أن ابن عباس سئل، فقيل له: يزعمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمر بالرمل حول الكعبة.

فقال: كذبوا وصدقوا.

قلت: وكيف ذلك؟!

فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دخل مكة في عمرة القضاء وأهلها مشركون، فبلغهم أن أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» مجهودون، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «رحم الله امرء أراهم من نفسه جلدأ». فأمرهم، فحسروا عن أعضادهم، ورملوا بالبيت ثلاثة أشواط، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على ناقته، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمامها، والمشركون بحيال الميزاب ينظرون إليهم.

ثم حج رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك، فلم يرمل ولم يأمرهم بذلك، فصدقوا في ذلك، وكذبوا في هذا^(١).

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ٤٢٩ وراجع: الحقائق الناضرة ج ١٦ ص ١٢٨ =

١٨٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

خامساً: المروي عن أهل البيت «عليهم السلام»: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اكتفى بالرمل، وبكشف عضده، وأنه فعل ذلك في عمرة القضاء، وقد حج بعد ذلك، ولم يفعل، ولم يأمر بشيء من ذلك^(١).

سادساً: إن الاضطباع للمحرم عند أهل السنة: هو إدخال الرداء تحت الإبط الأيمن، وتغطية الأيسر، وبذلك يتم إظهار أحد ضبعيه. والضبع: وسط العضد بلحمه.

وقيل: العضد كلها.

وقيل: الإبط^(٢).

وفي جميع الأحوال نقول:

إن الذي فرض الاضطباع هو حالة خاصة، عاجلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذه الطريقة، فيبقى الأمر مرهوناً بها، ولا مجال لإحراز بقاء

= ورياض المسائل (ط جديد) ج ٧ ص ٤١ وجواهر الكلام ج ١٩ ص ٣٥١ ومستدرک الوسائل ج ٩ ص ٣٩٤ والبحار ج ٩٣ ص ٣٥٣ وراجع صحيح ابن حبان ج ٩ ص ١٥١.

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ٤٢٨ و ٤٢٩ وفي هامشه: من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٣٥، وعن فقه الرضا ص ٢٣ وراجع: علل الشرائع ج ٢ ص ٤١٢ و ٤١٣ وعن الكافي (الفروع) ج ١ ص ٢٧٩ وعن تهذيب الأحكام ج ١ ص ٤٧٧ وراجع: الحقائق الناضرة ج ١٦ ص ١٢٨ ورياض المسائل (ط جديد) ج ٧ ص ٤١ وجواهر الكلام ج ١٩ ص ٣٥١ ومستدرک الوسائل ج ٩ ص ٣٩٤ والبحار ج ٩٣ ص ٣٥٣.

(٢) راجع: مادة ضبع في كتب اللغة، مثل أقرب الموارد ج ١ ص ٦٧٦ وكتاب العين ج ١ ص ٢٨٤ ولسان العرب ج ٨ ص ٢١٦.

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة ١٨١

هذا كتشريع مستمر بعده «صلى الله عليه وآله». فكيف إذا ورد عن أهل بيت العصمة «عليهم السلام» ما يدل على أنه حالة خاصة، وليس لها أي صفة شرعية؟!

... و... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

...

...

...

...

الفصل السادس:

من مكة إلى المدينة

دریغ و لیسای رانصفا

وینا ریا ای ختمه نه

هل كان أبو هريرة مع الهدي؟!

ذكر الواقدي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جعل ناجية بن جندب الأسلمي على هديه، ومعه أربعة فتيان من أسلم^(١).
ولكننا نجد في مقابل ذلك: أن أبا هريرة الدوسي يدعي ويقول: كنت ممن صاحب البدن أسوقها.
كما أن عبيد بن أبي رهم قال: أنا كنت ممن يسوق الهدي، وأركب على البدن^(٢).

مع أن أبا هريرة لم يكن أسلمياً، ولم نجد لعبيد بن أبي رهم ترجمة تدلنا على قبيلته، ولم نجد أبا رهم في بني أسلم..
إلا أن يقال: إن الذين وظفهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الهدي هم الأسلميون، فلا يمنع ذلك من مشاركة غيرهم لهم على سبيل

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٠ ودلائل النبوة ج ٤ ص ٣٢٠، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٥.
(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٣، وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٢٤٤.

التبرع، والمبادرة الشخصية..

على أننا لا نستبعد أن يكون المقصود: هو التبجح بأمر لم يحصل منه إلا السير، إذ لا مانع من أن يبادر شخص فيسوق الهدى ولو لدقائق، لكي يقول للناس: لقد سقت الهدى، وليثبت لنفسه شرفاً وكرامة، مهما كان ذلك ضئيلاً، وغير ذي بال!!

شعر ابن رواحة:

وعن شعر عبد الله بن رواحة «رحمه الله» نقول:

إن لنا تحفظاً على قوله: «نحن ضربناكم على تأويله»، لأن قريشاً وأهل مكة لم يسلموا بعد، ولم يقرؤوا بالتنزيل، ولم يتأولوا القرآن على خلاف ما أنزل الله تعالى، ولم يقاتلهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على تأويله.. وإنما حاربهم علي «عليه السلام» على تأويله بعد استشاده «صلى الله عليه وآله»..

ولأجل ذلك قال ابن هشام: «نحن قتلناكم على تأويله»، إلى آخر الأبيات، لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم، قال السهيلي: يعني يوم صفين^(١). إلا أن يقال: إن عبد الله بن رواحة كان قد سمع من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن علياً «عليه السلام» سوف يقاتل هؤلاء القوم على تأويل القرآن، كما قاتلهم على تنزيله، فأورده في شعره، على سبيل تنزيل الأمر الذي لم يحصل بعد منزلة الحاصل، فأخبر عنه بواسطة الفعل الماضي.

(١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٦
والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣١.

الفصل السادس: من مكة إلى المدينة ١٨٧

ومن الواضح: أن هذا الاحتمال لا يصار إليه إلا بقرينة ودليل، لأنه خلاف الظاهر.

وزعم الحلبي: أنه لا يمنع أن يكون عمار قد أخذه من ابن رواحة وتمثل به^(١).
ونقول:

ذكرنا: أنه لا معنى لأن يقول ذلك ابن رواحة، وليس الإشكال في إيراد عمار لهذا الشعر، خصوصاً لقوله:

اليوم نضربكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
فما ذكره لا أثر له في دفع هذه المؤاخذة..

خطأ يقع فيه الترمذي:

وذكر الصالحى الشامى: أن أبا عيسى الترمذى بعد أن ذكر رجز ابن رواحة، قال:

وفي غير هذا الحديث: أن هذه القصة لكعب بن مالك، وهو الأصح، لأن عبد الله بن رواحة قتل بمؤتة، وكانت عمرة القضاء بعد ذلك.

قال الحافظ: وهو ذهول شديد، وغلط مردود. وما أدري كيف وقع الترمذي في ذلك، ومع أن في قصة عمرة القضاء، اختصام جعفر، وأخيه علي، وزيد بن حارثة في بنت حمزة، وجعفر قتل هو وزيد وابن رواحة في موطن واحد، فكيف يخفى على الترمذي مثل هذا؟!

ثم وجدت عند بعضهم: أن الذي عند الترمذي من حديث أنس: أن

ذلك كان في فتح مكة. فإن كان كذلك اتجه اعتراض الترمذي.
لكن الموجود بخط الكروخي، راوي الترمذي، هو ما تقدم. وكذلك
رأيته في عدة نسخ من جامع الترمذي^(١).

يا عمر، إني أسمع:

ويستوقفنا هنا قول عمر بن الخطاب: يابن رواحة.
ثم قول النبي «صلى الله عليه وآله»: يا عمر، إني أسمع.
فهل هذا الخطاب من عمر، خطاب توعد وتهديد لابن رواحة؟
أو هو خطاب تحذير له، من أن يسمعه أهل الشرك، فتثور ثائرتهم؟
أو هو خطاب يستبطن الاتهام بعدم رعاية جانب رسول الله «صلى الله
عليه وآله»، باعتبار أنه لم يسبق إذن منه «صلى الله عليه وآله» لابن رواحة
بهذا الإنشاد؟!

فقد يقال: إن التهديد والوعيد هو الأرجح والأظهر هنا، بملاحظة ما
ورد في الرواية نفسها، فهي تقول:
«فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا عمر، إني أسمع. فأسكت
عمر».

فلولا أن عمر كان غاضباً وحانقاً، ومتوعداً لم يكن وجه لقوله: فأسكت
عمر. الظاهر في أنه قد كف عن متابعة أقواله قسراً وجبراً..
ثم إن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: يا عمر إني أسمع، قد أريد به أمران:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٧ وراجع: تحفة الأحوذى ج ٨ ص ١١٢ وعن
فتح الباري ج ٨ ص ٢٨٤.

أحدهما: إعلام عمر بأنه «صلى الله عليه وآله» راض بقول ابن رواحة، وبأنه «صلى الله عليه وآله» قد حسب لكل شيء حسابه، فلا داعي للخوف من ردة فعل المشركين، التي ربما يجد فيها عمر ما يؤذيه، أو يؤذي توجهاته..

الثاني: صد عمر عن مواصلة هجومه وتحدياته لابن رواحة.

وقد قلنا: إن البعض ربما يرى أن احتمال إرادة تطمين عمر غير وارد؛ لأن أهل الخير من المؤمنين والمسلمين يشعرون أنهم في أمن وأمان، وهم على يقين من حسن تدبير رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا يخالجهم شك في ذلك. فيتعين أن يكون المراد: الصد لعمر عن وعيده، وتهديده، وهذا هو الأوفق بلحن الكلام وسياقه..

امشوا بين اليماني والأسود:

وذكر الواقدي: أن جبرئيل «عليه السلام» نزل على النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: إن المشركين على الجبل، وهم يرونكم، امشوا بين اليماني والأسود، ففعلوا^(١).

ونقول:

لم نفهم معنى لإصدار الأمر للمسلمين، وهم ألفا رجل، جاؤوا للطواف بالبيت، بأن يمشوا بين اليماني والأسود!!

فإن ذلك غير ممكن، بل غير قابل للتصور.

بل الظاهر: أنه «صلى الله عليه وآله» أمرهم بالطواف بين مقام إبراهيم،

١٩٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وبين الحجر الأسود. وذلك لكي يظهر للمشركين الذين يراقبونهم من فوق الجبل: أنهم كتلة واحدة، متراسة، شديدة التلاحم، توحى بالقوة، والتناصر.. بدلاً من أن يتفرقوا أفراداً وجماعات في أكناف المسجد وأطرافه، فيظهر لهم - للمشركين - أحجام أفرادهم، وتبدو لهم الفُرَجُ فيما بينهم، فتقحمهم أنظارهم باستخفاف، وتوحى لهم تلك الفرج الخالية بين الأفراد بالتجزئة المظهرة لصغر الأحجام، التي تشي بالضعف، وبالتشتت والتفرق.

أذان بلال فوق ظهر الكعبة:

وقالوا: إنه لما قضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نسكه دخل البيت، فلم يزل فيه حتى أذن بلال بالظهر فوق ظهر الكعبة، امتثالاً لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال عكرمة بن أبي جهل: لقد أكرم الله أبي، حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول.

وكذلك قال صفوان بن أمية.

وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أمات أبي، ولم يشهد هذا اليوم، حين يقوم بلال ابن أم بلال ينهق فوق الكعبة.

وأما سهيل بن عمرو، ورجال معه، فحين سمعوا ذلك غطوا وجوههم. وفي شرح النهج للمعتزلي: أن خالد بن سعيد بن العاص قال: الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يدرك هذا اليوم.

وقال الحارث بن هشام: واثكلاه! ليتنى مت قبل هذا اليوم، قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة!

الفصل السادس: من مكة إلى المدينة ١٩١

وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله الحدث العظيم، أن يصيح عبد بنى جمح، يصيح بما يصيح به على بيت أبي طلحة^(١).

وقالوا: إن بلالاً قد أذن فوق الكعبة يومئذ مرة واحدة، ولم يعد بعد، وهو الثبت^(٢).

وقالوا أيضاً: إن المشهور هو أن بلالاً أذن فوق الكعبة في يوم الفتح، لا في عمرة القضاء^(٣).

ثم قالوا: لم يدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكعبة في عمرة القضاء، وقد طلب ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المشركين، فأبوا، وقالوا: لم يكن في شرطك^(٤).

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٨٤ والدرجات الرفيعة ص ٣٦٥ وراجع: الوفا بتعريف فضائل المصطفى.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٧ و ٧٣٨ والبحار ج ٢١ ص ٤٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٣ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٢٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٨ و ٤٣٩.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥، وحول أذان بلال يوم الفتح راجع: المصنف لابن أبي شيبة ج ١ ص ٢٥٣ وج ٨ ص ٥٣٩ وكثر العمال ج ١٠ ص ٥١٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٤٨ والمصنف للصنعاني ج ١٠ ص ٣٩٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٠ ص ٤٦٦ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٥٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٧٥ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ١٩ ص ١٤٧.

(٤) المغازي ج ٢ ص ٧٣٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥.

ونقول:

الراجع من الاحتمالات والأقوال:

إننا بالنسبة للاختلاف في دخول النبي «صلى الله عليه وآله» إلى داخل الكعبة، وأنهم منعه من ذلك، أو عدم حصول شيء من ذلك نقول: نحن نرجح: أنهم قد منعه من دخولها في عمرة القضاء؛ وقالوا له: إن ذلك لم يكن في شرطك، وهو إنما دخلها في فتح مكة^(١)، وفي حجة الوداع^(٢). وبالنسبة إلى أذان بلال فوق الكعبة في عمرة القضاء، أو فيها وفي حجة الوداع معاً، نقول:

كلاهما محتمل، وسيأتي أيضاً: أنه أذن فوق الكعبة يوم الفتح، ولكننا نرفض احتمال أن يكون أذان بلال مختصاً بحجة الوداع دون سواها؛ لأن الأقوال المنقولة عن زعماء قريش وإهاناتهم له، تؤيد وتناسب أن يكون قد أذن على ظهر الكعبة في عمرة القضاء وفي فتح مكة أيضاً.

(١) مستند الشيعة ج ١٣ ص ٨٤ ومستدرک الوسائل ج ٩ ص ٣٦٠ والبحار ج ٩٣ ص ٣٥٧ ونيل الأوطار ج ٢ ص ١٤٧ والمعجم الصغير ج ١ ص ٧٧ و ٧٨ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٧٥ وسير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ١٥٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٤٧ وعن السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٧٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٧١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٧١ وشرح مسلم للنووي ج ٩ ص ٨٤ والديباج على مسلم ج ٣ ص ٧٣.

(٢) تلخيص الخبير ج ٣ ص ٢٢٢ وشرح مسند أبي حنيفة ص ٧٨.

لماذا بلال؟!

لقد كان العرب يأنفون من إعطاء أي دور للموالي، وكانوا يحتقرونهم، ويسئون معاملتهم، ويحرمونهم من أبسط حقوقهم، ولعلمهم أخذوا ذلك من اليهود..

وقد جاء الإسلام ليساوي بين المولى والعبد، على قاعدة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١)، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى^(٢).

فأثارت هذه التشريعات حفيظة الكثيرين منهم، حتى بعض أولئك الذين تظاهروا بالإسلام، فإنهم سرعان ما نقضوا هذه الأحكام بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعادوا إلى مفاهيمهم الجاهلية، فميزوا العربي على الأعجمي، والسيد على العبد، والأبيض على الأسود، في الإرث والزواج، والصلاة، وفي كثير من الأمور..

ثم لما أراد علي «عليه السلام» أن يعيد الناس إلى سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» واجهوه بالحرب التي راح ضحيتها الألوف من المسلمين، فراجع

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٢) راجع: مسند أحمد ج ٥ ص ٤١١ وكتر العمال ج ٣ ص ٦٩٩ وفتح الباري ج ٦ ص ٣٨٢ ومسند ابن المبارك ص ١٤٧ والمعجم الأوسط ج ٥ ص ٨٦ والعهود المحمدية ص ٨٧٣ ووضوء النبي ج ١ ص ٢٢٢ والمبسوط للسرخسي ج ٥ ص ٢٣ ونيل الأوطار ج ٥ ص ١٦٤ والغدير ج ٦ ص ١٨٨ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٤١٢ وتفسير الميزان ج ١٤ ص ٣٣٤ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٣٨٢ وج ٣ ص ٥٤٣ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٣٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٨٢.

أسباب حرب الجمل.

وقد ذكرنا نبذة مما يتعلق بهذا الأمر في كتابنا: «سلمان الفارسي في مواجهة التحدي» فيمكن الرجوع إليه.

وإن ما صدر عن قریش تجاه بلال، حين شرع في الأذان؛ إن دل على شيء، فهو يدل على مدى الألم الذي كان يشعر به القرشيون، وهم يرون بلالاً الأسود، والمولى، والفقير، والحشي الغريب!! يرونه فوق الكعبة، وهي أعظم ما يعتزُّون به..

نعم، لقد هالهم أن يسمعوا بلالاً يعلن بتلك الكلمات التي طالما حاربوها، وسعوا في إيصالها، وقتل من آبائهم وإخوانهم، وأبنائهم العشرات، وخسروا الكثير من تحالفاتهم، ومن مكائدهم، ومن هيبته، ومن أموالهم، في سبيل إسقاطها، والقضاء عليها.

إن صوت بلال الذي ارتقى فوق الكعبة، التي يزعمون للناس أنهم هم حفظتها وسدنتها سوف يمزقهم، وسيحرق قلوبهم، في وقت يجدون أنفسهم فيه عاجزين عن القيام بأي شيء، وهذا العجز، وتلك الحرقه سوف ينتجان لديهم شعوراً بالصَّغار، وبالخزي، والذل، والاندحار.

وقد ظهر ذلك بصورة واضحة في تعابيرهم، حيث وصف عكرمة وغيره بلالاً بالعبء. ووصف خالد بن أسيد صوته بالهتيق، وأنه ينهق فوق الكعبة، وسهيل بن عمرو وجاعة معه راحوا يغطون وجوههم، حين سمعوا أذانه..

واللافت هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اختار الأذان لصلاة الظهر، وهو الوقت الذي تكون فيه أشعة الشمس ساطعة، ويتمكن جميع الناس من سماع الصوت، ومن رؤية صاحبه في موقعه - وهو ظهر الكعبة - ويرون

لونه، وتقاسيم وجهه، ويعرفون شخصه.

وكان بلال معروفاً لديهم، لأنه عاش بينهم، وتداولته أيدي بعض زعمائهم، وقد عذبوه من أجل دينه، وإسلامه.

ولعل هذه الخصوصية أيضاً، هي التي رجحت اختيار رسول الله «صلى الله عليه وآله» له لهذه المهمة. فلم يأمر رجلاً من أهل المدينة أو من غيرهم بالقيام بهذا الأمر.. وذلك لكي يزيد هذا الاختيار من حسرة المشركين، وتتضاعف لأجله آلامهم، ويعظم به ذلهم وخزيهم.

بين سهيل وسعد بن عباد:

ومن الأمور الجديرة بالتأمل هنا: طريقة النبي «صلى الله عليه وآله» في معالجة الأمر بين سعد بن عباد، وسهيل بن عمرو، ومن معه..

وملخص ما جرى: حسب نقلهم هو: أن قريشاً كانت قد فوضت حويطب بن عبد العزى بإخراج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة^(١)، فجاء سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو في مجلس من مجالس الأنصار، يتحدث مع سعد بن عباد، فقالا: قد انقضى أجلك، فاخرج عنا.

فقال «صلى الله عليه وآله»: وما عليكم لو تركتموني، فأعرست بين

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٤ وراجع: البحار ج ٢٠ هامش ص ٣٧٢ وج ٢١ ص ٤٦ عن ابن هشام ج ٣ ص ٢٤٦ والمعجم الكبير ج ١١ ص ١٣٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢١٠ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٢٨ و ٨٢٩ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٧٠.

أظهركم، فصنعت لكم طعاماً؟!

فقالا: لا حاجة لنا في طعامك، اخرج عنا. نشدك الله، يا محمد، والعهد الذي بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا، فهذه الثلاث قد مضت.

وكان «صلى الله عليه وآله» لم يدخل تحت سقف بيت من بيوت مكة، بل ضربت له قبة من آدم بالأبطح، بقي فيها إلى أن خرج من مكة.

فغضب سعد بن عباد، لما رأى من غلظة كلامهم للنبي «صلى الله عليه وآله»، فقال لسهيل: كذبت، لا أم لك، ليست بأرضك، ولا أرض أبيك. والله، لا يبرح منها إلا طائعاً راضياً.

فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: يا سعد، لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا.

قال: وأُسكِتَ الرجلان عن سعد، ثم أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بالرحيل، وقال: لا يمسين بها أحد من المسلمين، وركب «صلى الله عليه وآله» حتى نزل سرف، وتناّم الناس.

وجاءه أبو رافع بزوجه ميمونة بعد أن حل المساء، ثم جاءت الخيل، وجاؤوا بالسلاح الذي كان يبطن بأجج، ولحقوا برسول الله «صلى الله عليه وآله».. وكان «صلى الله عليه وآله» قد استبدلهم بفوج كان قبلهم، ليمكن هؤلاء وأولئك من أداء نسكهم والطواف بالبيت.

ثم أدلج «صلى الله عليه وآله» من سرف حتى قدم المدينة^(١).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٩ - ٧٤١ بتلخيص، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٤ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٣٠ وانظر =

الفصل السادس: من مكة إلى المدينة ١٩٧

قال الصالحى الشامى: وفي الصحيح عن البراء بن عازب: أن الأجل لما مضى أتى المشركون علياً، فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل. فذكر ذلك علي لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا رافع بالرحيل، وقال: لا يمسين بها أحد من المسلمين الخ..^(١).

أخرج من أرضنا:

إن أغرب شيء يواجه الإنسان العاقل، هو أن يقدم الذين يدعون أنهم قادة، وأنهم عقلاء على أمر لا يقره عقل، ولا يرضاه وجدان، كالذي فعلته قريش مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عمرة القضاء، وقولهم: «نناشدك الله، والعقد، إلا ما خرجت من أرضنا».

والذي نلاحظه هنا هو:

أولاً: إنهم قد نسبوا تلك الأرض إلى أنفسهم، مع ادّعائهم أن الكعبة بيت الله تعالى، ولكل البشر الحق في زيارته، والبقاء عنده ما شاؤوا.
ثانياً: إن الأرض لله سبحانه وتعالى، ولا يحق لأحد أن يمنع أحداً من الإقامة في أي موقع، إلا إذا كان ملكها بالإحياء، أو بغيره من أسباب

= السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٢١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ و ٦٤
وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٢ وعن البداية والنهاية
ج ٤ ص ٢٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٣.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ و ٦٤ والطبقات
الكبرى ج ٢ ص ١٢٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦١ والسيرة النبوية لابن
كثير ج ٣ ص ٤٣٣ والبحار ج ٢١ ص ٤٦.

الملك، إما لرقبة الأرض أو لمنفعتها..

ثالثاً: إن هؤلاء أنفسهم كانوا من أقارب وأرحام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد عاش بينهم دهرًا طويلاً، فما معنى الادّعاء: بأن الأرض لهم دونه؟!

رابعاً: إن هؤلاء أنفسهم سوف ينقضون عن قريب نفس هذا العقد الذي يطالبونه «صلى الله عليه وآله» اليوم بالوفاء به، وسوف يلاقون جزاء نقضهم هذا نصراً مؤزراً له «صلى الله عليه وآله» عليهم.

خامساً: إن نفس اشتراطهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» عدم الإقامة في بلده، وعند بيت ربه سوى ثلاثة أيام، هو أحد مفردات الظلم والبغي منهم، الذي يريدون تكريسه ضده «صلى الله عليه وآله» تحت شعار الوفاء بالعهد!!

وها هم يمعنون في بغيهم، ويسعون للحفاظ عليه باسم العدل، ويعتبرون ذلك من حقهم، وبذلك يصبح ظلمهم وبغيهم مشروعاً!! يلزمون به من فرضوه عليه، ويطالبونه برعايته، وبالوفاء به!!

إنتفاضة سعد:

وبعد، فإن من هوان الدنيا على الله تعالى أن يصبح أعداؤه تعالى، والمحاربون لرسوله «صلى الله عليه وآله»، والرافضون لدينه، والساعون في إطفاء نوره، هم الذين يفرضون أنفسهم حماة لبيت الله تعالى، وسدنة له، وسادة لحرمه، ثم يطالبون صفي الله وحبيبه، وخليله ونجييه، بأن يخلي لهم بيت ربه، الذي هو أولى به منهم، ومن كل أحد على وجه الأرض، بل لا

ولاية عليه لأحد سواء..

إنهم يطالبونه بذلك، بفظاظة ظاهرة، وبعنجهية وافرة، ويريدون بذلك حفظ ثمرات ظلمهم، وبغيهم على الحق وأهله، مع مزيد من الرغبة في الإمعان في الكيد، والتنفيس عن مراحل الحقد، الذي يغلي في أعماق نفوسهم.. وهذا بالذات هو ما أغاض سعد بن عباد، فانبرى لهم، يفند مزاعمهم، بحمية، وأنفة وكبرياء، بعد أن طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى..

لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا:

ويبادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى معالجة الموقف بمنطق يدينهم، ويلحق بهم المزيد من الخزي والعار، ويرسخ المرارة، ويعمق الألم في نفوسهم، من حيث إنه منطق يخضعون له، ويلزمون أنفسهم به.. وإنما على نفسها جنت براقش..

ويطلق «صلى الله عليه وآله» كلمته التي قد تبدو عابرة بحسب الظاهر، ولكنها أمضى من السيف، وأنفذ من السهم في قلوب أهل الطغيان، حيث قال «صلى الله عليه وآله»: يا سعد، لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا.

وأسكت الرجلان عن سعد!!

وكيف لا يسكتان عنه، وقد ألقمهما النبي الكريم والحليم «صلى الله عليه وآله» حجراً؟! وألزمهما عاراً لا يزول، وشناراً لا يمحي؟! حيث تعامل معهم بالخلق الرفيع، وبمنطق الشمم، والإباء، والترفع عن مقابلة الإساءة بما يوجبه منطق المقابلة بالمثل، فهو «صلى الله عليه وآله» ولمجرد مجيئها إلى رحله ليس فقط يتجاوز عن إساءتهما، بل هو يعطيها بذلك

٢٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

حصانة من التعرض للعقوبة التي يستحقها، نتيجة سوء ما أتياه تجاه شخصه «صلى الله عليه وآله»..

وبطريقة تظهر قبح فعلهم، وما جاءا يطالبانه به..

فإذا كانت زيارتهما للنبي «صلى الله عليه وآله» في رحله جعلته يمنحهما هذه الحصانة، فلماذا لا يتعاملان معه بنفس هذا الخلق؟! ويعتبران زيارته «صلى الله عليه وآله» لبيت ربه - وليس لبيوتهم ورحالهم - من موجبات كف أذاهم عنه، وعمن معه؟!

وإذا كان مشركو مكة يعتبرون - ظلماً وعتواً - أن هذه الأرض أرضهم، فلماذا لا يعاملونه كزائر لهم في أرضهم، فيمتنعون عن أذاه، ويكفون عن مواجهته بهذا المستوى من الغلظة، والمناكرة؟!

ولماذا لا يمهلونه - ولو للحظات - بعد انقضاء الثلاثة أيام، وهو إنما وعد بالمغادرة في اليوم الرابع، ولم ينقض ذلك الموعد بعد.. ليروا إن كان سَيَقِي لهم بوعده، الذي ابتزوه منه، ولا حق لهم به، أو أنه سوف لا يفي؟! فإن الوقت لم يفت بعد، لأن باستطاعته البقاء حتى المساء، ولم تظهر منه أية بادرة تشير إلى أنه سَيَقِي في مكة بعد انقضاء الوقت المحدد!!

ولذلك قال «صلى الله عليه وآله»: لا يمسين في مكة أحد من المسلمين. ولم يعترض عليه سهيل بن عمرو، ولا غيره، ولو كان بوسع أحد منهم الإدعاء: بأن ذلك يخالف العقد والعهد، ولو بساعة واحدة لبادر إليه، بهدف الطعن والانتقاص والتجريح به «صلى الله عليه وآله»..

وإن عدم دخول النبي «صلى الله عليه وآله» تحت سقف أي بيت من بيوت مكة، رغم أن فيها بيوت أهله، وإخوانه، وعشيرته، وآبائه، وفي تلك

البيوت عاش ونشأ، وترعرع - إن ذلك - لا بد أن يقطع دابر أي تكهن باطل عن نواياه تجاه مكة وأهلها، أو البقاء فيها، فلماذا هذا الصلف؟! ولماذا هذا البغي الظاهر عليه.. وهو لم يلح إلى وجود أي ميل لديه، أو أي حنين إلى سكنى مكة سوى حنينه لبيت الله، تبارك وتعالى!؟

وكان باستطاعته أن يغتنمها فرصة، لإظهار مظلوميته، وللتذكير بحقوقه المغتصبة، من خلال الشواهد الحية التي لا يستطيع أحد أن ينكرها، أو أن يناقش فيها.

وذلك كله يعطينا أنه «صلى الله عليه وآله» قد أفهمهم أنه لا يفكر بنفسه كشخص، وإنما يفكر في دين الله سبحانه، وفي حرمة بيته، وفي المستضعفين والمقهورين من عباده عز وجل.

زواج النبي ﷺ بميمونة:

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» خطب ميمونة بنت الحارث الهلالية في عمرة القضاء، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب، فزوجها العباس من رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١)، وأصدقها أربع مائة

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ المحلى ج ٩ ص ٤٥٨ والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٧ وعن مسند أحمد ج ١ ص ٢٧١ وسنن النسائي ج ٦ ص ٨٨ ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٢٢١ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٨٧ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٢ وج ٩ ص ١٣٥ وعن السنن الكبرى للنسائي ص ٢٨٥ و ٢٨٩ وج ١١ ص ٣٠٩ وسنن الدارقطني ج ٣ ص ١٨٣ وإرواء الغليل ج ٦ ص ٢٥٣ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٢١١.

٢٠٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
درهم^(١).

ولما خرج «صلى الله عليه وآله» من مكة خلّف أبا رافع ليحملها إليه حين يمسي، فخرج بها أبو رافع وبمن معها عند المساء، فلقوا أذى وعناء من سفهاء المشركين، وتناولوا النبي «صلى الله عليه وآله» بالسيف، ولم يرتدعوا حتى هدهم أبو رافع بالسلاح، على اعتبار أنهم يريدون نقض العهد، فولوا هارين.

وبنى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بزوجه ميمونة بسرف^(٢).

= وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٣٢ و ١٣٣ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٣٩ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦١ و ٢٦٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٣ و ٤٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٠٨.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٩.

(٢) راجع: المغازي ج ٢ ص ٧٤٠ و ٧٤١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٣٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ عن الإكتفاء وجامع الخلاف والوفاق ص ٨٧ ووضوء النبي ج ٢ ص ١٢٢ والبحار ج ٢١ ص ٤٦ وج ٢٢ ص ٢٠٣ وعن مسند أحمد ج ١ ص ٣٥٩ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٢٨٨ ونيل الأوطار ج ٥ ص ٨١ ومسند ابن راهويه ج ٤ ص ٢٤ والمعجم الأوسط ج ٤ ص ٢٨٩ وج ٧ ص ١٠٣ والمعجم الكبير ج ١١ ص ٢٥٢ ونصب الراية ج ٣ ص ٣٢٥ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٥٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٧٤ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٣٩ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٧٨ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٨.

ونقول:

إن هناك أموراً يحسن التذكير بها، وهي التالية:

الإعراس في مكة غير ميسور:

تقدم: أن سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، طلبا من النبي «صلى الله عليه وآله» مغادرة مكة بعد أن مضى عليه ثلاثة أيام من دخولها، فقال لهما النبي «صلى الله عليه وآله»: وما عليكم لو تركتموني أعرست بين أظهركم، وصنعت لكم طعاماً؟!

فقالا: لا حاجة لنا في طعامك، اخرج عنا^(١).

غير أننا نقول:

أولاً: ربما يحاول البعض الاستفادة من هذه الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خطب ميمونة وعقد عليها، وهو محرم، ولم يبق إلا أن يعرّس بها.. لكنها استفادة غير تامة، إذ من الجائز أن يكون قد خطبها وعقد عليها بعد أن أحل من إحرامه..

ثانياً: إن عرض النبي «صلى الله عليه وآله» على قريش أن يتركوه

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٩ و ٧٤٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ و ٦٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٣٤ و ج ١١ ص ٢٠٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والمعجم الكبير ج ١١ ص ١٣٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٢٩ والمستدرک للحاكم ج ٤ ص ٣٢ وشرح المعاني والآثار ج ٢ ص ٢٦٨ و حياة الصحابة (باب ١٠) باب أخلاق الصحابة وشمائهم.

٢٠٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

ليعرس بين أظهرهم فيه إيجاء لهم، بأنه يتعامل مع الأمور بعفوية وبطبيعية تامة، وأنه ليس متوتراً، بل هو على غاية من السكينة والهدوء، ولا يعتبر نفسه في حالة استثنائية، أو غير عادية.. حتى إنه يعرض على أعدائه - بكل عفوية - أن يمنحوه الفرصة لممارسة حقه الطبيعي في الحياة، في بلدهم، وبين أظهرهم، وهو الأمر الذي يرتبط به كشخص، وهو إنشاء بيت للزوجية جديد، ويطلب منهم أن يشاركوه فرحته، رغم علمه بأنهم يضعون أنفسهم في موقع المحارب والعدو..

وفي مقابل ذلك: فإن هؤلاء المناوئين إذا عادوا إلى أنفسهم فسيرون أنها مشحونة بالقلق، زاخرة بالحدق، مليئة بالعقد، والأزمات، ولا يجدون الفرصة لممارسة حياتهم الشخصية، وتلبية حاجاتهم الطبيعية إلا في أجواء من الهموم والغموم، والتوترات..

فما أبعد ما بين الحالتين، وما أشد تأثيرهما على نفوسهم، وما أمّض ألم ذلك في قلوبهم.

هل تزوج ميمونة وهو محرم؟!

قيل: إنه «صلى الله عليه وآله» قد تزوج ميمونة قبل أن يحرم بالعمرة^(١).
وقيل: بعد أن أحل منها^(٢).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ وعن فتح الباري ج ٩ ص ١٣٦ وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٥٧ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٨.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤١ =

وقيل: بل خطبها وتزوجها وهو محرم^(١). وروي ذلك عن ابن عباس،

-
- = ص ١١١ وتهذيب الكمال ج ٢٠ ص ٢٨٠ وسير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٣ وعن الإصابة ج ٨ ص ٣٢٣ ووضوء النبي ج ٢ ص ١١٩ وزاد المعاد ج ١ ص ٧٥.
- (١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ عن البخاري، ومسلم، والدارقطني، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٨ وعن مسند أحمد ج ١ ص ٢٥٤ و ٤٠٥ و ٤٣٩ و ٤٧١ و ٥٥٢ والمجموع ج ٧ ص ٢٨٩ والبحار ج ١٦ ص ٣٩٤ وإختلاف الحديث ص ٥٣٠ وعن فتح الباري ج ٩ ص ١٢٦ والديباج على مسلم ج ٤ ص ٢١ وصحيح ابن حبان ج ٩ ص ٤٢٧ والفصول في الأصول للجصاص ج ٣ ص ١٦١ وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٢٨ وج ١١ ص ٢٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٦١ ص ٣٣٧ وتهذيب الكمال ج ٢٥ ص ٥٤٥ وتهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٦ وعن صحيح البخاري (ط دار إحياء التراث) ج ٤ ص ٥٢٧ وعن صحيح مسلم (ط دار الكتب العلمية) ج ٩ ص ١٦٥.
- وراجع أيضاً: السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٣ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٤٩٢ وسنن الدارقطني ج ٣ ص ١٨٤ ومشكاة المصابيح ج ٥ ص ٣٧٩ ومنتخب عبد بن حميد ج ١ ص ٢٠٢ واللؤلؤ والمرجان ج ١ ص ٤٢٢ ونيل الأوطار ج ٣ ص ٧٨ وعون المعبود ج ٥ ص ٢٩٣ وعمدة القاري ج ٢ ص ١١٠ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٢٦٨ وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٠١ ولسان الميزان ج ٣ ص ٤٩٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٤١ ومعجم الشيوخ للذهبي ج ١ ص ٣١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٥ وعن زاد المعاد ج ١ ص ٧٥ والمغني ج ٣ ص ٣١٢.

٢٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وأبي هريرة. وجُعِلَ ذلك من خصائصه «صلى الله عليه وآله»^(١).

وقالوا: تزوجها وهو محرم وبني بها وهو حلالاً^(٢).

وقالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تزوجها في الشهر الحرام، وفي البلد

الحرام، فلعل هذا هو المراد، وليس المراد: أنه تزوجها قبل أن يحل من إحرامه^(٣).

وقالوا: تزوجها حلالاً، وأظهر أمر زواجها وهو محرم^(٤).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٥٨ وكشف القناع ج ٢ ص ٥١٣.

(٢) وضوء النبي ج ٢ ص ١٢٢ والمبسوط للسرخسي ج ٤ ص ١٩١ والبحر الرائق ص ١٨٤ وحاشية رد المحتار ج ٣ ص ٥١ وعن مسند أحمد ج ١ ص ٣٥٩ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٦ وتحفة الأحوذى ج ٣ ص ٤٩٢ والمعجم الكبير ج ١١ ص ٢٥٢ ونصب الراية ج ٣ ص ٣٢٥ وص ٣٢٩ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٤٠ والإصابة ج ٨ ص ٣٢٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٩ و ٤٤٠.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ عن البيهقي، والترمذي، والنسائي، وعن فتح الباري ج ٩ ص ١٣٦ والمجموع ج ٧ ص ٢٨٩ والمغني ج ٣ ص ٣١٢ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٣١٢ وسبل السلام ج ٣ ص ١٢٤ وشرح سنن النسائي للسيوطي ج ٦ ص ٨٨ ونصب الراية ج ٣ ص ٣٢٨ وشرح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٩٤ وتحفة الأحوذى ج ٣ ص ٥٠٨ وراجع: نيل الأوطار ج ٥ ص ٨٢ وعن عون المعبود ج ٥ ص ٢٠٨ ونصب الراية ج ٣ ص ٣٢٨ ومتهى المطلب (ط قديم) ج ٢ ص ٨٠٨ وتذكرة الفقهاء (ط قديم) ج ١ ص ٣٤٢.

(٤) المغني لابن قدامة ج ٣ ص ٣١٢ ومتهى المطلب (ط قديم) ج ٢ ص ٨٠٨ وتذكرة الفقهاء (ط قديم) ج ١ ص ٣٤٢ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٣١٢ وفقه =

الفصل السادس: من مكة إلى المدينة ٢٠٧

وقال القاضي عياض: لم يرو أنه تزوجها محرماً إلا ابن عباس وحده، حتى قال سعيد: ذهل ابن عباس وإن كانت خالته ما تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا بعد ما حل. ذكره البخاري^(١).

وقال القاضي وغيره: ولم يرو أنه تزوجها محرماً إلا ابن عباس وحده. وروت ميمونة وأبو رافع وغيرهما: أنه تزوجها حلالاً، وهم أعرف بالقضية لتعلقهم به، خلاف ابن عباس، ولأنهم أضبط من ابن عباس^(٢). وميمونة هي آخر امرأة تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣).

جعفر هو الخاطب:

وأدعت بعض الروايات: أن أبا رافع كان هو الوكيل عن النبي «صلى

= السنة ج ١ ص ٦٧٥ وسنن الترمذي ج ٢ ص ١٦٩ ونصب الراية ج ٣ ص ٣٢٧
وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٥٠ وكشف القناع ج ٢ ص ٥١٣.

(١) سبل السلام ج ٢ ص ١٩٢.

(٢) شرح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٩٤ وتحفة الأحوذى ج ٣ ص ٤٩٤ ونصب الراية ج ٣ ص ٣٢٨.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٥ والبحار ج ٢١ ص ٤٦ والمستدرك للحاكم ج ٤ ص ٣٠ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٦٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٣٢ وعن الإصاية ج ٨ ص ٣٢٢ و ٣٢٣ والأعلام ج ٧ ص ٣٤٢ والمنتخب من ذيل المذيل ص ١٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٠٩ وزوجات النبي لسعيد أيوب ص ١٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩ وتفسير القرطبي ج ١٤ ص ١٦٧.

٢٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
الله عليه وآله في أمر ميمونة^(١).

والصحيح هو: أن جعفر بن أبي طالب هو الذي خطبها له «صلى الله عليه وآله»، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد بعث جعفرأبين يديه من أجل ذلك^(٢).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ والمجموع ج ٧ ص ٢٨٩ وكتاب الأم ج ٥ ص ١٩٠ وتلخيص الحبير ج ١١ ص ٣ والمبسوط للطوسي ج ٤ ص ١٩١ والمغني ج ٣ ص ٣١٢ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٣١١ وكشف القناع ج ٥ ص ٢٧ وسبل السلام ج ٢ ص ١٩٢ ونيل الأوطار ج ٥ ص ٨٢ والبحار ج ٢٢ ص ٣٠٣ وعن فتح الباري ج ٩ ص ١٣٦ وتحفة الأحوذى ج ٣ ص ٤٣٣ وعون المعبود ج ٥ ص ٢٠٨ والآحاد والمثاني ج ١ ص ٣٣٧ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٢٨٨ والمعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ٣١٠ ونصب الراية ج ٣ ص ٣٢٨ وموارد الظمآن ص ٣١٠ والأحكام للآمدي ج ٤ ص ٢٤٣ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٣٤ والفتا ج ٢ ص ٢٦ وعن التعديل والتجريح ج ٣ ص ١٤٩٣ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٤١ وج ٥ ص ٢٣ وعن إعلام الورى ج ١ ص ٢٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٠٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٠ وج ١١ ص ٢٠٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٢٩ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٠٧ والإصابة ج ٤ ص ٤١١ والمستدرك للحاكم ج ٤ ص ٢١ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣٢ والجواهر النقي ج ٧ ص ٢١١ والخصال ص ٣٦٣ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٢ والتمهيد ج ٣ ص ١٥١ وحياة الصحابة (باب أخلاق الصحابة وشئائهم).

وزعموا: أن اسمها كان في الأصل «برة» فسمّاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ميمونة^(١).

غير أنه قد تقدم منا بعض الكلام حول هذا الموضوع حين الحديث عن زينب بنت جحش، حيث زعموا أن اسمها كان أيضاً برة، فغيّره النبي «صلى الله عليه وآله» إلى زينب - وذكرنا هناك بعض ما يوجب الشك بل الجزم بعدم صحة هذه المزاعم، فراجع فصل: «على هامش حديث الزواج»^(٢).

البعير وما عليه للبشير:

وقالوا: إن ميمونة لما علمت بأمر الخطبة وكانت على بعيرها، قالت:

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٣ والإصابة ج ٤ ص ٤١١ ومسند الطيالسي ج ١ ص ٣٢١ ومسند ابن راهويه ج ١ ص ١١٤ وجامع الخلاف والوفاق ص ٨٧ ومنتهى المطلب ج ١ ص ١٦٥ والمجموع ج ١ ص ٤٦٠ وفتح الباري ج ١ ص ٤٧٥ ومسند أبي داود ص ٣٢١ والأدب المفرد ص ١٧٩ و ١٨٠ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٣٧ والتعديل والتجريح ج ٣ ص ١٤٩٣ وإكمال الكمال ج ١ ص ٢٥٣ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٤٢٠ و ٥٥٠ وتهذيب الكمال ج ٢٥ ص ٣١٢ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٤٣ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٠٢ وعن البداية والنهاية ج ٨ ص ٦٣ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٢٩١ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٣٥٩ وج ١١ ص ٢٠٧ وزوجات النبي لسعيد أيوب ص ١٠٨.

(٢) الجزء ١٤ الصفحة ١٧٣ من هذا الكتاب (الطبعة الخامسة).

البعير وما عليه الله ولرسوله^(١).

ولذلك قيل: إنها هي التي وهبت نفسها لرسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

ونقول:

إن الصحيح هو: أن التي وهبت نفسها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هي امرأة من الأنصار، فبادرتها حفصة (أو عائشة) بالقول: ما أقل حياءك، وأجراك، وأنهمك للرجال!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كفي يا حفصة، فإنها خير منك، رغبت في رسول الله، ولتيتها، وعيتها؟!

ثم قال للمرأة: انصري في رحك الله، فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٢٠٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٦١ وعن عيون الأثر ج ٣ ص ٣٩٢ ومرواة المفتاح ج ٦ ص ٣٨٧.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وعن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والمستدرک للحاكم ج ٤ ص ٣٣ وشرح مسلم للنووي ج ١٠ ص ٥١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٩ ومقدمة فتح الباري ص ٣١٣ والمصنف للصنعاني ج ٧ ص ٧٥ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٤٠٤ وج ٨ ص ٣٥٩ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٤٣٣ والمعجم الكبير ج ٢٢ ص ٤٤٧ وج ٢٣ ص ٤٢٢ وكتر العمال ج ١٣ ص ٦٨٩ و ٧٠٨ وتفسير الميزان ج ٤ ص ١٩٧ وجامع البيان ج ٢٢ ص ٢٨ و ٢٩ ومعاني القرآن للنحاس ج ٥ ص ٣٦١ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٠٨ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٤٢.

فيّ، وتعرضك لمحبتتي وسروري، وسيأتيك أمري إن شاء الله.
فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَمْرًا تُؤْمِنَهُ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾^(١).

وقيل: إنها لما وهبت نفسها للنبي «صلى الله عليه وآله»، قالت عائشة:
ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر؟!

فنزلت الآية، فقالت عائشة: ما أرى الله إلا يسارع في هواك.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فإنك إن أطعت الله سارع في
هواك^(٢).

(١) الآية ٥٠ من سورة الأحزاب. والرواية في: الحدائق الناضرة ج ٢٣ ص ٩٨
والجواهر ج ٢٩ ص ١٢٢ والكافي ج ٥ ص ٥٦٨ والبحار ج ٢٢ ص ٢١١ ومسند
محمد بن قيس البجلي ص ١٣٩ والتفسير الصافي ج ٤ ص ١٩٦ ونور الثقلين ج ٤
ص ٢٩٢ والميزان ج ١٦ ص ٣٤٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٢٤٥ و
٥٩٢ ومسالك الأفهام ج ٧ هامش ص ٧٠.

(٢) راجع: تفسير الصافي ج ٤ ص ١٩٦ وأحكام القرآن للجصاص ص ٤٧٩ وتفسير
القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٥ و ج ١٤ ص ٢٠٨ و ٢١٤ وفتح القدير ج ٤ ص ٢٩٥
وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٢٤٥ ومجمع البيان (ط دار الأعلمي) ج ٨
ص ١٧١ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٩٣ والميزان ج ١٦ ص ٣٤٢ وراجع: الدر
المنثور ج ٥ ص ٢٠٨ عن ابن سعد، والمبسوط ج ٤ ص ١٥٨ والصراط المستقيم
ج ٣ ص ١٦٦ وحاشية السندي على النسائي ج ٦ ص ٤ وكتاب الأربعين
للشيرازي ص ٦٢٥ والبحار ج ٢٢ ص ١٨١ وعن صحيح البخاري ج ٦
ص ١٢٤ وعن مسند أحمد ج ٦ ص ٢٦١ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٤٠٥ و ج ٩
ص ١٣٥ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٢٨٢.

وروي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن التي وهبت نفسها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هي خولة بنت حكيم السلمى^(١).
وروي ذلك عن عائشة وعن عروة أيضاً^(٢).

(١) الخصال ج ٢ ص ٤١٩ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٩٣ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٣٣١ والحدائق الناضرة ج ٢٣ ص ٩٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٠ ص ٢٤٥ والبحار ج ٢٢ ص ١٩٤ وفتح الباري ج ٨ ص ٤٠٤ و ج ٩ ص ١٣٥ و ١٦٩ وصحيح البخاري ج ٦ ص ١٢٨ والمصنف للصنعاني ج ٧ ص ٧٦ والآحاد والمثاني ج ٦ ص ٦١ وكتر العمال ج ١٣ ص ٧١٠ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥٨٨ والسنن الكبرى ج ٧ ص ٥٥ وفتح الباري ج ٨ ص ٤٠٤ و ج ٩ ص ١٣٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٤٠٣ والتفسير الصافي ج ٤ ص ١٩٧ والتفسير الأصفى ج ٢ ص ٩٩٨ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٦٨ و ٢٩٣ وتفسير الميزان ج ١٦ ص ٣١٦ وزاد المسير ج ٦ ص ٢٠٩ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٦٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٠٧ وتفسير الثعالبي ج ٤ ص ٢٥٣ وفتح القدير ج ٤ ص ٢٩٢ و ٢٩٥ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٥٨ وزوجات النبي لسعيد ايوب ص ٢١ ومجمع البحرين ج ٤ ص ٥٦٥ ونيل الأوطار ج ٦ ص ٣١٥ والبحار ج ٢٢ ص ١٨١ ومستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ٢٢٩ ونحفة الأحوذى ج ٦ ص ٣٢ وتفسير مجمع البيان ج ٨ ص ١٧١ وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٤٤ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ١٥٤ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٦٣٧ وإسعاف المبطل للسيوطي ص ١٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣٣ وتاج العروس ج ٧ ص ٣١٢.

(٢) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٠٨ عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في السنن، وعبد الرزاق، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري، وابن =

وقيل غيرها، فراجع^(١).

فلعل حشر اسم ميمونة في هذه القضية يراد منه التعظيم على ما صدر

= المنذر، وتفسير مجمع البيان ج ٨ ص ١٧١ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٥٥ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٤٠٤ وج ٩ ص ١٣٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٤٠٣ و ٤٠٤ وجامع البيان ج ٢٢ ص ٢٩ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٠٧ وتفسير الثعالبي ج ٤ ص ٣٥٣ وعن صحيح البخاري ج ٦ ص ١٢٨ وفتح القدير ج ٤ ص ٢٩٢ و ٢٩٥ وعن الإصابة ج ٨ ص ١١٦ والمصنف للصنعاني ج ٧ ص ٧٦ والآحاد والمثاني ج ٦ ص ٦١ والمعجم الكبير ج ٢٤ ص ٢٣٦ وكتر العمال ج ١٣ ص ٧١٠ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ١٦٤ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٣٦٦ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣١٨.

(١) راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ٢٠٩ البحار ج ٢٢ ص ١٨١ وشرح مسلم للنووي ج ١٠ ص ٥١ و ٩٦ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٩٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٤٠٤ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٤ ص ٣٥١ والتبيين للطبرسي ج ٨ ص ٣٥٢ وتفسير مجمع البيان ج ٨ ص ١٧١ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٩٣ ومعاني القرآن ج ٥ ص ٣٦١ وأحكام للقرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٨٠ وزاد المسير ج ٦ ص ٢٠٩ والجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١٧٨ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٥٥ و ١٥٦ و ١٩٧ وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٥٨ و ٥١٤ وج ٧ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ وج ٨ ص ٤١٧ و ٤١٩ و ٤٢٠ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٢٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٢٤٤ و ٢٤٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٦١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥٩٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦.

٢١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
من عائشة وحفصة من جرأة عليه «صلى الله عليه وآله».

فضل ميمونة:

وميمونة أفضل نساء النبي «صلى الله عليه وآله» بعد خديجة، وأم سلمة^(١).
وقد روي عن أبي جعفر «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله»
قال: لا ينجو من النار، وشدة تغيطها وزفيرها وقرنها وحيمها من عادى
علياً، وترك ولايته، وأحب من عاداه.

فقال ميمونة، زوجة النبي «صلى الله عليه وآله»: ما أعرف في أصحابك
يا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من يحب علياً إلا قليلاً منهم.

قال: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: القليل من المؤمنين كثير،
ومن تعرفين منهم؟

قالت: أعرف أبا ذر، والمقداد، وسلمان. وقد تعلم أني أحب علياً «عليه
السلام» بحبك إياه، ونصحه لك.

قال: صدقت، إنك امتحن الله قلبك للإيمان^(٢).

وراجع ما قالته لشقير بن شجرة في حق علي «عليه السلام»^(٣).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٣٩ والحدائق الناضرة ج ٢٣ ص ٩٥ والوسائل (ط)
مؤسسة آل البيت) ج ٢٠ ص ٢٤٥ والبحار ج ٢٢ ص ١٩٣ و ١٩٤ ومستدرک
سفينة البحار ج ٤ ص ٣٣٤ والتفسير الصافي ج ٤ ص ١٩٧ وتفسير نور الثقلين
ج ٤ ص ٢٦٨ وتفسير الميزان ج ١٦ ص ٣١٦ وزوجات النبي ص ٢١.

(٢) تنقيح المقال ج ٣ ص ٨٣ وقاموس الرجال، والأصول الستة عشر ص ٦٢.

(٣) الأمايلي للطوسي ص ٥٠٥ و ٥٠٦.

عمارة بنت حمزة في كفالة جعفر:

ويذكرون أيضاً: أن عمارة، أو أمامة، أو أم أبيها - على الخلاف في اسمها - بنت الشهيد حمزة بن عبد المطلب، وأمها سلمى بنت عميس، كانت بمكة. فكلّم علي «عليه السلام» النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: علام نترك بنت عمنا يتيمة بين أظهر المشركين؟

فلم ينهه النبي «صلى الله عليه وآله» عن إخراجها، فخرج بها^(١). وفي نص آخر: أنها حين خرج النبي «صلى الله عليه وآله» من مكة تبعته وهي تنادي: يا عم، يا عم. وقيل: إن أبا رافع خرج بها، فتناولها علي «عليه السلام»، وأخذ بيدها، وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و ١٢٥ عن البخاري، ومسلم، وأحمد، والواقدي، وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والبحار ج ٢٠ هامش ص ٣٧٢ وعن الإمتاع، وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٦١ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٥٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٥ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ وراجع: العمدة ص ٢٠١ و ٢٢٦ وعن مسند أحمد ج ١ ص ٩٨ و ١١٥ وعن صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٨ وج ٥ ص ٨٥ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٢٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٦ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٢٨٨ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ١١٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٢٧ و ١٦٨ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٨٨ و ١٥١ وصحيح ابن حبان ص ٢٢٩ ونصب الراية ج ٣ ص ٥٤٩ وكنز العمال ج ٥ ص ٥٧٨ وعن تفسير =

المشاجرة:

قالوا: وفي المدينة تكلم زيد بن حارثة في أمرها، وأراد أن يكون هو المتكفل لها، استناداً إلى كونه وصي أبيها؛ ولأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد آخى بينه وبين حمزة.

وطالب بها جعفر، باعتبار أن خالتها أسماء بنت عميس زوجته، والخالة والدة.

أما علي «عليه السلام» فقال: ألا أراكم في ابنة عمي^(١)، وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين، وليس لكم إليها نسب دوني، وأنا أحق بها منكم. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنا أحكم بينكم. أما أنت يا زيد، فمولى لله ولرسوله.

وأما أنت يا علي، فأخي وصاحبي. وأما أنت يا جعفر، فتشبه خلقي وخلقي. وأنت يا جعفر أحق بها، تحتك خالتها، ولا تنكح المرأة على خالتها، ولا عمتها. ففضى بها لجعفر.

فقام جعفر فحجل حول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما هذا يا جعفر؟! قال: يا رسول الله، كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله.

= القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٧٥ وج ٤ ص ٢١٨ وعن البداية النهاية ج ٤ ص ٢٦٧ وج ٣ ص ٤٤٢.

(١) أي ألا أراكم تختلفون في أمر ابنة عمي الخ..

ف قيل للنبي «صلى الله عليه وآله»: تزوجها.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ابنة أخي من الرضاعة، فزوّجها سلمة بن أبي سلمة^(١).

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة عدة وقفات، هي التالية:

-
- (١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٨ و ٧٣٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥ و ٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٥ وفي هامشه عن: البخاري ج ٧ ص ٥٧٠ وعن صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٠٩ وعن سنن أبي داود رقم (٢٢٨٠) والجامع الصحيح ج ٤ ص ٣٣٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والأمالى للطوسي ص ٥٦١ و ٥٦٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣٥ و ٣٦ وج ٨ ص ١٥٩ و ١٦٠ وج ٣ ص ٨ و ٩ ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٨٧ و ٢٢٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٤ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٧ ص ٣٣١ وصحيح البخاري (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٨٤ وعن مسند أحمد ج ١ ص ١٥٨ و ١٨٥ وعن فتح الباري ج ٩ ص ١٣٠ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ١٢ ص ٥٣ وج ١٨ ص ٢٥٣ وج ٢٠ ص ١٢٤ وكنز العمال ج ١ ص ٩٨٦ وج ٥ ص ٥٨٠ و ٥٨١ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٢٨٤ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٦٢ والبيان والتعريف ج ١ ص ١٠٣ ونصب الراية ج ٥ ص ١١٥ والبحار ج ٢٠ هامش ص ٣٧٢ عن ابن إسحاق، وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٢٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٤٣.

يا عم، يا عم!!

لا ندرى لماذا خرجت بنت حمزة تنادي النبي «صلى الله عليه وآله»: يا عم، يا عم^(١)، مع أنه ليس عمها، بل هو ابن عمها!!
وقد زعم بعضهم: أن هذا الخطاب جاء على سبيل الإجلال منها لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

أو أنها قد لاحظت كونه أخاً لأبيها من الرضاعة^(٢).
ولكننا نشك في صحة هذا وذاك، إذ لم يكن لديها من التمييز والإدراك ما يدعوها إلى اختيار هذا التعبير، واستبعاد ما عداه.
هذا بالإضافة إلى ما زعموه: من أنه «صلى الله عليه وآله» كان أخاً لأبيها من الرضاعة لم يثبت، فراجع ما ذكرناه في موضعه في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

جعفر يحجل والنبي ﷺ يسأل:

ورد في النص المتقدم: أن جعفرأ قد حجل مسروراً بقضاء النبي «صلى الله عليه وآله» له بكفالة بنت حمزة، فسأله النبي «صلى الله عليه وآله» عن

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ و ٦٤ والعمدة ص ٢٠١ و ٣٢٦ والبحار ج ٢٨ ص ٣٢٨ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٨٥ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ١١٣ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٧ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٤ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٤٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٧ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٨٨.

ذلك، فأخبره أن هذا مما يفعله النجاشي في مثل هذه الحالات..
ونقول:

تقدم في خير: أن جعفرًا «رضوان الله تعالى عليه» قد حجل حول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فور قدومه عليه من الحبشة، فسأله آنئذ، عن نفس هذا الأمر وأجابه، ولما يمض وقت طويل على سؤاله هذا، وعلى إجابته تلك؟!!

وحاول البعض التخلص من ذلك: باحتمال أن يكون جعفر قد حجل في خير، ولم يره النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).
وهو جواب لا يصح، فقد صرحوا: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» سأله عن فعله هذا، فأخبره، فراجع..

ولعل الجواب الأقرب هو: أن السؤال في مناسبة الحكم له بينت حمزة لم يكن عن أصل الفعل، بل عن سبب فعله في مثل هذه المناسبة، فأخبره بأن النجاشي كان إذا أَرْضَى أحداً حجل حوله، تعبيراً عن سروره وشكره للنجاشي..
وما جرى في خير كان سببه هو سروره بلقاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسروره «صلى الله عليه وآله» بقدومه، فقد اختلف السبب في الموردين، ولذلك تكرر السؤال منه «صلى الله عليه وآله»..
غير أن هذا الجواب ليس مقنعاً أيضاً..

فأولاً: إن سرور جعفر بلقاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان واضحاً بيناً، وتتفي بذلك الحاجة إلى السؤال والجواب.

٢٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

ثانياً: هذه الإجابة تبقى غير مفهومة أيضاً، فإن ملك الحبشة كان يقضي للناس الكثير من الحاجات، فهل كان يحجل حولهم جميعاً في كل تلك الحالات والمناسبات؟! وهل لديه وقت يتسع لذلك؟! وهل كان يقضي وقته في الدوران حول هذا وذاك؟!!

ابنة أخي من الرضاعة:

وزعموا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد رفض الزواج بهذه الطفلة، لأنها ابنة أخيه من الرضاعة، بادعاء أن ثوية مولاة أبي لهب أرضعته هو وحمزة بلبن ولدها مسروح^(١).

(١) أسد الغابة ج ٣ ص ٩٥ وج ٢ ص ٤٦ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٨ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٩، وبهجة المحافل ج ١ ص ٤١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ١ ص ٦٧ و (ط أخرى) ج ١ ص ١٠٨ والإصابة ج ٤ ص ٢٥٨ وج ٢ ص ٣٣٥ عن الصحيحين، والإستيعاب (بهاشم الإصابة) ج ٢ ص ٣٣٨ وج ١ ص ١٦ و ٢٧١ والبحار ج ١٥ ص ٣٣٧ و ٣٨٤ عن المتقى للكاظمي، وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤١٧ والمجموع ج ١٨ ص ٢٢٨ والكامل لابن الأثير ج ١ ص ٤٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٧٢ والبداء والنهاية ج ٤ ص ٩٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٨ و ١٩ وقسم المغازي ص ٢٠٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ والوفاء ج ١ ص ١٠٧ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٣١ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ١١٣ وصفة الصفوة ج ١ ص ٥٦ و ٥٧ وزاد المعاد ج ١ ص ١٩ وذخائر العقبى ص ٢٥٩ و ١٧٢ وإعلام الوری ص ٦ وكشف الغمة ج ١ ص ١٥ والأنس الجليل ج ١ ص ١٧٦ وأنساب الأشراف (قسم السيرة) ص ٩٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٤ وفي الروض الأنف ج ١ ص ١٨٦ لكن فيه بدل =

ونقول:

ذكرنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب، في فصل «عهد الطفولة»: أننا نشك في صحة ذلك.

أولاً: لتناقض الروايات في كثير من الأمور المرتبطة بهذا الزعم، فراجع.
ثانياً: إن حمزة كان أكبر سنّاً من النبي «صلى الله عليه وآله» إما بستين، أو بأربع سنوات، وذلك يجعل من البعيد أن يكونا قد ارتضعا بلبن واحد، إلا في حالات نادرة الوقوع، وفي سن لا يحتاج الطفل فيها إلى الرضاع، بل هو يستغني عنه بالطعام والقطام.

وثالثاً: لو أغمضنا النظر عن هذا وذاك، فإننا نقول:

إن حمزة كان أكبر من النبي «صلى الله عليه وآله» بأكثر من عشر سنوات، بدليل: أن عبد المطلب كان قد نذر لئن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا حتى يمنعه ليزبحن أحدهم لله عند الكعبة.

فلما ولد له عشرة، وكان عبد الله أصغرهم، وفيهم حمزة، جمعهم ثم أخبرهم بنذره.

وأقرع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله.. فلم يمكّنوه من ذبحه.

= أبي سلمة عبدالله بن جحش.

وراجع: المعجم الصغير ج ٢ ص ٨٦ ومستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ١٤٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٥٧٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦٢ والعدد القوية ص ١٢٢ وعن عيون الأثر ج ١ ص ٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٦ و ٣٧٥ وج ١١ ص ٨٣ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٨.

والقصة معروفة، فراجع^(١).

وقد صرحوا: بأن قصة الذبح هذه حصلت قبل خمس سنوات من ولادة رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

وربما يكون هذا التحديد غير دقيق، ويكون الفاصل بين قصة الذبح وولادة النبي «صلى الله عليه وآله» أقل من ذلك أيضاً.

أسئلة تبقى حائرة:

وتبقى هنا أسئلة عديدة تحتاج إلى إجابات، ومنها:

- ١ - إنه كما كانت أسماء بنت عميس خالة لابنة حمزة، فإن صفية بنت عبد المطلب كانت عمتها، فلماذا لم تأخذها صفية، دون كل أحد؟
- فهل هي لم تطالب بها، أو أنها طالبت بها لكنهم لم يعطوها إياها؟
- وعلى فرض عدم مطالبتها، لا بد أن نسأل عن سبب ذلك، فهل هو لأجل عدم قدرتها على القيام بشؤونها؟ أو أنها لم تحضر هذه القضية، وقد

(١) راجع: البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ١٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٦٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٦ وفي السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥ وإن كان لم يذكر: أن عبد الله كان أصغر ولده، لكنه ذكر حمزة والعباس في جملة أولاد عبد المطلب حين قضية الذبح.. وذكر في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الإستقامة) ج ٢ ص ٤: أن عبد الله كان أصغر ولده، وأحبهم، لكنه لم يسم أولاد عبد المطلب وراجع: المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣١٥ و ٣١٦ وعن الدر المشورج ٣ ص ٢٢٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ٢٤٠ وتاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٥٠ و ٢٥١.

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٧٩ عن الواقدي.

حسم الأمر دون أن تعلم، ثم علمت فرضيت؟!

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» - كما زعموا - أخاً لحمزة من الرضاعة، ولحمة الرضاعة كلحمة النسب، وكانت زوجته ميمونة بنت الحارث أخت سلمى بنت عميس؛ لأمها. فهي خالة بنت حمزة، فلماذا لم يأخذها رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً.

٢ - لماذا بقيت زوجة حمزة سلمى بنت عميس وابنتها في مكة حتى كبرت ابنة حمزة، فهل هي لم تهاجر مع زوجها؟ أو أنها هاجرت معه، ثم عادت إلى مكة؟ مع العلم بأنه هاجر إلى المدينة في أول سني الهجرة..
وكان أول لواء عقده النبي «صلى الله عليه وآله» هو لواء حمزة، وقد حضر بدرأ، واستشهد في أحد.

ولعل الصحيح: هو أن علياً «عليه السلام» قد أخرج فاطمة بنت الحمزة - كما قيل: بنت سلمى بنت عميس^(١) وقيل: أن اسمها عمارة^(٢)،

(١) الإصابة ج ٤ ص ٣٨١ والجواهر النقي ج ٦ ص ٢٤١ ومقاتل الطالبين ص ١١ والطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٥ و ٣٦ وتهذيب الكمال ج ١٥ ص ٨٢ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢١٣ و ٢١٤ و ١٥١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٨٨ و ٣٨٩.

(٢) البحار ج ٢٠ هامش ص ٣٧٢ عن الإمتاع، وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٨٨ و ٣٨٩ وكتر العمال ج ٥ ص ٥٨٠ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٢ و ج ٨ ص ١٥٩ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٦١ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٥٠٨ و ج ٨ ص ١٨٥ و ٢٤٢ والمنتخب من ذيل المذيل ص ١١٤ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٤٣ وعمدة القاري ص ١٧ ص ٢٦٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩.

٢٢٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وقيل: «أمامة» - من مكة حين هجرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا في عمرة القضاء.. فإن صح هذا فلماذا عادت إلى مكة؟ وكيف؟

وحين يذكرون هجرة الفواطم مع علي «عليه السلام» ونزولهم ضجنان لا يذكرون فاطمة بنت الحمزة مع الفواطم الثلاث، ولعل ذلك لأنها كانت طفلاً تابعاً.

أما في غيره من المواضع، فإنهم يقولون: إن الفواطم أربعة، أو ثلاث ويذكرونها بينهم^(١).

(١) الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٤٨ و ٥٨ وكتاب المحبر ص ١٠٧ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٥ و ١٩٦.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٤ و ٢٠٥ وتفسير الميزان ج ٤ ص ٩١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٧٤٨ والأمالى للطوسي ص ٤٧١ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٥٩ وحلية الأبرار ج ١ ص ١٥١ و ١٥٢ والبحار ج ١٩ ص ٦٦ وج ٦٣ ص ٣٥٠ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٤٦٨ والتفسير الصافي ج ١ ص ٤١٠ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٢٣ وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٣٢٦ وكشف الغمة ص ٣٣ وسيرة المصطفى ص ٢٥٩.

(٣) راجع: نيل الأوطار ج ٢ ص ٧٧ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٦٧ وشرح مسلم للنووي ج ١٤ ص ٥٠ ومقدمة فتح الباري ص ٢٨٢ والديباج على مسلم ج ٥ ص ١٢٦ والفايق في غريب الحديث ج ٢ ص ١٧٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٧١ واللمعة البيضاء ص ٢٠٧ ولسان العرب ج ١٢ ص ٤٥٥ وتارخ العروس ج ٩ ص ١٣ وكتز العمال ج ١ ص ٣١٠٢ وفتح الباري ج ١١ ص ٤٧٧ وسبل السلام ج ٢ ص ٨٦ وعون المعبود ج ١١ ص ١٠١ وعمدة القاري ج ٢١ ص ٢٣ وج ٢٢ =

٣- إذا كان زيد وجعفر مهتمين بابنة حمزة إلى حد الخصومة والاحتكام إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلماذا لم يذكرها أي منهما في مكة، ولم يبادرا إلى مساعدتها للخلاص مما هي فيه؟!

٤- هل كانت هذه الطفلة تتبع عمها وحدها؟ أم كان معها من يرعاها؟ وإن كانت وحدها، فكيف تركتها أمها وحيدة تتجول في مكة، وتتبع الخارجين منها، دون أن تدبّر أمرها، وترشدها إلى ما ينبغي لها أن تفعله؟!

وكيف تركها تسافر معهم؟!

وهل سجلت اعتراضاً على سفرها إلى المدينة؟!

أم أنها لم تعلم بما جرى لابنتها أصلاً؟!

وربما يؤيد ذلك أن ظاهر بعض النصوص المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» قد تناوَلها، وسلمها لفاطمة «عليها السلام»، وانتهى الأمر.

فهل هذه عملية خطف أقدم عليها أعظم الخلق وأكرمهم، ولم يراع حال والدتها المسكينة، التي لا بد أن تبحث عن ابنتها في كل اتجاه فلا تجدها، وسيتقطع قلبها خوفاً عليها؟

وهل يتناسب هذا مع ما تفترضه الشفقة وتقضي به العاطفة في أمور كهذه؟!

= ص ١٧ والتمهيد ج ١٤ ص ٢٣٩ وشرح معاني الآثار ج ٤ ص ٢٤٣ ومرواة المفاتيح ج ٨ ص ١٧٧ وعن الإصابة ج ٤ ص ٣٨١ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٣٦٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٥٣ وتعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروسي ج ١ ص ١١٦.

٢٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وإذا كانت أمها معها وهي ترعاها، فهل أرادت التخلص منها، فأغرتها باتباع النبي «صلى الله عليه وآله»، ومناداته؟!

٥ - وحين نادت هذه الطفلة النبي «صلى الله عليه وآله» فلماذا لم يجيبها، وانتظر حتى كلمه علي «عليه السلام» في شأنها؟!

وإذا كان أبو رافع قد خرج بها، فهل فعل ذلك بإذن من أمها؟ أم بدون إذن منها؟!

٦ - ما معنى القول المنسوب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه المناسبة: «..ولا تنكح المرأة على خالتها، ولا على عمتها»؟! هل أريد به التعريض بعلي «عليه السلام»، ويزيد بأنهما قد يبادران إلى الزواج منها، لو كانت في كفالتها؟!

٧ - كيف أخرج أبو رافع ابنة حمزة معه، مع أن المشركين كانوا قد اشترطوا في الحديبية ألا يخرجوا بأحد من أهلها أراد الخروج؟!

إلا أن يجاب: بأن المقصود بهذا الاشتراط هو خصوص الرجال، ولا يشمل النساء.

الفصل السابع:

سرايا وأحداث إلى مؤتة

وہاں سے ازلہ عفا

سناں رہا! شامہ او لیا ایدہ

سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم:

وروى الزهري: أنه لما رجع النبي «صلى الله عليه وآله» من عمرة القضاء، سنة سبع، وكان رجوعه في ذي الحجة، بعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين رجلاً إلى بني سليم. وكان في جملتهم عين لبني سليم. فلما خرج من المدينة سبقهم ذلك العين، إلى بني سليم، وأخبرهم بالأمر، فجمعوا جمعاً كثيراً، فجاءهم ابن أبي العوجاء، وقد أعدوا له، فلما رأوه أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام، فرشقوهم بالنبل، ولم يسمعوا قولهم، وقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتهم إليه. فراموهم ساعة، وجعلت الأمداد تأتي، حتى أحدقوا بهم من كل ناحية، فقاتل القوم قتالاً شديداً، حتى قتل عامتهم، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

(١) البداية والنهاية (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٣٤ و(ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢ ص ٢٦٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٣٦ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٠ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٣ وج ٤ ص ٢٧٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٨ وعن حياة الصحابة (باب الدعوة إلى الله وإلى رسوله حب الدعوة) دعوة ابن أبي العوجاء، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٤٤.

ونقول:

تشابه مريب وغريب:

ما معنى أن يتكرر ما يشبه هذه الحادثة؟!

ثم ما معنى أن يتجلى هذا التشابه في الأوقات، ومع أشخاص، ومع قبائل مختلفة، ثم هو يتجلى من حيث معرفة المقصودين بأمر البعث إليهم، ثم استعدادهم لهم، ثم مهاجمتهم للمبعوثين إليهم، ثم مراماتهم بالنبل، وقتل أكثر أفراد السرية، ثم نجاة قائدها، جريحاً مرتناً بين القتلى، ثم تحمله على نفسه، والالتحاق برسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فراجع ما يذكرونه في سرية ذات أطلاق، في شهر ربيع الأول سنة ثمان.

وسرية بشير بن سعد إلى فدك في شعبان سنة سبع.

وسرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة في ذي القعدة.

جهل أم تجاهل؟!

لم يذكر لنا اسم أي واحد من هؤلاء المسلمين الذين قتلوا في هذه السرية، رغم أن ثمة حرصاً ظاهراً على تسجيل هذا الأمر كما نلاحظه في سائر الموارد.

جمع بني سليم:

كيف تمكن بنو سليم من أن يجمعوا هذا الجمع الكثير لمواجهة هذه السرية، فالمفروض أن العين قد خرج من المدينة مع نفس تلك السرية، ثم سبقها، فحتى لو كان سبقها بيوم كامل، فإنهم لا يتمكنون من جمع أعداد

كبيرة، يحتاج جمعها إلى التنقل من مكان إلى مكان، وإلى إعداد ووقت. على أن سبقه للسرية من شأنه أن يثير الشكوك حوله، إذا التفت أفراد السرية إلى مفارقتها لهم، وسوف يجعلهم يترددون في مواصلة المسير، وسيكون أكثر حذراً، وأبعد عن الوقوع في الفخ الذي نصب لهم.

سبب هذه السرية:

إذا كان الخيار الوحيد المتوفر لدينا فعلاً هو التسليم والقبول، أو السكوت عن النقاش في صحة هذه السرية، بسبب شحة النصوص حولها، فإن ما يمكن أن نقوله فيها هو: أن نقلة الأخبار وإن كانوا لم يذكروا لنا الكثير من أخبارها، ولا أوردوا شيئاً عن سبب إرسالها إلى بني سليم، فهل هو لأنهم نقضوا عهداً؟! أو لأنهم ارتكبوا جرماً؟ أو لأجل الحصول على نعمهم ومواسيهم؟! أو لأنهم جمعوا الناس لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» أم لغير ذلك؟!

لكننا نطمئن إلى أن هذا الافتراض الأخير غير صحيح، لأن النص التاريخي يصرح: بأنهم إنما جمعوا جمعاً كثيراً بعد أن أخبرهم العين بأمر السرية..

كما أن افتراض إرادة سلب أموالهم، لا يمكن قبوله أيضاً، لما ذكرناه مراراً وتكراراً: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليغير على أحد بهدف استلاب الأموال، بل لأجل دفع شره، أو جزاء له على عذره، حين يكثر عن أنيابه، ويدبر للانقضاض على المسلمين!! وإلحاق الأذى بهم. وربما يكون إرسالهم للعين إلى المدينة مؤشراً على نواياهم العدوانية

هذه، وإن كان لا يكفي لإثبات ذلك بصورة قاطعة..

ويمكن تأييد ذلك بمؤشر آخر أقوى، وهو أنه لا شيء يثبت أن المسلمين قد جاؤوا للحرب، بل الظاهر من سياق الأحداث: هو أنهم جاؤوا للدعوة إلى الإسلام، وذلك من حقهم.. فكان بإمكانهم الاكتفاء برفض الاستجابة، ولكنهم لم يكتفوا بذلك، بل رشقوا المسلمين بالنبل قبل أن يصرحوا برفضهم!!

ثم باشروا بالعمليات الحربية ضد المسلمين، وكانوا قد هياؤا لها!! وربما يؤيد ذلك أيضاً: أن اكتفاء النبي «صلى الله عليه وآله» بإرسال خمسين رجلاً إلى قوم يستطيعون أن يجمعوا جموعاً قتالية كثيرة، قادرة على إبادة هؤلاء الخمسين، يشير إلى أنها لم تكن سرية قتالية، وإنما كانت سرية دعوة، وإرشاد، وتعليم، ليس إلا، ولكن خبث هؤلاء القوم، قد ساقهم إلى هذا الكيد، الذي يستهين بالجريمة، ويعتبر ارتكابها نصراً وفخراً..

إسلام خالد، وعمرو بن العاص:

وكان بين الحديبية وعمره القضاء، إسلام خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة.

وقيل: كان ذلك بعد عمره القضاء^(١)، في السنة الثامنة^(٢).

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٢٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٩ عن البيهقي، وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٩.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٤٥ و ٧٤٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٥ و ٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٤٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٩ =

وفي نص آخر: قبيل الفتح^(١).

قيل: ويشهد له ما جاء عن خالد بن الوليد أنه قال: لما أراد الله عز وجل ما أراد بي من الخير قذف في قلبي الإسلام، وحضر لي رشدي، وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهده إلا أنصرف، وأنا أرى في نفسي أي موضع في غير شيء، وأن محمداً يظهر.

فلما جاء لعمره القضاء تغييت، ولم أشهد دخوله، فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه، فطلبني فلم يجدني، فكتب إليّ كتاباً، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد... فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وقلة عقلك، ومثل الإسلام يجهله أحد. قد سألتني عنك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: أين خالد؟

فقلت: يأتي الله به.

فقال: ما مثله يجهل الإسلام، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على

= وج ٧ ص ١٢٨ ومكاتب الرسول ج ١ ص ١٥٥ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٥٢٩ والثقات ج ٣ ص ١٠١ وعن أسد الغابة ج ٢ ص ٩٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢١٩ عن الواقدي، وفتح البلدان ج ١ ص ٩٣ والجواهر النقي للمارديني ج ٩ ص ٧٩ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٤٢٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٣١٩ عن الاستيعاب.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٤٥ وعن مسند أحمد ج ٤ ص ١٩٩ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٢٩٧ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٥١ والأحاديث الطوال ص ٤٠ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٥٧٠ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٧١.

المشركين كان خيراً له، ولقدمناه على غيره.

فاستدرك يا أخي ما فاتك، فقد فاتك مواطن صالحة.

فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرتني مقالة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأيت في المنام: كأني في بلاد ضيقة جدبة، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة.

زاد الواقدي وغيره: أنه ذكر هذه الرؤيا لأبي بكر حين جاء إلى المدينة، ففسر له الضيق بالشرك، والسعة بالإسلام.

فلما اجتمعنا للخروج إلى المدينة لقيت صفوان، فقلت: يا أبا وهب، أما ترى أن محمداً ظهر على العرب والعجم، فلو قدمنا عليه فاتبعناه، فإن شرفه شرف لنا.

قال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً.

قلت: هذا رجل قتل أبوه وأخوه بيد، فلقيت عكرمة بن أبي جهل، فقلت له: مثل ما قلت لصفوان.

فقال: مثل الذي قال صفوان.

قلت: فאתم ذكر ما قلت لك.

قال: لا أذكره.

ثم لقيت عثمان بن طلحة - أي الحجبي - فقلت: هذا لي صديق، فأردت أن أذكر له.

ثم ذكرت من قتل من آبائه: أي قتل أبيه طلحة، وعمه عثمان، وقتل إخوته الأربعة: مسافع، والجللاس، والحارث، وكلاب، كلهم قتلوا يوم أحد. فكرهت أن أذكر له.

الفصل السابع: سرايا وأحداث إلى مؤنة ٢٣٥

ثم قلت: وما عليّ، وأنا راحل من ساعتني، فذكرت له ما صار الأمر إليه.
فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر، لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج.
ثم قلت له: ما قلته لصفوان وعكرمة، فأسرع الإجابة، فواعدني إن
سبقني أقام في محل كذا، وإن سبقته إليه انتظرته.
فلم يطلع الفجر حتى التقينا، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة - اسم محل -
فوجد عمرو بن العاص بها، فقال: مرحباً بالقوم.
فقلنا: وبك.

قال: أين مسيركم؟

قلنا: الدخول في الإسلام.

قال: وذلك الذي أقدمني.

وفي لفظ: قال عمرو لخالد: يا أبا سليمان أين تريد؟

قال: والله لقد استقام الميسم، أي تبين الطريق، وظهر الأمر، وإن هذا

الرجل لنبي، فأذهب فأسلم، فحتى متى؟

وفي نص آخر: أن خالداً قال لعمرو: دخل الناس في الإسلام فلم يبق

أحد به طمع، والله، لو أقمنا لأخذ برقابنا، كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها^(١).

قال عمرو: وأنا ما جئت إلا لأسلم.

فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة الشريفة.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٤٤ وكنز العمال ج ١٣ ص ٣٧١ - ٣٧٤ وعن تاريخ

مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٢ و ٢٧٣

والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥١ و ٤٥٢.

وعند الديار بكري: «فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة، أول يوم في صفر سنة ثمان»^(١).

فأنخنا بظهر الحرة ركابنا، فأخبر بنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسرّ بنا، وقال: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها، فلبست من صالح ثيابي، ثم عمدت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلقيني أخي، فقال: أسرع فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد سر بقدمكم وهو يتظركم.

فأسرعنا المشي، فاطلعت عليه، فما زال يتبسم إليّ حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة، فرد عليّ السلام بوجه طلق، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله.

قال: الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير.

قلت: يا رسول الله، ادع الله لي أن يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدا عليك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «الإسلام يجب ما كان قبله».

وفي نص آخر: قال خالد: فوالله ما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» من يوم أسلمت يعدل بي أحداً فيها حزبه»^(٢).

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٦ والطبقات الكبرى ج ٤ ص ٢٥٢ وج ٧ ص ٣٩٤ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٣٨ ص ٣٨٣.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٤٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٦ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٢٨ والطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٨٩ وج ٧ ص ٢٦٨ وعن البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٣.

وتقدم عثمان وعمر و فأسلمها.

وفي رواية عن عمرو بن العاص قال: قدمنا المدينة، فأنخنا بالخرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر، فانطلقنا حتى اطلعنا عليه وإن لوجهه تهلاً، والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا؛ وتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه «صلى الله عليه وآله»، فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه «صلى الله عليه وآله».

قال: فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولم يحضرنى ما تأخر.

فقال: «إن الإسلام يجب ما كان قبله، والهجرة تجب ما كان قبلها».

فوالله ما عدل بي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبخالد بن الوليد أحداً من الصحابة في أمر حربه منذ أسلمنا، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة.

وكان عمر على خالد كالعاتب.

وتقدم: أن عمرواً أسلم على يد النجاشي.

قال بعضهم: وفي إسلام عمرو على يد النجاشي لطيفة، وهي: صحابي أسلم على يد تابعي. ولا يعرف مثله.

ومن حين أسلم خالد لم يزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوليه أعنة الخيل، فيكون في مقدمها^(١).

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٢٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٤٦ و ٧٥٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٦ وعن أسد الغابة ج ٢ ص ٩٤ وتهذيب الأسماء واللغات.

قال أبو عمر: لم يصح لخالد بن الوليد مشهد مع رسول الله قبل الفتح^(١).

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم العديد من الوقفات، نجملها على النحو التالي:

رسالة الوليد إلى خالد:

تقدم: أن الوليد بن الوليد كتب إلى أخيه خالد كتاباً يتعجب فيه من ذهاب رأيه - خالد - عن الإسلام، ومن قلة عقله، وقال له: «ومثل الإسلام يجله أحد؟!»

ونقول:

أولاً: مع أن الوليد نفسه لم يسلم إلا بعد وقعة بدر^(٢)، فأين كان عقله عنه طيلة أكثر خمس عشرة سنة، كان النبي «صلى الله عليه وآله» يدعوهم فيها إلى الإسلام.

ثانياً: لم يثبت أن الوليد وصل إلى المدينة بعد خروجه من مكة في عمرة القضاء، فقد قيل: إنه مشى على رجله لما هرب، وطلبوه فلم يدركوه. ويقال: إنه مات في بئر أبي عتبة قبل أن يدخل المدينة^(٣).

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٦.

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٦٣٩ وعن فتح الباري ج ٨ ص ١٧٠ والطبقات الكبرى ج ٤ ص ١٣٠ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٩٢ وج ٦ ص ٤٨٤.

(٣) الإصابة ج ٣ ص ٦٣٩ وأسد الغابة ج ٥ ص ٩٢ و ٩٣ والأعلام للزركلي ج ٨ ص ١٢٣.

لم يسلم خالد سنة خمس:

زعم بعضهم: أن خالداً أسلم سنة خمس للهجرة^(١). وهذا لا يصح، إذ قد تقدم في عمرة الحديبية: أن خالداً كان قائداً لطليلة قريش في تلك الغزوة وكان ذلك سنة ست^(٢).

من أسباب إسلام عمرو وخالد:

قد أشير فيما تقدم إلى إسلام ابن العاص، وخالد، وإلى الأسباب الداعية لهما إلى ذلك، ولنا على ذلك ملاحظات، هي التالية:

١ - إن كلمات خالد المتقدمة تشير إلى: أن شعوره باليأس من الظفر، وتنامي إحساسه بالفشل، وعدم الوصول إلى نتيجة، ومعاناة الهزائم المتتالية أمام جيوش الإسلام، هو الذي دعاه لمراجعة حساباته، والتفكير بالانحياز إلى المعسكر الذي يرى بأم عينيه كيف يزداد قوة يوماً بعد يوم.

فالقضية إذن، لا تنطلق من الإحساس بالواجب، وظهور الحق له ولغيره بعد أن كان خافياً، كما أنها لم تكن صحوة وجدان، وبقظة ضمير. بل

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٦ الفايق في غريب الحديث ج ١ ص ٢٩٣ وعن البداية ج ٤ ص ٢٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٤٦ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٦٨ والإستيعاب ج ١ ص ١٥١.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٦ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٨١ وعن اسد الغابة ج ٢ ص ٩٣ وعن البداية ج ٤ ص ١٦٣ و ٢٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٧٢ و ٤٥٠ والخلاف للطوسي ج ٤ ص ٣٢٧ وكنز العمال ج ١٣ ص ٣٧٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٢٦.

هي حسابات ربح وخسارة في الدنيا، والمبادرة إلى اقتناص ما يمكن اقتناصه من الفرص قبل فوات الأوان..

وأظهرت الوقائع هذا الأمر بصورة جلية وواضحة، حتى لقد ذهبت مصر كلها طعمة لعمر، وثمناً لمحاربة الحق وأهله، وذلك في أواخر عمره، حين عقد صفقة مع معاوية على حرب علي «عليه السلام» في صفين.

٢- ولعل من أسباب رغبة خالد وعمر بالدخول في الإسلام: هو أن عمرو بن العاص داهية مخنك معروف بالمكائد والمصائد، وقد انتدبت قريش ليذهب إلى الحبشة، ولتسبب بمكره ودهائه بترحيل جعفر وغيره من المهاجرين، وإعادتهم إلى مكة.

وهو الذي دبر الأمر في حرب صفين، وكاد المسلمين برفع المصاحف فيها، حتى انجر الأمر إلى التحكيم.

وكان أشد خطراً من خالد بن الوليد، الذي كان متسرعاً إلى قتل الناس، قسياً، غادراً، خصوصاً بمن له عندهم ثارات.

وغدره ببني جذيمة انتقاماً لعمه الفاكه بن المغيرة، وعوف بن عبد عوف، بعد أن أعطاهم الأمان، معروف ومشهور. وقد تبرأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» من فعلته فيهم، وكان «صلى الله عليه وآله» أرسله إليهم داعياً لهم إلى الإسلام، لا مقاتلاً^(١).

(١) قاموس الرجال ج ٤ ص ١٤٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٦٦ و ٧٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٧ والمسترشد في الإمامة للطبري ص ٤٩٢ والبحار ج ٢١ ص ١٤٠ و ١٤١ والنص والاجتهاد ص ٤٦٠ وعن أسد الغابة ج ٣ ص ٣١٦ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦١ وعن البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ =

الفصل السابع: سرايا وأحداث إلى مؤتة ٢٤١

كما أنه غدر بمالك بن نويرة، وقتله، ثم عرّس بامرأته في ليلة قتله^(١).
ثم قتل رجلين مسلمين في غارته على مضيق، وهما: عبد العزى بن أبي
رهم، وليد بن جرير^(٢).

ولكن وعكل هذه المخازي التي ارتكبها خالد، فإنه كان أقل ضرراً
على الإسلام من عمرو بن العاص، من حيث إنه كان له محيطه الخاص،
ويمكن لجم جهاحه، وإخضاعه ووضع في دائرة السيطرة وليس كذلك
عمرو بن العاص.

٣ - ولو سلم أنه قد كتب ذلك لخالد، فلا بد أن يكون هذا التلويح
النبي لخالد بأنه سوف يقدمه إذا أسلم قد أذكى الطموح لديه، ورجح له
الانحياز إلى المسلمين.

= ص ٣٥٩ وعن السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٩٣ ومعجم ما استعجم ج ٣
ص ١٠٠٥.

(١) قاموس الرجال ج ٤ ص ١٤٦ و ١٤٧ عن تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٧٨ و
٢٧٩ والغدير ج ٧ ص ١٥٩ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٠٤ -
٢٠٦ والنص والإجتهد ص ١١٩ و ١٢٣ وعن أسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥ و
٢٩٦ ومعجم البلدان ج ١ ص ٤٥٥ وعن البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٥٤ و ٣٥٥
والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٧٣ والبحار ج ٣ ص ٤٧٦ و ٤٧٧ و
٤٩١ و ٤٩٣ والثقات ج ٢ ص ١٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٧٤ وعن
الإصابة ج ٢ ص ٢١٨ و ج ٥ ص ٥٦٠ و ٥٦١ والإستغاثة ج ٢ ص ٦ والكنى
والألقاب ج ١ ص ٤٢ و ٤٣ وبيت الأحزان ص ١٠٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٠ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٨٧.

وتكون نتيجة هذا وذاك أن إسلام خالد لم يكن عن قناعة تكونت لديه بصحة هذا الدين، وإنما أسلم طمعاً بالتقديم، بعد اليأس من الظفر بشيء عن طريق الحرب.. تماماً كما كان الحال بالنسبة لعمر بن العاص.

ولكن الملاحظ هنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ميّز خالداً عن عمرو بن العاص. ولعله لأجل ما قدمناه من شدة خطورة الثاني بالنسبة للأول..

٤ - إن ظهور النبي «صلى الله عليه وآله» على العرب والعجم، قد أضاف عنصراً آخر، فرض نفسه على تفكير هؤلاء الطامعين، والطامحين، كما دل عليه كلام خالد مع صفوان بن أمية.. فإنهم يقيسون الأمور بمقاييس الأحجام والأوزان، وكانت تبهرهم العناوين الكبيرة، وتهيمن الكثرات على تفكيرهم، ومن ثم على مسيرهم ومصيرهم. مية

٥ - إن الرغبة في الحصول على المواقع الدنيوية، ونيل مقامات ومراتب الأبهة والشرف من أهل الشرف، قد أذكت الرغبة لديهم بهذا الشرف الدنيوي، وفق مفهومهم ونظرتهم، لكي يلونوه بالألوان التي تروق لهم.

٦ - إنه على تقدير صحة هذه الرسالة، فإن ما يثير دهشتنا: هو أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد جعل تقديمه لخالد مرهوناً بنكاية خالد في المشركين على وجه التحديد، مع أنه كان لا يزال على شركه، وهذا العرض ليس فقط لم يزعج هذا الرجل المشرك، بل هو قد شجعه على الإقدام على الدخول في الإسلام، وكان على استعداد لأن يبارس هذه النكاية فعلاً، مقابل هذا التقديم..

وهذا إعلان صريح للأجيال بأن هؤلاء الناس ليس لهم دين، ولا

٢٤٣ الفصل السابع: سرايا وأحداث إلى مؤتة
معبود إلا أنفسهم، ولا يفكرون إلا بمصالحهم، وأن إسلامهم الظاهري
هذا قد لا يغيّر شيئاً من دخائلهم، وإن كان يجب قبوله منهم، ومعاملتهم
على أساسه في الظاهر.

والحديث عن هذا يستبطن تشجيع حركة النفاق داخل المجتمع
الإسلامي.. غير دقيق، وتحدثنا عن ذلك حين الحديث عن فتح وادي القرى
فراجع..

٧ - إن ما قاله خالد لعثمان بن طلحة: «إننا نحن بمنزلة ثعلب في
جحر، لو صب فيه ذنوب ماء لخرج»، كان تقيماً دقيقاً لحقيقة ما انتهى إليه
واقع قريش ومشركي مكة، فقد أصبحوا محصورين في داخل بلدهم، بل
لقد دخل الإسلام كل بيت، وشاع في كل قبيلة حتى في مكة نفسها، ولم يعد
لقريش أي ملاذ تأوي إليه، أو تراوغ فيه، سوى هذا الموقع الذي هو مكة،
بحيث لو خرجت منها، لوجدت نفسها في العراء أمام قانصها، الذي كان
بانتظارها ليواجهها بمصيرها الذي استحقته بما كسبته يداها.

وهذا المنطق قد فرض نفسه على عثمان بن طلحة، وعلى خالد، وعلى
عمرو بن العاص وعلى غيرهم.

الإسلام الصادق ﷺ :

إن طريقة اعتراف خالد لعمرو بن العاص بما يفكر فيه، وقوله: «فتحتي
متى؟! تدل على أنهم كانوا يعلمون بنبوة رسول قبل مدة، ولكنهم كانوا
يسوّفون ويباطلون في الاعتراف بهذا الأمر.. وذلك وفقاً لما أخبر الله تعالى

٢٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
به عنهم حين قال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^(١).

وهذا الأمر بالذات يجعلنا لا نتق بصدقهم في دعواهم الإسلام والإيمان،
فإن من يكتم الحق، ويرفض الاعتراف به دهرًا، من أجل مكاسب دنيوية، لا
يتورع عن أن يظهر القبول والاعتراف به، طمعًا في مكاسب دنيوية أيضًا..
ولأجل ذلك.. نقول:

إننا وإن كنا نلتزم بوجوب معاملة هؤلاء وفق ما يفرضه الشرع
الحنيف من أحكام لمظهري الإسلام، لكننا لا بد أن نبقي على حذر منهم،
وأن لا نُخدع بظواهر حالهم، حتى تُثبت لنا تضحياتهم، وممارساتهم، أن
باطنهم يتوافق مع ظاهرهم.. وأن ما أضمره موافق لما أظهره.

الإسلام يجب ما قبله:

وذكرت الروايات المتقدمة: أن عمرو بن العاص طلب من النبي «صلى
الله عليه وآله» أن يدعو الله أن يغفر له ما كان قد فعله في حربه على
الإسلام، قبل أن يسلم.

وفي نص آخر: بايعه على أن يغفر له ما تقدم من ذنوبه..

فأجابه «صلى الله عليه وآله»: بأن الإسلام يجب ما كان قبله.

والذي يستوقفنا هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يستجب لطلب عمرو
بن العاص، ولم يستغفر الله له.. بل جعل الأمر مرهوناً بصدقته في إسلامه،
فإن كان صادقاً فيه، فنفس هذا الإسلام هو الذي يرفع ويزيل آثار أفاعيله
السابقة، وتكون النتيجة هي: أننا لا نستطيع الجزم بأن ابن العاص قد

(١) الآية ١٤ من سورة النمل.

تخلص من تلك الآثار، إلا إذا تيقنا بصدقه في دعواه الإسلام.
ومن الواضح: أن زوال الآثار إنما يبدأ من لحظة تكوّن هذا الإسلام الحقيقي، الذي قد يتأخر، بل ربما لا يحصل أصلاً، ويبقى مجرد ادّعاء، ليس وراءه قناعة ولا قبول.

ولو أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعا أو استغفر لعمر و لزال آثـار تلك العـظام حتماً وجزماً، في أي حال يكون ابن العاص عليها، أي سواء أكان صادقاً في دعواه الإسلام، أم غير صادق.
ثم يبدأ حسابه على أعماله من لحظة دعائه «صلى الله عليه وآله» له..

عمر كالعاتب على خالد!!:

وذكر النص المتقدم: أن عمر بن الخطاب كان كالعاتب على خالد، ولكنه لم يبين لنا مبررات هذا العتب..

فإن خالدًا لم يقترب ذنباً حين قد مر إلى المدينة وأعلن اسلامه، إلا إذا كان عتبه عليه من أجل ما فعله ببني جذيمة^(١)، حين أرسله النبي «صلى الله

(١) علل الشرايع (ط النجف) ص ٤٧٤ والبحار ج ٢١ ص ١٤٢ وج ١٠١ ص ٤٢٤ والأمالى للصديق ص ٢٣٧ و ٢٣٨ وأمالى الطوسي ص ٤٩٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠٣ ومسند أحمد ج ٢ ص ١٥١ وسنن النسائي ج ٨ ص ٢٢٧ والكمال في التاريخ ج ٢ ص ٢٥٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٧٠ و ٧١ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٤٥ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٠٣ وج ٤ ص ١٢٢ وج ٨ ص ٩٢ وج ٩ ص ٩١ وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٢٢ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٦٦ ومستدرك الوسائل ج ١٨ ص ٣٦٦.

٢٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
عليه وآله، إليهم داعياً، لا مقاتلاً؟! أم أنه كان عاتباً عليه لأجل قتله مالك
بن نويرة، ووطئه زوجته في ليلة قتله؟!^(١).

أو لعل السبب في ذلك هو: أنه كان قد اصطرع مع خالد بن الوليد،
وهما غلامان. وكان خالد ابن خال عمر، فكسر خالد ساق عمر، فعرجت،
وجبرت، فكان ذلك سبب العداوة بينهما^(٢).

إننا نرجح هذا السبب الأخير، إذ لم نجد من عمر أية ردة فعل تجاه ما
جرى لبني جذيمة، فإنه لم يسحب سيفه ليقول: دعني أقتله يا رسول الله،
كما تعودناه منه في الكثير من المناسبات.

كما لم نجده يسعى في معاقبته بعد توليه الخلافة على جريمة الزنى بزوجة
مالك بن نويرة في ليلة قتله لرجل مسلم، ولا على قتله امرأة مسلماً بصورة
غادرة، وغير شريفة، بل هو قد استعان به، وأظهر الحزن عليه حين وفاته،
وأعرب عن رغبته في بكاء الناس عليه^(٣). رغم أنه كان يمنع غيره من ذلك.

(١) قاموس الرجال ج ٣ ص ٤٩١ عن الطبري، والصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٧٩
والغدير ج ٧ ص ١٥٨ و ١٩٦ والبحار ج ٣٠ ص ٣٥١ وعن تاريخ الأمم
والملوك ج ٢ ص ٥٠٣ و ٥٠٤.

(٢) كثر العمال ج ١٣ ص ٣٦٩ عن ابن عساكر، والبداية والنهاية ج ٧ ص ١٣١
والغدير ج ٦ ص ٢٧٤ عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٢٠ وجامع الأحاديث
والمراسيل ج ١٩ ص ٢٥٣ و ٣٩٨ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٦٧.

(٣) الإصابة ج ١ ص ٤١٥ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ١ ص ٤١٠ وعن تاريخ
مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٦٩ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٦٧.

دعاوى عريضة لعمر بن العاص:

وأما ما ادّعاه عمرو بن العاص: من أنه «صلى الله عليه وآله» لم يعدل به وبخالد بن الوليد أحداً من الصحابة، في أمر حربه منذ أسلمها، وأنه من حين أسلم خالد، لم يزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوليه أعنة الخيل^(١).

فهو محض افتراء، تكذبه جميع الشواهد والدلائل التاريخية..

فإن علياً «عليه السلام» كان صاحب لواء النبي «صلى الله عليه وآله»، وحامل رايته في كل مشهد، باستثناء تبوك، التي لم تكن فيها رايته ولوائه، لا لعمر بن العاص، ولا لخالد بن الوليد.

وكذلك الحال في سائر الغزوات التي شهدتها هذان الرجلان، كغزوة حنين؛ فقد كان خالد في ضمن مجموعة المقدمة^(٢)، وفي فتح مكة، والطائف، كان سهم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد فيها لا يكاد يذكر، باستثناء مشاركة خالد في بعض المجموعات القتالية في فتح مكة من دون إعطائه أية مهمات خاصة، أو متميزة.

وحين تعدى خالد طوره فيها سعى النبي «صلى الله عليه وآله» إلى رآب الصدع، وإعادة الأمور إلى نصابها.

(١) راجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٤٣ والإصابة ج ١ ص والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ١ ص ٤٠٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٦ وعن أسد الغابة ج ٢ ص ٩٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٨ ص ٣٠٦ وراجع: الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٣٠٠ وتهذيب الأسماء واللغات (١٤٢) ترجمة خالد بن الوليد، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٥٥.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٦.

وأما السرايا التي أرسلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد إسلام هذين الرجلين، فكان أكثرها بقيادة أناس آخرين أيضاً.

وقد ورد ذكر خالد في سرية إلى بني جذيمة، ولكنها لم تكن سرية قتال، بل كانت سرية دعوة، تعدى فيها خالد حدود الأوامر النبوية، فأوقع بهم، لأنهم كانوا قد قتلوا عمه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية^(١).

وهذا ما دعا النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» إلى التبرؤ مما صنعه خالد، ثم بادر «صلى الله عليه وآله» إلى تكليف علي «عليه السلام» بمعالجة الفتق الذي أحدثه هذا الرجل^(٢).

(١) قاموس الرجال ج ٣ ص ٤٨٩ و ٤٩٠ عن الطبري، وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٤٢ وفيه: أن خالداً اعترف بأن هذا هو السبب فيما فعله بهم، والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٧ والمسترشد ص ٣٨٥ و ٤٩٢ والنص والإجتهاد ص ٤٦٠ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٣٩ والبحار ج ٢١ ص ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤٨ وعن أسد الغابة ج ٣ ص ٣١٦ والمنق لابن حبيب ص ٢١٧ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٥٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٨٤ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٩٣ و ٥٩٤ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ١٩ ص ٣٩٥ و ٥٣٦ وكنز العمال ج ١٣ ص ٢٢٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٧٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٠٢.

(٢) قاموس الرجال ج ٣ ص ٤٩٠ عن الطبري، وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٤٢، والمعارف (ط سنة ١٣٩٠ هـ) ص ١١٦ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ١ ص ٤٠٧ وعن البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٥٥ والمبسوط للسرخسي ج ١٣ ص ٩٢ وج ٢٠ ص ١٤٣ والمحلى ج ٨ ص ١٦٦ والمسترشد ص ٤٩١ - ٤٩٣ وشرح =

الفصل السابع: سرايا وأحداث إلى مؤتة ٢٤٩

وقد ذكر اسم خالد أيضاً في ضمن من نَفَر برسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة^(١).

وذكروا أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسله لهدم العزى، ولا يصح عدّ هذه المهمة من المهمات القتالية..

أما ما زعموه: من أنه «صلى الله عليه وآله» أرسله إلى أكيدر، فهناك أيضاً شكوك تحوم حول صحة كثير مما يقال فيه، كما سيأتي بيانه.

وأما عمرو بن العاص فقد ورد: أنه كُلفَ بمهمة هدم سواع.. ولا يصح عدّ هذه المهمة في جملة المهمات القتالية أيضاً..

وذكر أيضاً: أنه أرسله أميراً لسرية ذات السلاسل التي ظهر فيها فشله الذريع، وكان النصر المؤزر فيها لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد سعى عمرو بن العاص نفسه إلى إفشال مهمة علي «عليه السلام» فخاب سعيه كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

= الأخبار ج ١ ص ٣٠٩ و ٣١٠ والبحار ج ٢١ ص ١٤٢ و ١٤٣ وج ٣١ ص ٣٣٠ والنص والإجتهاد ص ٤٦٠ و ٤٦١ والفايق في غريب الحديث ج ٣ ص ٣٧٩ وعن تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٤٨ وعن أسد الغابة ج ٢ ص ٩٤ والمحرر ص ١٢٤ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٥٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٨٤ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٠١ وغريب الحديث ج ١ ص ٣٧٢ والنهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٢٧٧ وج ٥ ص ٢٢٦ ولسان العرب ج ٨ ص ١٣٥ و ٤٦٠ وتاج العروس ج ٦ ص ٢٦.

(١) الخصال ج ٢ ص ٢٩٩ والبحار ج ٢١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ وج ٣١ ص ٦٣٢ و ٦٣٣ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٠٢ و ٦٠٣ وكتاب سليم بن قيس ص ١٥٥.

إسلام ابن العاص على يد النجاشي!!

وهناك من زعم: أن ابن العاص أسلم على يد النجاشي، وذلك حين ذهب إليه مع رجال قومه بعد الحديبية، فطلب من النجاشي أن يعطيه عمرو بن أمية الضمري ليضرب عنقه، وكان قد جاءه بكتاب النبي «صلى الله عليه وآله» ليزوجه بأم حبيبة، فلما طلبه منه، ضربه النجاشي على أنفه، فابتدر دماً، فأسلم عمرو حينئذٍ على يد النجاشي، وبايعه على الإسلام، وعاد إلى بلاده، فلما بلغ الظهران، التقى بخالد، وعثمان بن طلحة، فترافقوا إلى المدينة، حسبما تقدم^(١).

ولذلك قيل: إن هذا معناه: أن صحابياً قد أسلم على يد تابعي، ولا يعرف مثله.

ونقول:

١ - إن عمرو بن العاص لم يذكر لنا اسم أي واحد من الذين ذهبوا معه إلى النجاشي، وهم من قومه، وقد تركهم هناك، وانسل راجعاً إلى بلاده.

(١) راجع: الإصابة ج ٣ ص ٢ عن الزبير بن بكار، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٤٢ - ٧٥٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٦ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٩٧ و ٣٩٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٥٦٩ و ٥٧٠ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٧١ و ٢٧٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٥١ وكنز العمال ج ١٣ ص ٣٦٩ و ٣٧٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٢٦ وج ٤٦ ص ١٢٢ و ١٢٣ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٤ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ٢٢٢ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ١٩ ص ٣٩٨.

مع أنه لم يكن هناك أي داع لأن ينسل من بينهم، فلماذا لا يخبرهم بما جرى له مع النجاشي؟ فلعلهم يوافقونه الرأي ويختارون الإسلام أيضاً، خصوصاً مع كونهم - كما ذكر ابن العاص نفسه - من قومه، ومن يرون رأيه، ويسمعون كلامه، ويقدمونه فيما نابهم.

وكيف وثق بخالد، وبعثمان بن طلحة، ولم يثق بهؤلاء الذين يصفهم بهذه الأوصاف؟!

٢ - إن هذه الرواية لم يروها - فيما نعلم - سوى عمرو بن العاص نفسه، وهو متهم فيما يقول عن نفسه.

٣ - لماذا لم يتصل بجعفر بن أبي طالب، وسائر المهاجرين المسلمين، ويبرهم بإسلامه، ويكون معهم وإلى جانبهم؟!

٤ - لماذا لم يخبر عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد بإسلامه على يد النجاشي؟! بل ادّعى لهم: أنه يريد أن يذهب إلى المدينة ليسلم على يد النبي «صلى الله عليه وآله»..

٥ - إن ما جرى بين عمرو وبين النجاشي لم يحمل في طياته أي سبب للإسلام عمرو، بل ربما يقال: إن الأوفق بمسار الأمور هو: أن يزيد حقه على الإسلام، ويتأكد صدوده عنه، وأن يبذل المزيد من الجهد في الكيد له ولأهله..

لقد كان ما فعله النجاشي عبارة عن تسديد لطمة لعمرو، من شأنها أن تدفعه للانتقام من أهل الإسلام، واعتبارهم السبب في بلائه، وفي تحطيم عنفوانه، وكبريائه، وليس لهذه الضربة أي أثر في دفع الشبهات، أو في إيضاح الحقائق، أو في تليين القلوب للحق.

إسلام خزاعة وكتب النبي ﷺ لها:

قالوا: ولما انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الحديبية، لم يبق أحد من خزاعة إلا مسلم مصدق بمحمد، قد أتوا بالإسلام، وهو في من حوله قليل. وأسلم قوم من العرب كثير، ومنهم من هو بعد مقيم على شركه. إلى أن قدم علقمة بن علاثة، وابنا هوزة، وهاجروا؛ فكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى خزاعة في جمادى الآخرة سنة ثمان الرسالة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بديل، وبشر، وسروات بني عمرو.

سلام عليكم، إني أحمد الله إليكم، الله لا إله إلا هو.

أما بعد...

إني لم آثم بآلکم. ولم أضع في جنبکم. وإن أكرم تهامة عليّ أنتم وأقربهم رحماً أنتم، ومن تبعکم من المطيبين. إني قد أخذت لمن قد هاجر منکم مثل ما أخذت لنفسي - ولو هاجر بأرضه - غير ساكن مكة إلا معتمراً، أو حاجاً.

وإني لم أضع فيکم إذ سالت، وإنکم غير خائفين من قبلي، ولا محصورين.

أما بعد.. فإنه قد أسلم علقمة بن علاثة وابناه. وتابعا، وهاجرا على من تبعهما من عكرمة.

أخذت لمن تبعني فيکم ما آخذ لنفسي، وإن بعضنا من بعض أبداً في

الحل والحرم. وإنني - والله - ما كذبتكم. وليحبكم ربكم^(١).
وقد أورد العلامة المتتبع الشيخ علي الأحدي «رحمه الله» هذا النص
بصوره المختلفة عن الأموال، وطبقات ابن سعد، والطبراني، وشرح

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٤٩ و ٧٥٠.

ونقله في مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٢٦ عن: الأموال لأبي عبيد ص ٢٠١ وفي (ط
أخرى) ص ٢٨٨ والطبقات الكبرى (ط ليدن) ج ٢ ق ١ ص ٢٥ وفي (ط دار
صادر) ج ١ ص ٢٧٢ وأسد الغابة ج ١ ص ١٧٠ في ترجمة بديل، ورسالات نبوية
ص ٩٦ (عن ابن حجر والطبراني) وابن أبي شيبه ج ١٤ ص ٤٨٦ وكنز العمال
ج ٤ ص ٢٧٦ (عن ابن سعد، والباوردي، والفاكهي في أخبار مكة، والطبراني،
وأبي نعيم) وص ٣١٠ (عن ابن أبي شيبه).

وراجع: والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ١٥ بسندين، ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣١٥
والأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٦٤ وأعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٥٠ ومجمع
الزوائد ج ٨ ص ١٧٢ و ١٧٣ ومجموعة الوثائق السياسية ٢٧٥ و ٢٧٦/١٧٢
(عن جمع ممن تقدم وعن) وسيلة المتعبدين ج ٨ ص ٢٨/ ألف، ثم قال: قابل ابن
عبد ربه ج ٢ ص ٧٦ والإستيعاب، وانظر: كاتاني ج ٨ ص ٢١ واشبرنكر ج ٣
ص ٤٠٤ واشبرير ص ٢٠.

ثم قال العلامة الأحدي: وأوعز إليه كنز العمال ج ١ ص ٢٧٣ وجهرة النسب لهشام
الكلبي ص ٣٦٥ والإصابة ج ١ ص ١٤٩ و ٦٤٦ في ترجمة بسر عن أبي شيبه،
والطبراني، والفاكهي وص ١٤١/٦٤١ وص ٣٢١ في حرملة، وج ٢ ص ٥٠٤
والإستيعاب ج ١ ص ١٦٦ في بديل، وص ٤١١ في خالد بن هود، ورسالات
نبوية ص ١٧ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٩٨ وج ٢ ص ٩٧ وراجع: ثقات ابن حبان
ج ٢ ص ٣٦ والإشتقاق ص ٤٧٦ والمفصل ج ٦ ص ٤٢٣ وج ٤ ص ١٥ و ٣٦٧.

ألفاظه، فراجع^(١).

ونقول:

إن لنا مع هذا الكتاب وقفات عديدة، نقتصر منها على ما يلي:

من هو كاتب الكتاب؟!

يلاحظ: أن أكثر المصادر لم تذكر من الذي تولى كتابة هذا الكتاب، لكن ابن الأثير قال: كان الكتاب بخط علي بن أبي طالب. أخرجه الثلاثة^(٢). وفي رسالات نبوية: وإن الكتاب بيد علي بن أبي طالب. ونقل الطبراني، قال: قال أبو محمد: وحدثني أبي قال: سمعت يقولون: هو خط علي بن أبي طالب «عليه السلام»^(٣).

رسالتان.. أم رسالة واحدة؟!

وإن إلقاء نظرة على الرسالة المتقدمة تثير أمام الباحث احتمال أن تكون عبارة عن رسالتين، إذ لم يعهد في المكاتبات تكرار كلمة «أما بعد...» في الرسالة الواحدة.

(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٢٥ - ١٣٧.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٣٧ عن المعجم الكبير ج ٢ ص ١٥ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣١٥ وراجع: مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٧٣ وعن أسد الغابة ج ١ ص ١٩٧ وعن الإصابة ج ١ ص ٤١٠.

(٣) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٣٧ والمعجم الكبير ج ٢ ص ٣٠ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ١٧٣.

ويؤيد ذلك: التكرار لأمر واحد في الفقرة الأولى، ثم في الثانية، فقد قال:

أولاً: «فإني قد أخذت لمن قد هاجر منكم، مثلما أخذت لنفسي».

ثم قال ثانياً: «فقد أخذت لمن تبعني منكم ما أخذ لنفسي».

بل في رواية ابن سعد: وردت كلمة «أما بعد» ثلاث مرات في الرسالة المذكورة.. فلماذا كان ذلك يا ترى؟!.

ويدل على ذلك أيضاً: أن الواقدي يصرح: بأن هذه الرسالة قد كتبت في جمادى الآخرة سنة ثمان..

مع أن الفقرة الأخيرة من الرسالة - حسب نص الطبراني، ورواية ابن سعد - صرحت: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» ذكر لهم: أن علقمة بن علاثة، وابنا هوزة قد أسلما، وبايعا، وهاجرا.

وصرحت رواية الواقدي: بأنها قدما على رسول «صلى الله عليه وآله» وهاجرا.

ومن الواضح: أن العداء (كعطاء) بن خالد بن هوزة، من بني عمرو بن ربيعة، من بني عكرمة بن خصفة، كان من المؤلفة قلوبهم، وهو إنما أسلم بعد حنين، مع أبيه، وأخيه حرملة^(١).

وذكرت بعض الروايات: أن حرملة هو عمه.

(١) راجع: الإصابة ج ٢ ص ٤٦٦ وج ١ ص ٣٢١ والإستيعاب ج ٢ ص ١٦١ وج ١ ص ٣٦١ والجمهرة للكلبي ص ٣٦٥، وأسد الغابة ج ١ ص ٣٩٨ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٨١ وإكمال الكمال ج ٣ ص ٢٦٤ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٣٣٨ و ٦٠٩.

وهذا يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» كتب إلى خزاعة يشرهم بإسلام هؤلاء بعد حرب حنين.

فكيف تكون الرسالة قد كتبت في سنة ثمان؟

اشتباه ابن سعد:

وزعم ابن سعد: «أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتب فيها السلام، لأنه كتب بها إليهم قبل أن ينزل عليه السلام»^(١).

وهو كلام غير دقيق:

فأولاً: لأن رواية الواقدي - وما أقرب ابن سعد إليه، فإنه كاتبه، وراوي أخباره - قد جاء فيها قوله: «السلام عليكم»، فراجع نسخة المغازي.

ثانياً: قد ورد في العديد من السور المكية ذكر السلام، أو الأمر به؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٣).

وقال: ﴿دَعُواهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(٤).

وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِنَا صَلَبْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٥).

(١) الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٢٥ وفي (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٧٢

وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٤١ ص ١٤٥ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ١٢٩.

(٢) الآية ٥٤ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٤٦ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ١٠ من سورة يونس، وراجع الآية ١٢ من سورة إبراهيم.

(٥) الآية ٢٤ من سورة الرعد.

وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾^(١). والآيات في ذلك كثيرة.

علاقة مودة ورحمة:

وبعد.. فإن هذا الكتاب الشريف الطافح بالمودة، والعطف، والناصح بالحنان، والرفقة، قد أظهر ما كان يكنه خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين «صلى الله عليه وآله» لهؤلاء الناس الأوفياء، من محبة واحترام وتقدير، وهو خير دليل على طبيعة العلاقة التي يريدها الله تعالى لها أن تقوم بين الأنبياء «عليهم السلام» وبين قومهم، وأنها لا بد أن تتجاوز حدود الطاعة والانقياد من جانب الرعية، وأنها أكثر من مجرد علاقة تدبير ورعاية، ودلالة وهداية من جانب الأنبياء أنفسهم «عليهم السلام»..

إنه تعالى يريدها علاقة حب تصل إلى حد الانصهار لهم في شخص رسوله «صلى الله عليه وآله».. كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢).

كما أنها لا تقل عن هذا المستوى في جانب شخص الرسول «صلى الله عليه وآله» تجاه رعيته، حيث كانت تذهب نفسه حشرات حتى على الذين

(١) الآية ٦٩ من سورة هود.

(٢) الآية ٢٤ من سورة التوبة.

لا يزالون يقاتلونهم فكيف تكون حاله تجاه المؤمنين؟! وذلك على قاعدة:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾^(٣).

امتياز الحليف على الرئيس:

وسجل الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» في هذه الرسالة المباركة، حقيقة هامة جداً، وهي أنه أخذ لمن هاجر من حلفائه من بني خزاعة مثل ما أخذ لنفسه.

ثم ألحق بمن هاجر، أولئك الذين لزموا أراضيهم، ولم يسكنوا مكة، ولا يدخلونها إلا للحج أو للعمرة..

وقد تجاوز هذا حدود الإنصاف والعدل، ليكون هو منتهى التفضل، إذ لم نعهد في تاريخ الأحلاف سوى الالتزام بما يقع التحالف عليه، مثل نصرة الحليف حين مهاجمة عدو، أو نحو ذلك..

ولم نسمع أن حليفاً منح حليفه نفس الحقوق والامتيازات التي يعطيها لنفسه، كيف ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قد تجاوز ذلك هنا؟! فأعطى

(١) الآية ١٢ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٦ من سورة الكهف.

(٣) الآية ٨ من سورة فاطر.

من أقام بأرضه، ولم يهاجر منها - إذا كان لا يسكن مكة - مثل ما أعطى للمهاجر الذي ترك أرضه، ووطنه، وماله، وقومه، وعشيرته، وأقاربه!!
أي أنه جعل عدم سكنى مكة، والبقاء في الأرض بمنزلة الهجرة، من حيث الثواب، ومن حيث إن سائر الامتيازات التي تعطى للمهاجر، تعطى لهذا المقيم!!

الحلم والتأني:

ثم هو «صلى الله عليه وآله» يعيد التنصيص على التزامه بعهده معهم، ويؤكد لهم الأمان من قبله، وأنه لا يخون عهدهم، ثم هو يعدهم بأن لا يسرع في مجازاتهم بالسوء، لو صدر منهم ما يوجب ذلك، بل سيعاملهم بالحلم والتأني، ولذلك قال لهم: إني لم أضع فيكم (أي لم أسرع) إذ سالت، وأنكم غير خائفين من قبلي، ولا محصورين (أو لا مخفورين)..
وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله» قد بلغ الغاية، وأوفى على النهاية في حسن تعامله مع حلفائه. وأعطاهم ما لم يعطه حتى لنفسه، ولا صرح بأنه أعطاه لمن معه من الأصحاب، ومن الأهل والعشيرة..

سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد:

وفي شهر صفر سنة ثمان بعث «صلى الله عليه وآله» غالب بن عبد الله الليثي في سرية، تتألف من بضعة عشر رجلاً، للإغارة على بني الملوح بالكديد. فلما وصلوا إلى قديد لقيهم الحارث بن مالك بن البرصاء، فأخذوه، فقال: إنما جئت أريد الإسلام.

فقالوا: لا يضررك رباط ليلة إن كنت تريد الإسلام، وإن يكن غير ذلك

نستوثق منك.

فأوثقوه، وخلفوا عليه رجلاً منهم، وقالوا له: إن نازعك فاحتر رأسه. ثم ساروا حتى أتوا الكديد، فكمنوا هناك، وأرسلوا جندب بن مكيث الجهني ليستطلع لهم، فأتى إلى تل مشرف على بيوت أولئك القوم، فانبطح على رأس التل.

فرأى رجل منهم سواداً هناك، فشك في أمره، فرماه بسهمين فما أخطأه، فانتزعهما جندب من جسده.

ثم لما اطمأن ذلك الحي، وهدأوا شنوا عليهم الغارة، فقتلوا المقاتلة، وسبوا الذرية، واستاقوا النعم، والشاء، وخرجوا بها إلى المدينة، فمروا بابن البرصاء فاحتملوه..

وخرج صريخ القوم، فجاءهم ما لا قبل لهم به، وكان الوادي بينهم، وإذ بالوادي قد امتلأ جنباه بالماء، بحيث لا يستطيع أحد أن يجوزه، ولم يكونوا رأوا قبل ذلك سحاباً ومطراً، ففاتوهم، وغزوا المدينة^(١).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٠-٧٥٢ وروي أيضاً عن ابن إسحاق، والإصابة ج ٣ ص ١٨٤ عن مسند أحمد، عن مسلم بن عبد الله الجهني، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٧ والبحار ج ٢١ ص ٤٩ عن الكامل في التاريخ، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٨ و ١٨٩ وراجع: الأحاد والمثاني ج ٥ ص ٥٥ و ٥٦ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١١ و ٣١٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٣ و ٢٥٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٢٨ و ١٠٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٢٠ و ٤٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٣٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ وعن مسند أحمد ج ٤ ص ٥٠٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٢٤.

حديث التل:

ذكر جندب الجهني ما جرى له حين وصل إلى التل، فقال: «فلما استويت على رأسه، انبطحت عليه، لأنظر، إذ خرج رجل منهم، فقال لامرأته: إني لأنظر على هذا الجبل سواداً، ما رأيته قبل. انظري إلى أوعيتك، لا تكون الكلاب جرت منها شيئاً.

فنظرت، فقالت: والله، ما فقدت من أوعيتي شيئاً.

فقال: ناوليني قوسي ونبلي.

فناولته قوسه وسهمين. فأرسل سهماً، فوالله، ما أخطأ بين عيني، فانتزعته وثبت مكانه، فأرسل آخر، فوضعه في منكبي، فانتزعته، وثبت مكانه.

فقال لامرأته: لو كان جاسوساً لتحرك، لقد خالطه سهمان، لا أبا لك الخ...»^(١).

ونشير هنا إلى ما يلي:

أولاً: لم نعرف كيف سمع جندب ما جرى بين ذلك الرجل وزوجته؟! فإن ذلك مما لا يتيسر سماعه عادة من هذه المسافة البعيدة!!
إلا أن يكون: قد التقى أو بزوجته أو بمن سمع كلامهما في وقت لاحق، فأخبره بهذه التفاصيل.. ولكن ليس بين أيدينا ما يدل على حصول

مثل هذا اللقاء ..

ثانياً: لو أغمضنا النظر عما تقدم، فإن من يأتيه سهم في جبهته، ويثبت فيها، ويحتاج إلى انتزاعه منها، لا يتوقع منه البقاء على حالة من الوعي والتوازن، إذ معنى ذلك: أن السهم قد ثقب عظم الجبهة، إذ لا يمكن أن يثبت السهم فيها بدون ذلك.. وهذا يؤدي إلى الغياب عن الوعي والتعرض لمضاعفات أصعب، وأخطر..

هذا، إن قلنا باحتمال قدرة السهم الذي يرسل من مسافة بهذا المقدار، على اختراق العظم.

من هو جندب هذا؟!

إن راوي هذا الحديث هو شخص يدّعي أنه شارك في تلك السرية، وهو جندب بن مكيث الجهني.. فلماذا لم يروها لنا آخرون ممن شاركوا أو اطلعوا على ما جرى فيها؟!

أما ما ورد في بعض المصادر، من أن الراوي هو مسلم بن عبد الله الجهني^(١)، فلم نجد لمسلم هذا ترجمة في كتب الصحابة.

غوامض غير مستساغة:

صرحت الرواية: بأنهم قتلوا مقاتلة ذلك الحي، وسبوا النساء والذرية، مع أنهم كانوا بضعة عشر رجلاً فقط.

لكن الراوي لم يذكر لنا كم كان عدد مقاتلة ذلك الحي؟!

(١) الإصابة ج ٣ ص ١٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٣٩٣.

وكم كان عدد السبي؟!
وكم كان عدد الشاء التي أخذت..
وكم يوماً غابوا عن المدينة؟!

لابد من التروي:

١ - قد ذكرنا أكثر من مرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليغير على من لم يعلن الحرب عليه، كما أنه لا يقاتل أحداً إلا بعد الدعوة والاحتجاج، ولم نجد أي شيء يدل على ذلك!!
٢ - إن إرسال أفراد قليلين - بضعة عشر رجلاً - إلى بلاد بعيدة يحتاج الوصول إليها والعود منها إلى أيام عديدة، في منطقة زاخرة بالأعداء، يعد نوعاً من المخاطرة التي يصعب تفسير مبرراتها، ودوافعها بسهولة..
ولأجل ذلك، نقول: إن تأييد، أو تفنيد هذه السرايا يحتاج إلى المزيد من التروي، والتدقيق.

تناقض غير مفهوم:

والغريب في الأمر: أننا تارة نقرأ في روايات هذه الغزوة: أنهم حين صار الوادي بين الفريقين: «أرسل الله سبحانه، فأمر الوادي ما رأينا مثله، فسال الوادي، بحيث لا يستطيع أحد أن يجوزه»^(١).
وأخرى نقرأ فيها قولهم: «القوم ينظرون إلينا، إذ جاء الله بالوادي من حيث شاء يملأ جنبه ماء، والله ما رأينا يومئذ سحاباً ولا مطراً، فجاء بما لا

٢٦٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
يستطيع أحد أن يجوزه^(١).

تكرار المكررات:

ثم إنهم يقولون: إن ذلك قد تكرر مرة أخرى، وذلك لقطة بن عامر حين توجه إلى بني خثعم بناحية تبال^(٢).

فما أكثر التكرار للأحداث في موضوع السرايا، فهل يمكن أن يشير ذلك إلى أن ثمة من كان يريد توزيع الأوسمة للأتباع والأشباع لفريق بعينه، فاتخذ من السرايا باباً لتحقيق هذا الغرض، ولعل سرايا كثيرة قد اخترعت، وجعلت قيادتها إلى هذا وذاك، لتكون رشاوى لهم، أو مكافآت على مواقف اتخذوها، أو مبادرات لصالح فريق يحبونه، أو ضد فريق يناوئونه.

ولعل أحداثاً حقيقية في سرايا بعينها، أو لعل سرايا كاملة، قد حذفت أو حُرِّفت لتخفيف الضغط عن أناس متضررين منها، أو تشكيكاً بإخلاص، وبمواقف ناس مخلصين، مجازاة لأصحابها، وكيداً منهم لهم، وتجنباً عليهم، لأغراض ودوافع مختلفة..

ولذلك ظهر التكرار، وطغت على السطح التناقضات، أو الهنات والفجوات، وكثرت السرايا التشريعية، والأحداث الوهمية..

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٩ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٥ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٢ وسبل الهدى وإرشاد ج ٦ ص ١٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٩.

قالوا: في سنة ثمان تزوج النبي «صلى الله عليه وآله» فاطمة بنت الضحاك الكلابية^(١)، فلما دخلت على النبي «صلى الله عليه وآله»، ودنا منها، قالت: إني أعود بالله منك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: عدت بعظيم، الحقي بأهلك^(٢).
 وفي رواية: أن ابنة الجون أدخلت الخ..^(٣).

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٧ والبحار ج ٢١ ص ٤٦ ومستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ٢٠٩ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٥٦ والمختب من ذيل المذيل ص ١٠٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٣١ وج ٥ ص ٢١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٧١٠ وج ٤ ص ٥٩٠ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٤١ و ٢١٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٦٧ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٢٢٨.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٤٦ و ٤٧ وسنن النسائي ج ٦ ص ١٥٠ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٣٥٥ والمعجم الأوسط ج ٣ ص ٣٣٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٤١ والثقات ج ٣ ص ٨٣ وعن الإصابة ج ٨ ص ٢٧٣ والمختب من ذيل المذيل ص ١٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٢٨.

(٣) راجع: سنن الدارقطني ج ٤ ص ١٩ والمجموع ج ١٧ ص ١٠٥ والمحلى ج ١٠ ص ١٨٧ وسبل السلام ص ١٧٨ ونيل أوطار ج ٧ ص ٣٠ وفقه السنة ج ٢ ص ٢٢٥٤ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٦١ والمستدرك للحاكم ج ٤ ص ٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٣٩ و ٧٢ و ٣٤٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٥٢ والمتقى من السنن المسندة ص ١٨٤ وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٨٣ والمعجم الكبير ج ٢٢ ص ٤٤٧ وكثر العمال ج ١٢ ص ١٤٠ وج ١٣ ص ٧١٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٨٤ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٧ وسير أعلام النبلاء ج ٢ =

سرية ذات أطلاح:

وفي شهر ربيع الأول سنة ثمان بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام، وراء ذات القرى. وكان كعب يكمن النهار، ويسير بالليل، فوجدوا جمعاً كثيراً من أهل الشام، فدعوههم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فقاتلهم المسلمون أشد القتال، حتى قتلوا. قال أبو عمر: قتلوههم بقضاعة^(١).

فأُلفت منهم رجل جريح في القتلى.

قال مغلطاي: قيل: هو الأمير.

فلما كان الليل تحامل حتى أتى رسول الله، فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهمَّ بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر، فتركهم^(٢).

= هامش ص ٢٥٥ وعن الإصابة ج ٨ ص ٩ وعن البداية والنهاية ج ٥ ص ٣١٧ و ٣١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥٨٧ و ٥٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٤٢١ وج ١١ ص ٢٢٢ وتفسير السمرقندي ج ٣ ص ٦٣ وعن صحيح البخاري (دار إحياء التراث) ج ١٠ ص ٤٤٧ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ٦ ص ٦٦ وج ١٨ ص ٢٥٣ ومتنقى ابن الجارود ج ١ ص ٣٠١ وعن بلوغ المرام ج ١ ص ٢١٤ وسبل السلام ج ٣ ص ١٤٢٩ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ٤٤٧ وعمدة القاري ج ٢٠ ص ٢٢٩ وعن زاد المعاد ج ١ ص ٢١٢١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٣.

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٢ و ٧٥٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٣ والبحار ج ٢١ ص ٥٠ وكتر العمال ج ١٠ ص ٦٠٠ =

إننا نلاحظ هنا ما يلي:

١ - لم يتضح لنا بالتحديد ذلك الموضع الذي بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليه هذه السرية، إلا أنها أرسلت إلى موضع وراء ذات القرى، كما أننا لم نعرف الهدف من إرسالها إلى تلك المناطق البعيدة، فإنها ليست سرايا قتالية بلا شك، إذ لا قدرة لخمسة عشر رجلاً على الدخول في حرب حقيقية، في محيط الكفر الطاغوي والباغي هذا.

ولنا أن نحتمل أن تكون سرية استطلاعية، هدفها تنسّم الأخبار عن تحركات الجيوش في مناطق الشام.. أو هي سرية دعوة إلى الإسلام.. وربما يكون هذا الإجراء الاستطلاعي قد اتُّخذ انتظاراً لنتائج الرسائل التي بعثها النبي «صلى الله عليه وآله» إلى ملوك الأرض، وتحسباً واحتياطاً لأي أمر ربما يفكر فيه أولئك العتاة، والجبابرة المستكبرون.

٢ - وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نضع علامة استفهام كبيرة حول صوابية مبادرة قائد السرية إلى مواجهة تلك الجموع بطلب التخلي عن دينهم، والدخول في الإسلام، ما دام أن هذه الطريقة في الدعوة سوف تفهم على أنها نوع من الاستخفاف والتحدي.

٣ - ولو أغمضنا النظر عن ذلك، فإن خيار الحرب والقتال ربما لا

= والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٧ و ١٢٨ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٥٠ و ١٤٩ و ١٥٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٤ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٤ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٣٠٨ وحياة الصحابة، باب الدعوة إلى الله.

٢٦٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

يكون هو الخيار الصحيح حتى لو رفض أولئك قبول هذه الدعوة.. بل قد يكون اللجوء إلى تهدة الأمور، والخروج من المأزق بلباقة هو الأولى، ما دام أنه لا ترتب على قتل هؤلاء النفر من المسلمين أية فائدة، أو عائدة.

٤ - إننا لا نظن أن سبب ترك النبي «صلى الله عليه وآله» إرسال سرية لمعاقبة أولئك القتلة، هو انتقاهم إلى موضع آخر، إذ كان بالإمكان تحديد موقعهم، ثم إرسال الجيوش إليهم لتأديبهم.

٥ - إن هذا النوع من سرد الأحداث المتوافقة في عناصر تكوينها، قد تكرر في عدة سرايا، وهو أمر غير مألوف، وبعيد عن الاحتمال، فراجع على سبيل المثال:

سرية ابن أبي العوجاء، إلى بني سليم.

وسرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة في ذي القصة.

وسرية بشير بن سعد إلى فدك.

سرية إلى السبي:

روى الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عمر بن الحكم: أنه في شهر ربيع الأول من سنة ثمان بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن بالسبي، من أرض بني عامر، من ناحية ركة، على خمس ليال من المدينة، وأمره أن يغير عليهم..

فخرج يسير بالليل، ويكمن النهار، حتى صَبَّحَهُم وهم غارون. وكان قد أوعز إلى أصحابه، أن لا يمعنوا في الطلب، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء،

الفصل السابع: سرايا وأحداث إلى مؤتة ٢٦٩
فاستاقوا ذلك كله حتى قدموا المدينة.

واقسموا الغنيمة، فكانت سهامهم خمسة عشر بغيراً لكل رجل. وغابت
السرية خمس عشرة ليلة^(١).

وقالوا أيضاً: إنهم كانوا قد أصابوا نسوة هناك، فاستاقوهن. وكانت
فيهن جارية وضيئة، فقدموا بها المدينة..

ثم جاء وفد أولئك القوم مسلمين، فكلموا النبي «صلى الله عليه وآله»
في السبي، فكلم النبي «صلى الله عليه وآله» شجاعاً وأصحابه في ردهن،
فسلموهن، وردّوهن إلى أصحابهن.

وكانت الجارية الوضيئة عند شجاع بن وهب، أخذها بثمان، فأصابها.
فلما قدم الوفد خيرها، فاختارت المقام عند شجاع، فلقد قتل يوم اليمامة
وهي عنده، ولم يكن له منها ولد^(٢).

ونقول:

- ١ - إن ثمة شكوكاً تحوم حول هذه السرية، فقد قال الواقدي:
«فقلت لابن أبي سبرة: ما سمعت أحداً قط يذكر هذه السرية.
فقال ابن أبي سبرة: ليس كل العلم سمعته.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٣ و ٧٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٢
وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٠ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٧ وعن عيون الأثر
ج ٢ ص ١٦٤ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٩٨ وعن البداية
والنهاية ج ٤ ص ٢٧٣ و ٢٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٣.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٣ و ٧٥٤ وراجع: ما عن البداية والنهاية ج ٤
ص ٢٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٣.

قال: أجل والله^(١).

فرواية هذه السرية منحصرة بابن أبي زيد. الأمر الذي أثار استهجان الواقدي، فاندفع ليعترض على الراوي الذي جاء بعد حوالي مائتي سنة من شهادة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوجد الجواب الحاسم، الذي ينضح بروح القمع، ويرشح بالغیظ والتحدي.

٢ - إذا كانت المسافة بين المدينة وبين السِّي هي خمس ليال كما ذكروه^(٢)، وكان المطلوب هو مهاجمة جمع من هوازن كانوا هناك، فهل يكفي أربعة وعشرون رجلاً لإنجاز هذه المهمة؟!

٣ - لماذا يريد رسول الله «صلى الله عليه وآله» مهاجمة هذا الجمع من هوازن، فهل كان بينه «صلى الله عليه وآله» وبينهم عهد فنقضوه؟! أو هل اعتدوا على أحد من المسلمين، أو أغاروا على أطراف المدينة، ف يريد «صلى الله عليه وآله» أن يؤدبهم؟!

أو هل كان «صلى الله عليه وآله» يمارس شن الغارات على الآخرين بهدف سلب أموالهم، على عادة العرب في زمانه؟!

أو هل كلف هذه السرية بمهمة إرشاد ودعوة هؤلاء القوم إلى الإسلام، ولكن بهذه الطريقة التي لا يرضاها الله سبحانه، ولا يقرها شرع ودين؟! إن رواية ابن أبي زيد لم تستطع أن توضح لنا شيئاً من ذلك.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٤.

(٢) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٤٠ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٢ والتنبيه والإشراف ص ٢٣٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٤ وراجع معجم البلدان أيضاً.

الباب الحادي عشر

مؤتة.. إلى الفتح

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة

الفصل الثاني: معركة مؤتة

الفصل الثالث: خالد يضع النصر الأعظم

الفصل الرابع: نهايات ونتائج

الفصل الخامس: صورة موهومة لسرية ذات السلاسل

الفصل السادس: الصورة الحقيقية لغزوة ذات السلاسل

الفصل السابع: رواية القمي توضح.. بل تصرح

الفصل الثامن: سرايا حدثت.. إلى فتح مكة

الفصل التاسع: حنين الجذع.. ومنبر الرسول ﷺ

الفصل الأول:

من المدينة.. إلى مؤتة

رابعاً لا يصدق

رابعاً لا يصدق

أول بعث إلى خارج الجزيرة:

ذكر بعضهم: أن بعث مؤتة كان أول بعث يرسله النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خارج الجزيرة العربية، وداخل الأراضي الشامية، التابعة للروم^(١).
ونقول:

تقدم: أن سرية أخرى كانت قد قصدت ذات أطلاح، وهي من أرض الشام، وهي في البلقاء من الأردن. وهذه المناطق كانت تحت سيطرة الروم. وتقدم أيضاً: أن غزوة دومة الجندل قد حصلت قبل سرية مؤتة بزمان، وتقع دومة الجندل على خمس ليال من دمشق، وعلى خمس عشرة ليلة من المدينة، أو ست عشرة، فهي من أعمال الشام^(٢). وقد ذكرنا هذه الغزوة في الجزء العاشر صفحة ١٠٤^(٣) من هذا الكتاب، فراجع.

فلا يصح قوله: إن غزوة مؤتة هي أول بعث يرسله «صلى الله عليه

(١) الكتاب السابع من معارك الإسلام الفاصلة: غزوة مؤتة ص ٥.

(٢) راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢ و ١٣ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٩٣ والتنبيه والإشراف ص ٢١٤ و ٢١٥ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٣٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٨١.

(٣) الجزء الثامن ص ٣٨٧ (الطبعة الرابعة) والجزء ١٤ ص ٣٣٦ (الطبعة الخامسة).

٢٧٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وآله، إلى خارج الجزيرة العربية، وداخل الأراضي الشامية التابعة للروم. وربما تكون هذه الغزوات تهدف إلى إعداد المسلمين للحروب التي تنتظرهم خارج الجزيرة العربية، ولا سيما مع الدولتين الأقوى في المنطقة، وهما الروم وفارس.

تاريخ غزوة مؤتة:

قال بعضهم: المعروف بين أهل المغازي: أن سرية مؤتة كانت سنة ثمان، لا يختلفون في ذلك، إلا ما ذكره خليفة بن خياط في تاريخه: أنها سنة سبع^(١). ولكن خليفة بن خياط قد ذكرها في أحداث سنة ثمان^(٢)، وليس فيه. وعند الترمذي: أن سرية مؤتة كانت قبل عمرة القضاء^(٣). قال في النور: وهذا غلط لا شك فيه^(٤). وقال الذهبي: قلت: كلا، بل مؤتة بعدها بستة أشهر جزماً^(٥). وقال الحافظ بعدما نقل كلام الترمذي: هو ذهول شديد، وغلط مردود، وما أدري كيف وقع الترمذي في ذلك مع وفور معرفته^(٦).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٧.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ٥٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ وسنن الترمذي ج ٤ ص ٢١٧ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ١١٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٨ ص ١٠٣.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٣٦.

(٦) تحفة الأحوذى ج ٨ ص ١١٣.

نصوص حول سبب غزوة مؤتة:

قالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة^(١) عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، وهو من أمراء قيصر على الشام، فقال: أين تريد؟ قال: الشام.

قال: لعلك من رسل محمد؟

قال: نعم، أنا رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأمر به، فأوثق رباطاً، ثم قدمه، فضرب عنقه صبراً.

ولم يقتل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» رسول غيره.

فبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخبر، فاشتد عليه. وندب الناس، وأخبرهم بمقتل الحارث، ومن قتله. فأسرع الناس وخرجوا فعسكر بالجرف، ولم يبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمر^(٢).

إلى أن يقول النص: وعسكر الجيش قبل خروجه في الجرف، وهو

(١) مؤتة: موضع معروف عند الكرك بالأردن.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٥ و ٧٥٦ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج ٢ ص ١٢٨ و (ط ليدن) ج ٤ ص ٢٤ و ٦٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٠ والبحار ج ٢١ ص ٥٨ و ٥٩ عن شرح النهج للمعتزلي، والإصابة ج ١ ص ٢٨٦ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٠٥ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٤٢ وتهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٩٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦١ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٧ و ج ١١ ص ٤٦٤ و ج ١٩ ص ٦٨٣ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٠٤.

موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام^(١).

وخرج النبي «صلى الله عليه وآله» في إثرهم، وصلى الظهر بالمسلمين في ذلك الموضع، ثم عين أمراء الجيش^(٢).

قال محمد بن عمر: حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري، قال: إن بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى مؤنة قد كان في جمادى الأولى سنة ثمان، إلى آخر ما سيأتي^(٣).

وقال محمد بن عمر أيضاً، عن عمر بن الحكم، عن أبيه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما صلى الظهر جلس، وجلس أصحابه حوله، وجاء النعمان بن مهض (فنحص) اليهودي، فوقف على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ١٢٨ وراجع: تنوير الحوالك ص ٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٧٣ و ٤٨٦ وج ٦ ص ٩٥ و ١٥٩ و ٢٥١ وتاج العروس ج ٦ ص ٥٦.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٤ عن البخاري ج ٧ ص ٥٨٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٠ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٢١٥ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٣ والمعجم الكبير ج ٥ ص ٨٤ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٨ وج ٣ ص ٥٣٠ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٥٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٦ وج ١٩ ص ٣٦٨ و ٣٧٣ وعن أسد الغابة ج ١ ص ٢٨٨ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٢٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٨ و ٣١٩ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٢٩ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٥.

«زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب عبد الله بن رواحة، فليرتض المسلمون رجلاً منهم فليجعلوه عليهم».

فقال النعمان بن مهض (أو فنحص): «يا أبا القاسم، إن كنت نبياً فسميت من سميت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً، لأن أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم، ثم قالوا: إن أصيب فلان، ففلان، فلو سمى مائة أصيبوا جميعاً».

ثم إن اليهودي جعل يقول لزيد بن حارثة: «اعهد، فإنك لا ترجع الى محمد إن كان نبياً».

قال زيد: «فأشهد أنه رسول صادق بار».

وقالوا أيضاً: وعقد لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» لواءً أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة. وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا، وإلا استعينوا عليهم بالله تبارك وتعالى وقتلوهم^(١).

ونقول:

إن لنا مع هذه النصوص وقفات عديدة؛ هي التالية:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٤ و ١٤٥ عن الواقدي، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٠ وراجع: البحار ج ٢١ ص ٥٨ و ٥٩ عن الخرايج والجرايح وج ٢١ ص ٥٩ عن المعتزلي. وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦١ و ٦٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٨.

ليرتض المسلمون رجلاً!!

ذكر النص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون رجلاً منهم، فليجعلوه عليهم..
ونقول:

إن ذلك موضع شك وريب، فقد روي: أن عبد الله بن عباس، أو عبد الله بن جعفر قال لمعاوية:

«يا معاوية، أما علمت: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين بعث إلى مؤتة أمر عليهم جعفر بن أبي طالب، ثم قال: إن هلك جعفر بن أبي طالب، فزيد بن حارثة، فإن هلك فعبد الله بن رواحة!
ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم»^(١).

ولعل هذا هو الأقرب إلى الاعتبار: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» يعلم بأنهم بعد قتل ابن رواحة سوف ينهزمون أسوأ هزيمة، إذ لا معنى لجعل أمير للهزيمة، وللمنهزمين، لأن الحاجة إلى الأمير إنما تكون في حالة الثبات والتصدي، ليقود العمليات الحربية، ويحدد وظائف المحاربين..

وأما إذا كانت الهزيمة، فأية قيادة يمارسها، وأية وظائف يحددها؟! وهل تبقى الحاجة إلى أن يقرر لهم: أن يرتضوا لأنفسهم رجلاً، ليجعلوه عليهم؟!

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٤٤ وقاموس الرجال ج ٦ ص ٤٠ والبحار ج ٣٣ ص ٢٦٩ وكلمات الإمام الحسين «عليه السلام» للشريفي ص ٦١٠ ومواقف الشيعة ج ٢ ص ٧٢.

طعن الصحابة في إمارة زيد:

روى البخاري عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال: «بعث النبي صلى الله عليه وآله بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد^(١)، فطعن [بعض] الناس في إمارته، وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «قد بلغني أنكم قلتم في أسامة، إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٩٦ وج ٦ ص ١٤٤ وفي هامشه عن البخاري كتاب المغازي (٤٤٦٨)، والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٠ و ٢٥٠. وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٢١٣ وج ٥ ص ١٤٥ وج ٧ ص ٢١٧ وج ٨ ص ١١٧ ونهج السعادة ج ٥ ص ٢٦٠ عن كنز العمال، وفضائل الصحابة ص ٢٤ وعن مسند أحمد ج ٢ ص ١١٠ وعن صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣١ وعن سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٤١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ١٢٨ وج ٨ ص ١٥٤ وج ١٠ ص ٤٤ وعن المصنف لابن أبي شيبه ج ٧ ص ٥٣٢ وج ٨ ص ٥٤٩ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٥٢ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٥١٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ١٨٣ وكنز العمال ج ٧ ص ٢٦٩ وج ١٠ ص ٥٧٨ وج ١١ ص ٦٥١ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٢٣٨ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢٥٠ وج ٤ ص ٦٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٤٦ و ٤٩ وج ٨ ص ٦١ وج ١٩ ص ٣٦٣ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٧ ومعجم البلدان ج ١ ص ٥٠ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٢٩ و ٤٦٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩١ وج ٥ ص ٢٤٢ وعن السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٨١ و ٤٨٢ وج ٤ ص ٤٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٢٥.

٢٨٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

إمارة أبيه من قبل، وأيم الله، إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده».

وروى الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي عن أبي قتادة، قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيش الأمراء وقال: «عليكم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة».

قال: فوثب جعفر رضي الله عنه، وقال: [بأبي أنت وأمي] يا رسول الله، ما كنت أرهب أن (أو ما كنت أذهب إن) تستعمل عليّ زيداً. فقال: «امض، فإنك لا تدري أي ذلك خير»^(١).

وصايا النبي ﷺ لجيش مؤتة:

وزعم بعضهم أيضاً: أن النبي صلى الله عليه وآله نهاهم أن يأتوا مؤتة، فغشيتهم ضبابة، فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة^(٢). وروى محمد بن عمر، عن خالد بن يزيد، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف ووقفوا حوله، فقال:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٥ ومسند أحمد ج ٥ ص ٢٩٩ ودلائل النبوة ج ٤ ص ٣٦٧ وحلية الأولياء ج ٩ ص ٢٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٤٦ و ٤٧ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٢ ص ٣٢٢ وعن الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٥٨.
(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٨ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٩.

«اغزوا باسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين الناس، فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فافلقوها بالسيف. لا تقتلن امرأة، ولا صغيراً ضرعاً، ولا كبيراً فانياً، ولا تقربن نخلاً، ولا تقطعن شجراً، ولا تهدمن بيتاً (بناء خ ل)»^(١).

وروى محمد بن عمر [الواقدي]، عن زيد بن أرقم [رفعه]: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً. اغزوا باسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله. لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث، فأيتهن ما أجابوكم إليها فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم الأذى.

ثم ادعوهم الى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا فأخبروهم: أن لهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين.

فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبروهم: أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله [الذي يجري على المؤمنين]، ولا يكون لهم في الغنمة والفبيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين.

فإن هم أبوا فسلوهم الجزية، فإن فعلوا فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم.

فإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم وقتلوهم.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٦ والبحار ج ٢١ ص ٦٠ عن المعتزلي، وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٩ و ١٠.

٢٨٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وإن حاصرتم أهل حصن أو مدينة فأرادوكم أن تجعلوا لهم ذمة الله وذمة رسوله، فلا تجعلوا لهم ذمة الله، ولا ذمة رسوله. ولكن اجعلوا لهم ذمتكم، وذمة آبائكم، إن تخفروا ذمتكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله». وذكر نحو ما سبق^(١).

سبب غزوة مؤتة:

ولنا مع كل هذه النصوص المتقدمة وقفات، نجملها على النحو التالي:
تقدم قولهم: إن سبب سرية مؤتة هو قتل الحارث بن عمير، على يد شرحبيل بن عمرو الغساني..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٧ والبحار ج ٢١ ص ٥٩ و ٦٠ عن المعتزلي، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٤ وراجع: نيل الأوطار ج ٨ ص ٥٢ وفقه السنة ج ٢ ص ٦٢٤ والكافي ج ٥ ص ٢٩ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٣٨ و ١٣٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٥٩ والبحار ج ١٩ ص ١٧٩ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٨ وعن صحيح مسلم ج ٥ ص ١٣٩ و ١٤٠ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٥٣ و ٩٥٤ وسنن الترمذي ج ٣ ص ٨٥ والسنن الكبرى ج ٩ ص ٤٩ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٥٦ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٢١٨ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٦٤٥ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٧٢ و ٢٠٧ و ٢٣٣ و ٢٤١ و ٢٤٢ ومسند أبي يعلى ج ٣ ص ٦ و ٧ والمتقى من السنن المسندة ص ٢٦١ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٤٢ ومعرفة علوم الحديث ص ٢٤٠ ومسند أبي حنيفة ص ١٤٧ ونصب الراية ج ٤ ص ٢٢٦ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٨٠ و ٤٨٠ وتهذيب الكمال ج ٢٧ ص ٥٤٨ و ٥٤٩.

وقيل في مقابل ذلك:

إنه «صلى الله عليه وآله» بعث الحارث بن عمير إلى هرقل عظيم الروم بالشام^(١).

غير أننا نقول:

١ - إن هذا القول لا يتنافى القول السابق، إذ لعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرسل الكتاب إلى ملك بصرى ليوصله إلى ملك الروم.

٢ - إننا نلمح في النص المتقدم قدراً من التهافت، فإنه يقول: «وندب الناس، فأخبرهم بمقتل الحارث، ومن قتله، فأسرع الناس، وخرجوا، فعسكر بالجرف».

ثم يقول مباشرة: «ولم يبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمر». فإنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» لم يبين الأمر، فما معنى إخباره الناس بما جرى، حتى أسرعوا، وخرجوا فعسكروا؟!!

ألا يعد هذا بياناً للأمر؟! فإن كل إنسان لو سأل عن السبب في هذا الإسراع بالخروج، فسوف يجيب: بأنه هو قَتْلُ الحارث بن عمير، وأن القصد هو المسير لمعاقبة من فعل ذلك..

إلا أن يقال: إن المقصود هو: أنه «صلى الله عليه وآله» أبقى وجهة سيره مخفية عن اليهود والمشركين، ولم يخبر بها إلا الذين انتدبهم للخروج.

ولكن قوله: «لم يبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمر» يفيد أمراً

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٦ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٠ عن الإستيعاب، وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٥٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٥.

عادياً، وهو: أنه أبقى الأمر مخفياً حتى عن أصحابه..

أو يقال: إنه إنما أخبرهم بمقتل الحارث، ولم يطلب منهم التجهز للحرب، لكنهم هم الذين أسرعوا إلى المعسكر بالجرف..
أو أنه نذبههم على الحرب، بعد أن أخبرهم بما جرى للحارث، ولكنه لم يصرح لهم بأنه يريدهم لمحاربة قاتلي الحارث، أو لغيرهم من أعدائه. بل ترك الأمر غامضاً، وعرضه لكل احتمال..
ولعل هذا الاحتمال الأخير هو الأقرب، والأصوب.

ذات أطلاح هي السبب:

زعم بعضهم: أن سبب سرية مؤتة ليس هو قتل الحارث بن أبي عمير، بل سببها هو قتل أربعة عشر رجلاً من المسلمين، على يد العرب المنتصرة، في سرية ذات أطلاح جنوب الشام، في منطقة اللقاء بالأردن. وكان يحكمها الحارث بن أبي شمر الغساني باسم ملك الروم.
وبعد قتلهم أطلق الحارث هذا تهديدات بغزو النبي «صلى الله عليه وآله»، فبادر «صلى الله عليه وآله» إلى تجهيز هذا الجيش رداً على هذه التهديدات..
ونقول:

١ - إن الذين قتلوا الأربعة عشر رجلاً هم من قضاة، لا من الغساسنة. ورئيسهم رجل يقال له: سدوس^(١)، وليس هو الحارث بن أبي شمر الغساني.

(١) الكتاب السابع من معارك الإسلام الفاصلة: غزوة مؤتة ص ٢٥٣.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٥٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٣ عن الواقدي.

٢- وأما التهديدات المشار إليها، فلا تصلح مبرراً لإرسال الجيش، إلا إذا أريد به تسديد ضربة استباقية، يؤخذ العدو فيها على حين غرة.
ومن الواضح: أن الأمور لم تجر على هذا النحو.

مناقشة مردودة:

وربما يقال: إن ثمة مجالاً واسعاً للتشكيك في قصة قتل الحارث بن عمير الأزدي، على اعتبار أن راويها هو الواقدي، ثم أخذه عنه كاتبه ابن سعد وغيره.

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني كتاباً مع شجاع بن وهب. فلما بلغه ذلك، قال: من ينزع ملكي، فأنا سائر إليه، وبدأ بالتجهيز للمسير إلى المدينة.
فبلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: باد ملكه.

وكتب الحارث إلى قيصر يخبره بالأمر، فكتب إليه قيصر: أن لا تسر إليه، وأله عنه، (أي لا تذكره)، واشتغل بإيلياء (أي بيت الله) وهو بيت المقدس، لأن قيصراً كان قد نذر: إن انتصر على الفرس أن يمشي إلى بيت المقدس. وكان يريد من الحارث أن يهيء لإنزاله^(١).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٥ وراجع: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٦٢ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٦٥٢ والتنبيه والإشراف ص ٢٢٦ وشرح الزرقاني للمواهب اللدنية ج ٤ ص ٣٥٦ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٨٠ والبدية النهاية ج ٤ ص ٢٦٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٨ والبحار ج ٢٠ ص ٣٩٣ والكامل ج ٢ ص ٢١٣ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦١ =

وزعم بعضهم: أن الحارث الغساني قد أسلم أيضاً^(١).
وذلك كله يدل: على أن السبب ليس هو قتل الحارث بن عمير، بل هو
هذا الموقف من ابن أبي شمر الغساني.

ويرد على هذه المناقشة: أن الرسالة التي حملها شجاع بن وهب إلى
المنذر بن الحارث بن أبي شمر، إنما حملها إليه سنة ست أو سبع، وذلك حين
كتب «صلى الله عليه وآله» إلى الملوك^(٢)، وحينئذٍ نهاه قيصر عن غزو المدينة،
وأمره بالاشتغال ببيت المقدس.

ولكن هذا لا يمنع أن تكون هناك رسالة أخرى أرسلها النبي «صلى
الله عليه وآله» إلى قيصر بواسطة الحارث، أو إلى الحارث بن أبي شمر نفسه
مع الحارث بن عمير، فأخذه شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله..

جموع الروم وقرار الحرب:

إن ما يدعو إلى التأمل: هو أن يكون الجيش الذي واجهه المسلمون في
مؤتة بهذه الأعداد الضخمة، حيث يعد بعشرات، بل بمئات الألوف.. مائتا

= وفي (ط أولى) ق ٢ ص ١٧ وج ٣ ص ١٩٤ وفي (ط ثالثة) ق ١ ص ٦٦ والمتظم ج ٣

ص ٢٨٩ والمصباح المضيء ج ٢ ص ٣١٤-٣١٦ وراجع: نصب الراية ج ٦ ص ٥٦٦

وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٦٩ وميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٢١١.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٥.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٨ و ٢٩٣ و ٢٩٤ ومكاتيب الرسول ج ٢

ص ٤٦١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٥١ و ٦٦٧ عن الواقدي،

وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ٣٦٧ وعن الإصابة ج ٦ ص ٢٢٦.

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٢٨٩

ألف، أو مائتان وخمسون ألفاً وهذه الأعداد تحتاج إلى وقت طويل، وإلى جهد كبير لجمعها، وإعدادها.

كما أن جيشاً بهذا المستوى لا يُعدُّه هرقل لمحاربة جماعة صغيرة لم تستطع أن تجهز لأكبر حرب خاضتها أكثر من ألف وخمسمائة مقاتل..

بل هو يعدّه لمحاربة جيوش ضخمة ومن هو مثل كسرى في سعة الملك، وكثرة الرجال، والتوفر على الأموال التي تمكنه من التجهيزات المتميزة.

وهذا يعطينا: أن هذا الجيش لم يجهزه قيصر لمجرد دفع غائلة سرية مؤتة.. بل لعله أراد به الانقضاض على منطقة الحجاز بأسرها، للقضاء على دعوة الإسلام واحتلال جزيرة العرب كلها، في وقت كان يرى فيه انشغال المسلمين بحرب المشركين، ويهود المنطقة.

ويكون بذلك قد تمكن من توسعة نفوذه، في منطقة محيطة بملك الأكاسرة، الذين استطاع أن يسجل نصراً عليهم، ويريد استثمار هذا النصر في وقت بدا له فيه أنهم غير قادرين على لمّ الشعث، وجمع الجموع لمواجهة في منطقة حساسة، وفي قلب الصحراء، وفي منأى عن أي نفوذ لكلا الدولتين.

ولو كان يرتبط جمع الجموع بدفع سرية مؤتة، بسبب ما فعله شرحبيل بن عمرو الغساني، فلماذا يكون العنوان المطروح بين المسلمين هو أنهم: يسرون لمحاربة ملك الروم؟!

وإذا كنا نعلم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرصد كل تحركات أعدائه، وكان يستطيع من خلال ذلك أن يعرف حتى نوايا الأشخاص، وما يحدثون أنفسهم به، فهل يغفل عن تحركات كسرى وقيصر، وهو قد بعث بالأمس القريب إليهما يدعوهما لاتباعه والدخول في دينه.

فذلك كله يدعوننا إلى القول: بأنه كان على علم تام بهذه الجموع المحتشدة، وبمقاصدها.. وبأن قتل الحارث بن عمير الأزدي كان هو الإشارة للمسلمين، التي جعلتهم قادرين على تلمس خطورة الأمر، وشحذت همهم للنفير لمواجهة الخطر المحدق، بطريقة توجب تشويش الأمور على قيصر، وتمنعه من متابعة مسيرته، وتحجب عنه فرصة اتخاذ القرار النهائي بالتوغل إلى عمق منطقة الحجاز، وتعيد الأمور بالنسبة إليه إلى نقطة الصفر، ولو بأن تثور عاصفة من الشكوك حول حاجة هذا الجيش الذي هياها إلى إعادة تجهيز، وإلى تهينة روحية، وإلى شحن نفسي جديد..

فإنه إذا كان ثلاثة آلاف مقاتل، بإمكانياتهم المتواضعة قد واجهوا جيشاً مؤلفاً من مائتي ألف، كانوا بأحسن عدة، وأتم تجهيز.. وإذا كان قادة هذا الجيش هم أكثر الناس حرصاً على التضحية والفداء حتى الاستشهاد، وقد ظهرت منهم هذه البسالة النادرة، رغم أنهم في بلد عدوهم، وإذا كانوا لم ترهبهم عدة ولا عدد عدوهم.. فكيف يكون حال القتال معهم إذا دهمهم الخطر في بلدهم، وأصبح دينهم ونبهم في معرض الخطر الحقيقي؟!!

وإذا كان هذا هو فعل الطليعة، والسرية، فكيف يكون فعل الجيش الذي وراءها، ولا بد أن يكون فيه الشجعان والأبطال، والأشداء من الرجال.. ولا سيما قالع باب خيبر، والبطل المظفر، علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.. الذي لا بد أن يكون صدى ضرباته الماحقة وهجمات الساحقة، واقتلاعه لباب خيبر قد بلغ مسامع قيصر، وكل بطل وشجاع!! فهذه السرية رغم أنها لم تسر وفق ما يريده الله ورسوله باعتبار أن

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٢٩١

خالداً قد انهزم بالجيش بعد قتل قاداته الثلاثة. إلا أنها حققت - ولا شك - الحد الأدنى من أهدافها..

ولولا الهزيمة التي جرَّها خالد عليهم. فلربما يكون إنجازها هائلاً وعظيماً. ليس بإمكاننا التكهن بحدود عظمتها، وبمدى أهميتها.

مهمات الجيش خطيرة.. وقد ضاعت:

تقدمت الإشارة إلى: أن ثمة ما يشير إلى معرفة المسلمين أو خصوص القادة منهم بأن لهذا البعث مهمات خاصة، على درجة عالية جداً من الخطورة، ويبدو لنا: أنه «صلى الله عليه وآله» أعلم الناس بأن القادة يقتلون، ثم يكون نصر عظيم، لو واصل الجيش القيام بواجبه..
فقد ذكروا ما يلي:

١ - إنه حين عيّن «صلى الله عليه وآله» قادة الجيش، واعترض جعفر، وأمره «صلى الله عليه وآله» بالمضي.. «بكى الناس، وقالوا: هلاًّ متعتنا بهم يا رسول الله، فأمسك»^(١).

٢ - إن عبد الله بن رواحة لم يزل يظهر ما يدل على: أنه متوقع للشهادة منذ أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد ظهرت منه العديد من الإشارات إلى ذلك في شعره، وفي كلماته، وفي ممارساته، كما تظهره النصوص التي أوردنا قسماً وافراً منها.

٣ - إن أهل المدينة قد واجهوا الجيش المهزوم بحنق شديد، وعاملوهم

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ذكر غزوة مؤتة.

٢٩٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

بقسوة ظاهرة، ولم يشفع لهم عندهم أنهم كانوا ثلاثة آلاف فقط في مقابل مائتي ألف، أو مائتين وخسين ألفاً.

الأمر الذي يعني: أن الناس كانوا يتوقعون نصراً هائلاً وعظيماً، وقد ساء لهم تضييعه..

خالد يضيع نتائج المعركة:

ومن المعلوم: أن قائد الهزيمة، هو خالد بن الوليد، الذي كان لحركته في ذلك الجيش أثر بالغ في تهيئة ظروف فرضت تلك الهزيمة، وبذلك يكون قد أبطل التدبير النبوي، وضيع نتائج عظيمة وخطيرة، كان «صلى الله عليه وآله» قد خطط لتحقيقها.

ولأجل ذلك وجدنا من المسلمين موقفاً حاداً وصارماً جداً من ذلك الجيش العائد بقيادة مدير الهزيمة وصانعها خالد بن الوليد.

ويكفي أن نذكر: أنهم كانوا يحثون التراب في وجوه العائدين، وقد قاطعوهم، وهجروهم، ولم يعد الواحد منهم يمرّ على الظهور بين الناس، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، كما سنرى.

ولم نجدهم اعتذروا ولا اعتذر أحد عنهم، بأنهم قد واجهوا جيشاً مؤلفاً من مائتي ألف مقاتل، كان في أتم عدة، وأحسن تجهيز.

وهذا يدل: على أن الناس كانوا يعرفون أن إمكانات الصمود كانت متوفرة، وأن هناك مهمات لم تنجز، بسبب هذا الفرار المبكر وغير المبرر من ساحة المعركة.

الوصايا تشي وتم:

ولذلك نقول:

إن الخيارات التي تحدث عنها رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين جهز جيش مؤتة، تشي بأن المطلوب هو: أن ينتهي الأمر - بعد استشهاد القادة - إلى نتائج عظيمة وهائلة، وهي أن يصبح بإمكان جيش المسلمين وضع جيش العدو أمام خيارات تنتهي كلها بتسجيل النصر عليه، وحسم الأمر.. وذلك حين يواجهه بعروضه التي وضعها ضمن مخطط متكامل في خطوات تتبع اللاحقة منها السابقة، فقد أمره «صلى الله عليه وآله» أن يعرض عليهم:

١ - الدخول في الإسلام.

فإن فعلوا دعاهم إلى:

ألف: التحول من دارهم إلى دار المهاجرين..

ب: فإن فعلوا يخبرهم: أن لهم ما للمهاجرين، وعليهم ما عليهم.

ج: وإن اختاروا دارهم، فلا يكون لهم في الفئ ولا في القسمة شيء إلا إذا جاهدوا مع المسلمين.

٢ - فإن أبوا الإسلام، يعرض عليهم إعطاء الجزية.

فإن قبلوا يكف عنهم.

٣ - وإن أبوا إعطاء الجزية، فليستعن بالله، وليقاتلهم..

ورسم له في حال القتال: أنه:

ألف: إذا حاصر مدينة، أو حصناً، فأرادوه أن يستنزلهم على حكم الله

تعالى، فلا ينزلهم عليه، بل ينزلهم على حكمه.

ب: وإن أرادوه أن يجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله، فلا يقبل منهم، بل يجعل لهم ذمته، وذمة أبيه، وذمة أصحابه..

فهذا المخطط التام إنما يناسب جيشاً واثقاً بالنصر، مطمئناً إلى أنه يذهب إلى فتح المدن والحصون، وتكون يده العليا في حروبه مع أعدائه..

مع أن ظاهر الأمر: أنه يرسله إلى حرب مائتي ألف، أو إلى مائتين وخمسين ألف مقاتل، مجهزين بأتم عدة، في جيش لا يزيد على ثلاثة آلاف، مع ضعف ظاهر في تجهيزاتهم، وعدتهم.

وهذه الوصايا تدل على عدم صحة ما ذكره البعض: من أن المطلوب من جيش مؤتة كله هو الاستشهاد، بل المطلوب هو إنجاز أمر عظيم وهائل، وهو النصر على جيوش الروم رغم كثرة عددها، وحسن عدتها، حتى لو كانت قيمة هذا النصر هو استشهاد القادة.

ولكن ما صنعه خالد: قد أفسد ما كان دبره رسول الله «صلى الله عليه وآله» فثارت نائرة المسلمين، حيث واجهوا الجيش العائد مع خالد بالطرء، والنبد، والمقاطعة كما سنرى.

سرية دعوة، أم سرية حرب؟

وذكرت الروايات المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوصى القادة بأن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا، وإلا فاستعينوا عليهم بالله تبارك وتعالى، وقتلوهم. ونقول:

إن هذه الوصية لابد أن تكون جارية وفق المسار العام للأحداث،

وهي من الأمور التي ربما يكون المراد ترتيب الأوضاع فيما يرتبط بالأساليب العامة، التي يراد لها أن تهيمن على حركة الواقع، وفق الضوابط الدينية والإيمان..

وقد دلت هذه الوصية: على أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يتصرف بصورة انفعالية ومتشنجة، فلم يطلب من أصحابه أن يغيروا على الناس هناك، ويوقعوا بهم، ولا أن يقتلوا، ويأسروا، ويغنموا. بل هو قد أمرهم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وفق المقررات التي تقدمت، مع ملاحظة ما يلي:

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» طلب من أصحابه أن يبدأوا حركتهم من ذلك الموضع الذي تعرض فيه أحد المؤمنين لأفحش الظلم، حيث قتل صبراً بحد السيف. وهذا من شأنه أن يزيد أصحابه «صلى الله عليه وآله» بصيرة في أمرهم، ويفرض عليهم أن يتعاملوا مع الأمور بروح المسؤولية، والإنصاف، والانضباط، ضمن الحدود، والأحكام الشرعية. إذ لا مجال للانفعال، والعشية، ولا مكان للظلم والتعدي في حركة الإنسان المسلم..

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما طلب منهم أن يدعوا من يجدونه في ذلك الموضع إلى الإسلام، ولم يحدد لهم فئة ولا أشخاصاً بأعينهم، ولم يذكر لهم اسم شرحبيل بن عمرو الغساني، ربما لعلمه «صلى الله عليه وآله» أنهم لن يصادفوه هناك، حيث سيكون في ضمن جيش الروم، كما أنه يريد أن يبعد القضية عن أجواء الانتقام من الأشخاص، وعن حدود النظرة الضيقة، لتصبح قضية قيم ومبادئ، يراد لها أن تكون هي المهيمنة على سلوك الناس، وعلى قراراتهم، ومواقفهم، وكل حياتهم..

وصايا في نطاق الأهداف الإلهية:

وبعد.. فإن للمحارب أن يتوسل بمختلف الأساليب المشروعة، التي تمكنه من تسجيل النصر على عدوه. فحتى الخدعة، التي أشير إليها في قول النبي «صلى الله عليه وآله»: الحرب خدعة^(١)، لا بد أن لا تخرج عن دائرة ما

-
- (١) المغني لابن قدامة ج ١٠ ص ٣٩٦ وكشف القناع ج ٣ ص ٧٩ وسبل السلام ج ٤ ص ٤٨ ونيل الأوطار ج ٨ ص ٥٦، فقه السنة ج ٢ ص ٦٥٤ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٦٢ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ١٠٢ ومستدرک الوسائل ج ١١ ص ١٠٣ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٧ وكتر الفوائد ص ٢٦٦ وأمالی الطوسي ص ٢٦١ والخرائج والجرائع ج ١ ص ١٨١ ومسنّد أحمد ج ١ ص ١٢٦ و ١٣١ وج ٢ ص ٣١٢ وج ٣ ص ٢٢٤ و ٣٠٨ وعن صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٤ وعن صحيح مسلم ج ٥ ص ١٤٣ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٤٥ وسنن أبي داود ج ١ ص ٥٩٣ وسنن الترمذي ج ٣ ص ١١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤٠ وج ٩ ص ١٥٠ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٢٠ وعن فتح الباري ج ٦ ص ١١١ وصحيفة همام بن منبه ص ٢٦ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٩٨ ومسنّد الحميدي ج ٢ ص ٥١٩ والمصنف لابن شيبة ج ٧ ص ٧٢٩ و ٧٣٠ والسنن الكبرى للسناني ج ٥ ص ١٩٣ ومسنّد أبي يعلى ج ٣ ص ٣٥٩ و ٤٦٤ وج ٤ ص ٩١ و ٣٨٤ وج ٨ ص ٤٤ وج ١٢ ص ١٣٠ والمتقى من السنن المسندة لابن الجارود النيسابوري، وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٧٩ والمعجم الصغير ج ١ ص ١٧ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٣٥٦ وج ٤ ص ٢٥٢ والمعجم الكبير ج ٣ ص ٨٢ وج ٥ ص ١٣٦ وج ١١ ص ٢٩٣ وج ١٨ ص ٥٣ وج ١٩ ص ٤٢ ومسنّد الشاميين ج ١ ص ١٧٦ وج ٢ ص ٢٠ و ١٠٨ ومسنّد الشهاب ج ١ ص ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و شرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٧٩ وج ١٥ ص ٣٢.

هو مشروع، وأن لا يتجاوز الإنسان حدود إنسانيته، وأن لا يسقط أية قيمة من القيم التي يؤمن بها.

فلا يجوز أن تؤدي الخدعة إلى سفك دم بريء، كدم الشيخ الفاني، والطفل والمرأة مثلاً، ولا أن تسوق إلى الغدر بمن أعطيته شرف العهد والوعد، والخيانة في مال الله، أو في مال المسلمين. وهو ما سمي بالغلول.

بل لابد أن يكون الغزو، ملابساً لاسم الله تعالى، متمازجاً معه، وأن يكون خطوة تضع المجاهد على طريق الوصول إليه.

وهذا بالذات هو ما ترمي إليه وصيته «صلى الله عليه وآله» لجيش مؤتة، حيث قال: «اغزو، باسم الله في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدًا»^(١).

من وصاياہ ﷺ لجيشه أيضاً:

تقدم: أن من وصايا النبي «صلى الله عليه وآله» لذلك الجيش هو: أن لا يقطعوا شجراً، ولا يقربوا نخلاً، ولا يهدموا بيتاً، أو بناء..

وهذا الحرص على الشجر، سواء في ذلك الثمر منه وغيره، وعلى النخل الذي يمثل مصدر العيش والارتزاق للناس، وعلى البناء والعمران - إن ذلك كله - يشير إلى طبيعة اهتمامات الإسلام، وأنه لا يحارب الناس انطلاقاً من حب البطش، ولا استجابة لشهوة القتل أو التلذذ بأذى الآخرين، وحب التنكيل بهم، بل هو يريد أن يدفع ظلمهم، وعتوهم عن نفسه، وعن غيره،

(١) المغازي ج ٢ ص ٧٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٤ والبحار ج ٢١ ص ٥٩ و ٦٠ عن الواقدي، والمعتزلي.

٢٩٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وأن يبطل كيدهم، ومؤامراتهم، وأن يحصل على حريته بممارسة قناعاته، بعيداً عن أجواء القهر، وفي منأى عن الحدود التي يفرضونها عليه، والقيود التي يقيدونه بها..

إنه يريد أن يحفظ للبيئة صحتها وسلامتها، وللمناظر الخلابة رونقها وروعها، ولمصادر الرزق عطاءها ونضارتها، وللبلاد العامرة عمرانها وشموخها وبهجتها..

وهذا بالذات هو ما يفسر وصاياه «صلى الله عليه وآله» لجيش مؤتة، ولغيره من البعوث القتالية، التي كان يضطر لإرسالها.

التحول إلى دار المهاجرين:

ومن جملة الخيارات التي طرحها «صلى الله عليه وآله» على جيشه، لتعرض على الناس في مسيرهم ذاك، هو التحول إلى دار المهاجرين، ليكون لهم ما للمهاجرين، وعليهم ما عليهم.

وهو خيار لافت للنظر، باعتبار أنه جعل للإنسان الذي يريد أن ينسلخ عن محيطه، ليندمج في محيط آخر لا عهد له به، خصوصية ميزه بها، حيث جعل لعمله هذا قيمة، وللمصاعب التي يتحملها عوضاً، ففرض له حقوقاً تناسب هذا الواقع الذي استجد له، وتعينه على المصاعب التي سوف يواجهها.

الرسل لا تقتل:

وإن من الأمور التي تَوَافَق عليها البشر كلهم، لإدراك حاجتهم إليها لاستمرار حياتهم، وسلامة علاقاتهم، هو الحصانة التي يعطونها للرسل،

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٢٩٩
وللموفدين، فإن جميع الأمم على اختلاف أديانها، وعاداتها، وحالاتها تمنع
من قتل الرسل، وتلتزم بحمايتهم من كل مكروه.. وترى التعدي عليهم
عيباً، بل إن التعدي على حامل الرسالة يعطي الحق لدى البشر جميعاً
بمعاقبة فاعل ذلك، ولا يعتبرون هذه العقوبة من مفردات التعدي والظلم
للآخرين..

ولعل بعض ما ذكرناه يفسر لنا حقيقة: أنه لم يقتل لرسول الله «صلى
الله عليه وآله» رسول غيره، رغم كثرة رسالة ومبعوثيه إلى مختلف الفئات،
وفي جميع الاتجاهات.

على أن ما فعله شرحبيل قد جاء أشد قباحة، وأظهر وقاحة، باعتبار أنه
لم يثبت من مضمون الرسالة، فلعلها رسالة سلام ووئام، تحقن بها الدماء،
وتصان بها الحقوق..

علماً بأن هذه الرسالة لم تكن تعني شرحبيل في شيء، وإنما هي رسالة
إلى غيره، فلماذا يتدخل في شيء لا يعنيه؟! ولماذا يفوّت على غيره فرصاً، أو
يحرمه من منافع يسعى للحصول عليها؟!
وأخيراً نقول:

ونحن وإن كنا نعتقد: أن تجهيز الجيش إلى مؤتة، قد كانت له أهداف
جليلة، لعل أهونها منع ذلك الجيش العظيم جداً من الزحف نحو المدينة،
ومن السعي لامتلاك الحجاز كله.. حيث ستصبح الأمور بالغة التعقيد..

لكن مما لا شك فيه: أن قتل شرحبيل بن عمرو الغساني، لمبعوث النبي
«صلى الله عليه وآله» إلى بصرى، قد أطلق الشرارة الأولى باتجاه الحرب، ومثل
حافزاً للمسلمين لينفروا لمواجهة الخطر، وليكونوا طليعة جيش الإسلام،

٣٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

وليقدموا الأمثلة الكبرى لجيش الروم في الجهاد، وفي الاستبسال والتضحية، لكي تعود حالة التوازن إلى ذلك الجيش المغرور بعدته وبعده ولتدفعه هذه الصدمة القوية إلى مراجعة حساباته بأناة وروية، وهكذا كان..

اليهودي.. وقتل القادة:

ورغم أن معجزات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الدالة على نبوته كانت تتوالى. وكانت معجزته الكبرى الخالدة، وهي هذا القرآن الكريم حاضرة لدى جميع الناس، ومائلة أمام أعينهم. وقد صرح القرآن نفسه: بأن اليهود كانوا يعرفون النبي العظيم، كما يعرفون أبناءهم.

نعم، رغم ذلك، فقد رأينا: أن هذا اليهودي يبادر إلى الإعلان على الملأ بأن القادة الذين عيّنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، صاثرون إلى القتل، ثم إنه علّق صحة نبوته «صلى الله عليه وآله» على قتل هؤلاء القادة.. ومن شأن هذا الإعلان: أن يفت في عضد الناس، وأن يرهبهم، ويحبط عزائمهم، خصوصاً إذا كان القتل سينال هؤلاء الصفوة حتى جعفر بن أبي طالب «رضوان الله عليه».

واللافت: أن هذا اليهودي يختار خصوص زيد بن حارثة، ليقول له: «اعهد، فإنك لا ترجع إلى محمد إن كان نبياً».

فلماذا يخاطب زيدا بهذا الخطاب المرّ، المقرون بالتشكيك بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع أن ذلك اليهودي كان عارفاً بنبوته «صلى الله عليه وآله» تماماً كما كان يعرف أقرب الناس إليه، من أبنائه وغيرهم، كما

صرح به القرآن الكريم..

فهل خص ذلك اليهودي زيداً بالخطاب؛ لأنه كان بلا عشيرة ترعاه، وتهتم له؟! وتمنع من إطلاق هذا الفأل الذي تعتبره سيئاً في حق من ينتسب إليها؟!!

أم أنه اختاره لأنه احتمال أن يظهر شيئاً من الضعف في قبال هذا الخبر الذي يصعب وقعه على النفس؟!!

أم اختاره لأنه كان قد تعرض لطعون مرة وقاسية من قبل جماعات كانوا يجهرون بالانتقاص له، والانتقاد لقيادته؟! الأمر الذي يهيء لنشوء حالة من الاتهام له بالتفريط، وعدم القيام بالواجب، وربما ينجر ذلك إلى توجيه الملامة لمن نصبه في موقع ليس أهلاً له. ألا وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه؟!!

لماذا طعنوا في إمارة زيد؟!!

لقد صرح النبي «صلى الله عليه وآله»: بأن هناك من يطعن في إمارة زيد.. ولكن مراجعة حياة زيد، ومشاركاته في السرايا والغزوات، المذكورة في كتب السير، ولا نجد فيها ما يشير إلى هذا الطعن، وإلى مناشئته، وعناصره، والنبي «صلى الله عليه وآله» صادق فيها قال بدون ريب، فلماذا حذفت تلك الطعون في قيادة زيد، وعُيِّت عن ساحة التداول، حتى كأن شيئاً لم يكن..

بل إن الطعون في قيادة ولده أسامة قد عُيِّت وحذفت أيضاً، ولم يبق منها إلا نزر يسير جداً، ينحصر في مورد أو موردين لا يستحقان أبداً أن

٣٠٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

يطلق النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» هذه الصرخة القوية.

ألا يدل حذف تلك الطعون من دائرة التداول على أن شيوع هذا الأمر عن الطاعنين يوقعهم في مشكلة من جهتين:
إحداهما: أنه يفضح نواياهم.

الثانية: أنه يظهر جرأتهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واعتراضهم عليه، وتشكيكهم في صوابية قراراته..

والأمر الذي لا مرية فيه: هو التشابه في مضمون الطعن بين ما جرى لزيد وما جرى لولده. والطعن في إمارة الوالد إنما هو لتأثيره على المهاجرين، ولا أحد في المهاجرين يراد إبعاده عن هذه الدائرة، وإعطاؤه الميزات، والمقامات سوى أبي بكر وعمر، اللذين هما من المهاجرين. وقد أصبح أسامة أميراً عليها أيضاً. الأمر الذي يدلنا على أن الاعتراض على إمارة زيد قد كان لأجل هذا بالذات.

فلعلهم أنفوا من إمارة زيد على أمثال خالد وغيره من رجالاتهم، لاسيما وأن زيدا قد ابتلي بالرق، وتبرأ منه أبوه، فتبناه رسول الله «صلى الله عليه وآله». ونحو ذلك من أمور لا يرضاها الذين يقيسون الأمور بمقاييس دنيوية، أو حتى جاهلية أيضاً.

إنه لمن أحب الناس إلي!!

وأما قوله «صلى الله عليه وآله»: إنه لمن أحب الناس إلي؛ فنحن نرتاب في صحته جداً:

أولاً: لأنه يريد أن يجعل ذلك الطعن منحصرأ في أسامة وزيد كأشخاص

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣٠٣
وفي الآخرين كذلك..

مع أن الظاهر: أن الطعن في نفس إمارة هذا وذاك، إنما هو موجه للفعل الذي صدر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، أي في عملية التأمر التي هي فعل شخصه «صلى الله عليه وآله».. فالطعن يستهدف مقام النبوة.. لا زيدا ولا أسامة.

كما أن كلمة النبي «صلى الله عليه وآله» تدل على أن هذا الطعن قد شاع وذاع، حتى صح أن ينسب إليهم بصورة عامة، فهم إما طاعنون، أو راضون بالطعن..

ثانياً: إن حب النبي «صلى الله عليه وآله» للناس ليس عشوائياً، ولا مزاجياً، بل هو يحبهم بقدر ما فيهم من فضائل وميزات، وملكات، فإذا كان أحدهم من أحب الناس إليه «صلى الله عليه وآله»، فلا بد أن يكون في مقام من الفضل والتقى، والعلم والعمل الصالح، والميزات والملكات يجعله أفضل من جميع من عداه ممن لم ينالوا تلك الدرجة من حب الرسول «صلى الله عليه وآله» لهم..

وإذا كان لزيد قسط وافر من هذه الميزات والفضائل، كما تشهد له نصوص كثيرة، فإن أسامة لم يكن بهذه المثابة، لكي يخصه «صلى الله عليه وآله» بهذا الحب دون من عداه، وإذا كان زيد يملك مثل هذه الميزات العظيمة والظاهرة، فلا مبرر لانتقاد إمارته إلا إرادة حفظ ماء الوجه لبعض من يحبونهم، لكي لا يتأمر عليهم من ابتلي بالرق، ويرفضون أن يكون بالمستوى والموقع الذي استحقه بجهد وجهاده، فوضعه الله ورسوله فيه.

٣٠٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

عودة إلى الطعن في إمارة زيد.. وأسامة:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأنه حين جهز النبي «صلى الله عليه وآله» - في مرض موته - أسامة بن زيد، ليسير إلى حيث قتل أبوه، طعن بعض الناس في إمارة أسامة، كما طعنوا في إمارة أبيه من قبل..
ونقول:

أولاً: إن رواية البخاري وغيره قد أظهرت: أن الذي ضايقهم هو تأمير أسامة على المهاجرين فقط، حيث قال الطاعنون: «يستعمل هذا الغلام على المهاجرين» الأولين؟!^(١).
فلاحظ كلمة «المهاجرين» ولاحظ أيضاً كلمة «الأولين».
وأضافت بعض المصادر السيرة كلمة «والأنصار»^(٢).
ولعلها أضيفت في وقت متأخر، من أجل حفظ ماء الوجه، ولتعمية الأمر على الأجيال اللاحقة..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٤ و ٢٤٨ وعن صحيح البخاري ج ٧ ص ٥٨٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٣٥٢ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٥٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٧٢ والبحار ج ٢١ ص ٤١٠ وج ٢٨ ص ١٣١ وج ٣٠ ص ٤٢٩ والمسترشد في الإمامة (بتحقيق المحمودي) ص ١١٢ والإحتجاج ج ١ ص ١٧٣.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٧ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١١١٨ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٨٨ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٢ ص ٣٣٩ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٣٧.

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣٠٥

وكان أهم شيء بالنسبة إليهم هو تأمير أسامة على أبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأسيد بن حضير^(١).
ثانياً: إنه لما ظهر تخلف أبي بكر عن جيش أسامة، وقد لعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» المتخلف عن جيش أسامة، كان لابد لهم من الملمة الموضوع، وترقيع الخرق، ورتق الفتق، فعملوا على تحقيق ذلك بأسلوبيين:
أحدهما: إنكار أصل صدور اللعن من رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى قال الحلبي ردّاً على ذلك: «لم يرد اللعن في حديث أصلاً»^(٢).
وزعموا: أن هذا من ملحقات الروافض^(٣).

الثاني: ادّعاء أن تخلف أبي بكر عن جيش أسامة كان بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأجل صلاته بالناس^(٤).

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٥٢ والبحار ج ٣٠ ص ٤٣٠ والدرجات الرفيعة ص ٤٤٢ وعن إعلام الوري ج ١ ص ٢٦٣ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٥٥ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج ١ ص ٢٠٥.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٨.

(٣) راجع: دلائل الصدق ج ٣ ق ١ ص ٤.

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٨ والمسترشد للطبري ص ١١٦ ودلائل الصدق ج ٣ ق ١ ص ٤ عن ابن روزبهان. وعن البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٤١ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٥٠ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٣٧ وكتاب للشافعي ج ١ ص ٩٩ وفقه السنة ج ١ ص ٢٥٩ وإختلاف الحديث ص ٤٩٧ وكتاب المستدرک للشافعي ص ٢٩ و ١٦٠ وعن مسند أحمد ج ١ ص ٢٠٩ وج ٦ ص ٢٤٩ وعن صحيح البخاري ج ١ ص ١٦٦ و ١٧٥ وسنن ابن ماجه ج ١ =

٣٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

مع أن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة»، قد روي في مصادر الشيعة والسنة على حد سواء، وقد أرسله جماعة من هؤلاء، إرسال المسلمات. فراجع المصادر في الهامش، وغيرها^(١).

= ص ٣٨٩ وسنن النسائي ج ٢ ص ٨٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٣٠٤ وج ٣ ص ٨٢ وعن فتح الباري ج ١ ص ٤٦٤ وج ٥ ص ٢٦٩ ومسندين راويه ج ٣ ص ٨٣١ والمعجم الأوسط ج ٥ ص ١٨٠ وج ٦ ص ٢٥٣ وسنن الدارقطني ج ١ ص ٣٨٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ١٨٤ وج ١٣ ص ٣٣ وكتر العمال ج ٨ ص ٣١١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢١٥ و ٢٢١ والفتا ج ٢ ص ١٣١ والكمال ج ٦ ص ١٣٣ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٤٤٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٣٩.

(١) المعيار والموازنة ص ٢١١ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي لابن الدمشقي ج ٢ (هامش) ص ١٧٢، والمواقف ج ٨ ص ٣٧٦ وشواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣٣٨ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص ٦٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٥٢ ودعائم الإسلام ج ١ ص ٤١ والملل والنحل (ط سنة ١٤١٠ هـ) ج ١ ص ٣٠ والدرجات الرفيعة ص ٤٤٢ وعن السقيفة وفدك للجوهري ص ٧٧ والمهذب لابن البراج ج ١ ص ١٣ والبحار ج ٢٨ ص ١٣٢ و ٢٨٨ وج ٣٠ ص ٤٣١ و ٤٣٢ وج ٩٠ ص ١٢٤ وج ٢٧ ص ٣٢٤ والاستغاثة ص ٢١.

ولا بأس بمراجعة: إثبات الهداة ج ٢ ص ٣٤٣ و ٣٤٥ و ٣٤٦ عن منهاج الكرامة، ونهج الحق. ومفتاح الباب الحادي ص ١٩٧ وحق اليقين ص ١٧٨ و ١٨٢ ومنار الهدى للبحراني ص ٤٣٣ ومجموع الغرائب للكفعمي ص ٢٨٨ وأبكار الأفكار للآمدي، ومرآة الأسرار لعبد الرحمن بن عبد الرسول، وشرح المواقف للجرجاني ص ٣٧٦ ونفس الرحمن ص ٥٩٨ وإحقاق الحق ص ٢١٨ ومنهاج الكرامة ص ١٠٩ وغاية المرام ج ٦ ص ١١٠ ومجمع الفائدة ج ٣ ص ٢١٨ =

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣٠٧

وقد رواه أبو بكر الجوهري، عن أحمد بن إسحاق بن صالح، عن أحمد بن سيار، عن سعيد بن كثير الأنصاري، عن رجاله، عن عبد الله بن عبد الرحمن^(١).

فما معنى ادّعاء: أنه لم يرد في حديث أصلاً..

أما صلاة أبي بكر بالناس فقد جاءت على سبيل التعدي منه على هذا الأمر، من دون أن يحصل على إذن منه «صلى الله عليه وآله».. فكان أن جاء النبي «صلى الله عليه وآله» يتوكأ على علي «عليه السلام»، والفضل بن العباس، وهو في حال المرض الشديد، فعزل أبا بكر عن الصلاة، وصلى هو بالناس^(٢).

وسياتي الحديث عن هذين الأمرين في موضعه إن شاء الله تعالى..

الجرف.. وثنية الوداع:

وذكرت النصوص المتقدمة: أن الجيش قد عسكر في الجرف، وخرج «صلى الله عليه وآله» في إثرهم، وصلى الظهر بالمسلمين في ذلك الموضع، ثم

= والروايش الساموية ص ١٤٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٢٧.

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٥٢.

(٢) راجع: آفة أصحاب الحديث لابن الجوزي، ومسند أحمد ج ٦ ص ٢٢٤ وج ١

ص ٢٣١ و ٢٣٢ و ٣٥٦ والمنتظم ج ٤ ص ٣١ ودلائل النبوة ج ٧ ص ١٩١

والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٥٦٨ وعن صحيح البخاري

ج ١ ص ١٦٥ وعن صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٢ وعن المصنف لابن أبي شيبة (ط

الهند) ج ٢ ص ٣٢٩ وج ١٤ ص ٥٦١.

٣٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
عَيْنُ أمراء الجيش.

والجرف يقع على ثلاثة أميال من المدينة، فهو أبعد من عن ثنية الوداع،
لأنها كانت قرب مسجد الراية على ذباب^(١).
فما معنى قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» خرج مشيعاً لأهل مؤتة حتى
بلغ ثنية الوداع، حيث أوصاهم هناك بوصاياه!!؟

إعتراض جعفر على رسول الله ﷺ:

وقد زعموا: أن جعفر بن أبي طالب «رضوان الله عليه» اعترض على
تأمير زيد عليه، فقال له «صلى الله عليه وآله»: «امض، فإنك لا تدري أيّ
ذلك خير».
ونقول:

إننا لا نشك في كذب هذه القضية، وذلك لما يلي:
أولاً: إن جعفرأ «رضوان الله عليه» أجل وأتقى لله من أن يعترض على
قرارات رسوله «صلى الله عليه وآله»، فضلاً عن أن يرفض تنفيذها، أو أنه
يشكك في صوابيتها، أو بعدالتها.
وكلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقه «عليه السلام» تكفي
للتعريف بحقيقته، وبمدى طاعته، وانقياده له «صلى الله عليه وآله»..
ثانياً: إن النص منقول بنحوين، يُفهِمان معنيين مختلفين.
فالأول منهما ينسب إلى جعفر قوله: «ما كنت أُرهب أن تستعمل عليّ

(١) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٦٩ ومعجم البلدان ج ٢ ص ١٢٨ وسبل الهدى والرشاد
ج ٥ ص ١٧٣.

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣٠٩

زيداً». وهذا يدل على قبول جعفر بتأثير زيد عليه.. ولكنه كان بحاجة إلى توضيح السبب في ذلك، فأفهمه النبي «صلى الله عليه وآله» بأن الوقت لا يسمح بالتصريح، فقال له: لا تدري أيّ ذلك خير..

والثاني: ينسب إليه قوله: «ما كنت أذهب إن تستعمل علي زيداً». وهذا يدل على أنه يرفض الذهاب بالكلية..

وبعدما تقدم نقول:

هل الصادر عن جعفر هو إظهار التسليم، أم الصادر عنه التصريح بالاعتراض والرفض؟!!

أم أن ثمة تصحيحاً عفويّاً أو عمديّاً من الرواة لتشابه رسم كلمتي «ارهب» و«أذهب».

ثالثاً: إن الأدلة القاطعة قائمة على أن جعفرّاً كان هو الأمير الأول، فلا مورد لمثل هذه الترهات والأباطيل من الأساس.. وهذا ما سيتضح فيما يلي:

جعفر هو الأمير الأول:

إن غالب محدثي أهل السنة قالوا: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر على السرية زيداً أولاً، ولكن الصحيح هو أن الأمير الأول كان جعفر بن أبي طالب، كما ذهب إليه الشيعة..

قال ابن أبي الحديد المعتزلي:

«...قلت: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول، وأنكرت الشيعة ذلك، وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول. فإن قتل فزيد بن حارثة.

فإن قتل فعبد الله بن رواحة.

وروا في ذلك روايات، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم..^(١).

ثم استشهد بما يأتي من قول حسان بن ثابت، وكعب بن مالك..

بل يمكن أن يستظهر ذلك من قول اليعقوبي، حيث قال:

«..ووجه جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة في

جيش إلى الشام، لقتال الروم سنة ٨»^(٢).

وروى بعضهم أنه قال: أمير الجيش زيد بن حارثة، فإن قتل زيد بن

حارثة فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر بن أبي طالب فعبد الله بن

رواحه، فإن قتل عبد الله بن رواحة، فليرتض المسلمون من أحبوا..

وقيل: بل كان جعفر المقدم، ثم زيد بن حارثة، ثم عبد الله بن رواحة..^(٣).

وقال العسقلاني عن جعفر: «استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله»

على غزوة مؤتة، واستشهد..^(٤).

وإن كان يمكن أن يكون مراده: أنه استعمله بعد زيد.

وقال الطوسي: «على أنه قد اختلفت الرواية في تقديم زيد على جعفر؛

فروي أن جعفر كان أميراً أولاً، وأنشدوا في ذلك أبياتاً لحسان بن ثابت،

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي (طبع صادر) ج ٢ ص ٦٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي (طبع صادر) ج ٢ ص ٦٥.

(٤) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٩٨.

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣١١ وهي الخ..»^(١).

ونحن بدورنا نقول: إن جعفرًا كان هو الأمير الأول، وليس زيدًا، على عكس ما اشتهر بين المؤرخين والمحدثين.. ونستند في ذلك إلى عدة أمور:

١ - الروايات التي أشار إليها ابن أبي الحديد، الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة «عليهم السلام»، وقد قال السيد شرف الدين في هذا المقام: إن «أخبارنا في هذا متظافرة، من طريق العترة الطاهرة..»^(٢). ومنها رواية: أبان عن الصادق «عليه السلام» أنه قال: إنه استعمل عليهم جعفرًا، فإن قتل فزید، فإن قتل فابن رواحة..»^(٣).

٢ - ما رواه ابن سعد في طبقاته، بإسناده عن أبي عامر، قال: «بعثني النبي إلى الشام، فلما رجعت مررت على أصحابي، وهم يقاتلون المشركين بمؤتة. قلت: والله لا أبرح اليوم حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرهم.. فأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب، ولبس السلاح (وقال غيره أخذ اللواء زيد بن حارثة)، وكان رأس القوم، ثم حمل جعفر، حتى إذا همَّ أن يخالط العدو، رجع فوحَّش بالسلاح، ثم حمل على العدو، فطاعن حتى قتل. ثم أخذ اللواء زيد بن حارثة، فطاعن حتى قتل. ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فطاعن حتى قتل.

(١) تلخيص الشافي ج ١ ص ٢٢٧.

(٢) النص والإجتهاد (طبع سنة ١٣٨٦هـ) ص ٨٥ و (طبعة سنة ١٤٠٤هـ) ص ٢٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٠٥ والبحار ج ٢١ ص ٥٥ وإعلام الوری (طبعة ثانية) ص ١١٠ وأعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٢٤.

ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة...^(١).

٣ - الشعر الذي أشار إليه ابن أبي الحديد.. فقد روي أن حسان بن

ثابت رثى شهداء مؤتة، فكان من جملة ما قال:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة، منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد، وعبد الله، حيث تتابعوا جميعاً، وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم إلى الحرب ميمون النقية أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم أبي إذا سيم الضلالة مجسر^(٢)
إلى آخر القصيدة.

حيث لم يكتف في هذا الشعر بذكر التابع: جعفر، فزيد، فابن رواحة..

بل صرح: بأن القائد لهم إلى الحرب ميمون النقية أزهر أغر، من آل هاشم،
وهو جعفر، رضوان الله تعالى عليه..

٤ - قال كعب بن مالك الأنصاري، في رثاء شهداء مؤتة أيضاً:

فكأنما بين الجوانح والحشا مما تأوبني شهاب مدخل

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٢٩ و ١٣٠ وكتر العمال ج ١٠ ص ٣٣٦ عن ابن عساكر.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٠ والسيرة
النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧٢ والإصابة ج ١ ص ٢٣٨ وأعيان الشيعة ج ٢
ص ٣٢٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٢ و ٦٣ وتهذيب تاريخ ابن عساكر
ج ١ ص ١٠٠ وديوان حسان. وراجع: شرح الأخبار ج ٣ ص ٢٠٩ وشجرة
طوبى ج ٢ ص ٢٩٧ والدرجات الرفيعة ص ٧٧ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢
ص ٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٩١.

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣١٣
وجداً على النفر الذين تابعوا يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
إلى أن قال:

فمضوا أمام المسلمين يقودهم فُنُقٌ عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر حيث التقى وعت الصفوف مجدل^(١)
فقد صرح هو أيضاً: بتتابع القواد، وبأن جعفرأ كان هو القائد، وكان
هو ولوائه قدام أولهم، فنعم الأول..
وبالمناسبة، فإن شاعراً آخر من المسلمين، ممن رجع من غزوة مؤتة قد
رثاهم أيضاً، فقال:

كفى حزناً أنى رجعت وجعفر وزيد وعبد الله في رمس أقبر
قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم وخلفت للبلوى مع المتغير
ثلاثة رهط قدّموا فتقدموا إلى ورد مكروه من الموت أحمر^(٢)

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٧ و ٢٨
ومقاتل الطالبين ص ١٥ وأعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٢٥ وشرح النهج للمعتزلي
ج ١٥ ص ٦٣ وتهذيب ابن عساكر ج ١ ص ١٠٢ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٢١٠ و
٢١١ والدرجات الرفيعة ص ٧٨ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢١ والمجدي
في إنساب الطالبين ص ٣٢٠ عن ديوان كعب بن مالك ص ٢٦٠ - ٢٦٣
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٩٢ و ٤٩٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٣٠ والبدية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ ما
عدا البيت الثالث. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٦٨ ص ٨٨ وعن أسد الغابة =

٣١٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

٥ - وروى القاضي النعمان، عن أنس بن مالك قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تذرفان، فقال: أخذ الراية جعفر فقتل، ثم أخذها زيد بن حارث فقتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقتل، ثم أخذها خالد بن الوليد.

ثم إنه «عليه السلام» التفت إلى مؤتة، وقال لهم: بايعهم، إن أصيب جعفر، فأمركم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فأمركم عبد الله بن رواحة. ولم يذكر الإمرة بعده غيره^(١).

٦ - قد تقدم قول عبد الله بن جعفر - أو ابن عباس - لمعاوية: «يا معاوية، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله» حيث بعث إلى مؤتة أمر عليهم جعفر بن أبي طالب، ثم قال: إن هلك فزيد بن حارثة، فإن هلك زيد، فعبد الله بن رواحة، ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم الخ...»^(٢).

٧ - وفي احتجاج الإمام الحسن «عليه السلام» على معاوية ورد قوله: «وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً يوم مؤتة، فقال: عليكم جعفر، فإن هلك فزيد، فإن هلك فعبد الله بن رواحة، فقتلوا جميعاً. فتراه يترك الأمة ولم يعين لهم من الخليفة بعده»^{(٣)!!؟}.

= ج ٥ ص ٣٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٨٨.

(١) شرح الأخبار ج ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٧.

(٢) كتاب سليم بن قيس (ط النجف) ص ١٨٨ وقاموس الرجال ج ٦ ص ٤٠ والبحار ج ٣٣ ص ٢٦٩ ومواقف الشيعة ج ٢ ص ٧٢.

(٣) الإحتجاج ج ٢ ص ٦١ والبحار ج ٤٤ ص ٩٩ ومواقف الشيعة ج ١ ص ٣٦٨ والعدد القوية ص ٤٩.

مؤيدات لما سبق:

ويمكن تأييد ما ذكرناه آنفاً بما يلي:

١ - إنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» يريد إرسال هذه الثلة من المسلمين لمواجهة جيش عظيم يصل إلى عشرات أو مئات الألوف، فذلك يشير إلى: أن مستوى الخطورة كان في أعلى الدرجات.

وقد صرح أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأنه كان من عادة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يقذف بأهل بيته في مواقف الخطر، ويقدمهم على كل من عداهم. ففي كتاب منه «صلوات الله وسلامه عليه» إلى معاوية قال:

«وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا احمر البأس، وأحجم الناس قدم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة».

ثم ذكر نتيجة هذا التقديم فقال: «فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة»^(١).

٢ - ويمكن تأييد ذلك أيضاً بما ذكره السيد الأمين^(٢) من أن جعفرأ «رضوان الله عليه» كان أشد إخلاصاً، وأكثر تصميمياً، وأمضى عزماً منهما،

(١) نهج البلاغة (بتحقيق عبده) ج ٣ ص ٩ والبحار ج ٣٣ ص ١١٢ و ١١٥ ونور البراهين ج ٢ ص ٣١٨ ونهج السعادة للمحمودي ج ٤ ص ١٨٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٤٧ وج ١٥ ص ٧٧ وأنساب الأشراف ص ٢٨١ ووقعة صفين للمنقري ص ٩٠ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج ١ ص ٣٦٠ والعقد الفريد ج ٤ ص ٣٣٦ والمناقب للخوارزمي ص ١٧٦ ووضوء النبي للشهرستاني ج ٢ ص ٣٢٨.

(٢) أعيان الشيعة ج ٤ ص ١٢٤.

٣١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

(أي من زيد وابن رواحة) كما دل عليه ما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«مُثَّل لي جعفر، وزيد، وابن رواحة في خيمة من درٍّ، كل منهم على سرير، فرأيت زيدا وابن رواحة في أعناقهم صدود. ورأيت جعفرأ مستقيماً ليس فيه صدود، قال: فسألت، أو قيل لي: إنها حين غشيها الموت أعرضاً، أو كأنها صدا بوجوهها، وأما جعفر فإنه لم يفعل»^(١).

وهذا يدل: على أن جعفرأ «عليه السلام» كان هو الأولى بالقيادة والأحق بالتقديم، فلا معنى لتقديمهما عليه فيها.

٣ - عن عمر بن علي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: رأيت جعفرأ ملكاً يطير في الجنة تدمى قادمته، ورأيت زيدا دون ذلك، فقلت: ما كنت أظن أن زيدا دون جعفر، فأتاه جبرئيل فقال: إن زيدا ليس بدون جعفر، ولكن فضلنا جعفرأ لقربته منك»^(٢).

فإنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» لا يظن أن جعفرأ دون زيد كما ورد في رواياتهم، فكيف يقدّم زيدا على جعفر؟!

وهل يصح من النبي «صلى الله عليه وآله» تقديم المفضول، وتأخير

(١) ذخائر العقبى ص ٢١٩ والبحار ج ٢١ ص ٦٤ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٠ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٢٦٦ وشرح النهج للمعترلي ج ١٥ ص ٧٣ وكنز العمال ج ١١ ص ٦٦٥ والدرجات الرفيعة ص ٧٧ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٣.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٨ وراجع: كنز العمال ج ١١ ص ٦٦٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٦٩.

الفاضل؟!

ثم إنه يرد على هذه الرواية:

أولاً: إن مناط التفضيل ليس هو القرابة في حد ذاتها، إذ لو كان ذلك هو الملاك، لكان ينبغي أن يرضى نقلة الأخبار، بتفضيل علي «عليه السلام» على جميع الصحابة، بمن فيهم أبو بكر وعمر كما أن عليهم أن يحكموا بأفضلية العباس عم النبي «صلى الله عليه وآله» على جميعهم أيضاً بمن فيهم علي «عليه السلام».

ثانياً: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكذلك الأئمة الطاهرون «عليهم السلام» قد صرحوا بفضل جعفر، بنحو يظهر: أن زيداً لا يمكن أن يدانيه في الفضل، حيث عدّه النبي «صلى الله عليه وآله» - كما ورد - في الذين اصطفاهم الله على العالمين^(١).

وعنه «صلى الله عليه وآله»، وعن علي «عليه السلام»: أن جعفرأ أحد السبعة الذين لم يخلق في الأرض مثلهم^(٢).

والأحاديث في فضل جعفر كثيرة لا مجال لتتبعها.

فلا معنى لأن ينسبوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» قوله: «ما كنت أظن أن زيداً دون جعفر».

وبعد كل ما قدمناه: لا يبقى مجال للقول بأن زيداً كان هو الأمير الأول

(١) البحار ج ٣٧ ص ٦٣ عن تفسير فرات، ومستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ٣٦ وتفسير فرات الكوفي (ط وزارة الإرشاد والثقافة الإسلامية - طهران) ص ٨٠.

(٢) قرب الإسناد ص ٢٥ ح ٨٤ والكافي (الروضة) ص ٤٩ والبحار ج ٢٢ ص ٢٧٥ ومتنخب الأثر ص ١٧٣.

٣١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

في مؤتة.. ويتعين أن يكون سيد الجيش هو جعفر، الذي أظهر النبي «صلى الله عليه وآله» من الغم عليه ما لم يظهره على أحد، حتى على عمه حمزة، كما أنه «صلى الله عليه وآله» سرَّ بقدومه عليه من أرض الحبشة سروراً عظيماً، حتى لقد قال - وكان قدم عليه حين فتح خيبر-: «لا أدري بأيهما أنا أشد سروراً بقدمك يا جعفر أم بفتح الله على يد أخيك خيبر...»^(١).

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣١ والخصال ص ٤٨٤ و ٧٧ والبحار ج ٢١ ص ٢٤
وراجع: ومتهى المطلب (ط قديم) ج ١ ص ٣٥٩ والذكري ص ٢٤٩ وروض
الجنان ص ٣٢٧ ومدارك الأحكام ج ٤ ص ٢٠٦ وذخيرة المعاد ج ٢ ص ٣٤٩
والحدائق الناضرة ج ١٠ ص ٤٩٨ وجواهر الكلام ج ١٢ ص ٢٠٠ ومسند زيد بن
علي ص ٢٠٣ والمبسوط للطوسي ج ١٠ ص ٢٣ والقواعد والفوائد ج ٢ ص ١٦٠
والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٥ ص ١٩٥ و ١٩٧ ومستدرك الوسائل ج ٦
ص ٢٢٧ والمسترشد للطبري ص ٣٣٣ ومقاتل الطالبين ص ٦ وشرح الأخبار ج ٣
ص ٢٠٤ ومكارم الأخلاق ص ٢٦٢ والإحتجاج ج ١ ص ١٧٢ وذخائر العقبى
ص ٢١٤ وعمدة الطالب لابن عنبه ص ٣٥ والبحار ج ١٨ ص ٤١٣ وج ٢١
ص ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٦٣ وج ٢٢ ص ٢٧٦ وج ٣٨ ص ٢٩٤ وج ٣٩ ص ٢٠٧
وج ٧٣ ص ٢٨٣ وج ٨٨ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢١١ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٧
والمستدرك للحاكم النيسابوري ج ٢ ص ٦٢٤ وج ٣ ص ٢١١ ومجمع الزوائد ج ٦
ص ٣٠ وج ٩ ص ٢٧١ و ٢٧٢ و ٤١٩ وج ١١ ص ٤٤ والمصنف لابن أبي شيبة
ص ٧ ص ٥١٦ و ٧٣٢ وج ٨ ص ٤٦٦ والآحاد والمثاني ج ١ ص ٢٧٧ وشرح معاني
الآثار ج ٤ ص ٢٨١ والآحاد الطوال ص ٤٥ والمعجم الصغير ج ١ ص ١٩
والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٢٨٧ والمعجم الكبير ج ٢ ص ١١١ وج ٢٢ ص ١٠٠
وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٨ وج ١٥ ص ٧٢ ونصب الراية ج ٦ ص ١٥٢ =

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣١٩

وإذ قد ثبت أن جعفرأ كان هو الأمير الأول في غزوة مؤتة، وليس زيد بن حارثة.. فنستطيع أن نفهم ببساطة: أن ثمة يدأ تحاول تشويه الحقيقة، والتجني على التاريخ.

ولعل ذنب جعفر الوحيد هو: أنه أخو علي «عليه السلام»، وهذا هو الذي كان يذكي الحرص على تقديم زيد، ولو عن طريق التزوير للحقيقة وللتاريخ..

بل لقد تجاوز الأمر كل الحدود، ونحن نقرأ عن عائشة قولها: ما بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» زيد بن حارثة في سرية إلا أمره عليهم ولو بقي لاستخلفه.

= و١٥٣ وكثر العمال ج ١١ ص ٦٦٥ و ٦٦٦ وج ١٣ ص ٣٢٣ وتفسير مجمع البيان ج ٣ ص ٤٠١ ومتقى الجمان ج ٢ ص ٢٧٢ والدرجات الرفيعة ص ٦٩ و ٧٤ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠٨ وج ٤ ص ٣٥ والكامل لابن عدي ج ٥ ص ٢٤٣ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٣ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢١٣ و ٢١٦ و ٤٣٧ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٨٤ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٦ والتنبيه والإشراف ص ٢٢٣ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٩١ و ٩٨ وج ٤ ص ٢٣٤ والعبر وتاريخ المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٢١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨١٨ وبشارة المصطفى ص ١٦٣ وإعلام الورى ص ٢١٠ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٦ و ٣٠ وج ٣ ص ٣٩٠ و ٣٩١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٣٦ وج ١١ ص ١٠٦ و ١٠٧ وينابيع المودة ج ١ ص ٤٦٨ وج ٢ ص ٨٠ واللمعة البيضاء للتبريزي ص ٢٩٥.

٣٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

فلماذا تصر عائشة كل هذا الإصرار على رفع مقام زيد إلى حد قولها: لو عاش النبي «صلى الله عليه وآله» لاستخلفه؟!
نعم.. إنه لولا علي «عليه السلام» لتوفرت الدواعي للاحتفاظ بالحقيقة دون تشويه أو تحريف، هذا إن لم تتوفر على جعل الأمور كلها في صالحه.. ولكن ورغم ذلك كله، فإن الله سبحانه لا بد أن يعز أوليائه، ويعرّف الناس بما يكيدهم به الحاقدون، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

لماذا لم يحدد قائداً رابعاً:

وعن سؤال: لماذا لم يحدد النبي «صلى الله عليه وآله» قائداً رابعاً، مع علمه بقتل القادة الثلاثة خصوصاً مع علمه المسبق باستشهادهم، نجيب :
أولاً: بأن المطلوب من الناس هو أن تكون لهم رغبة في الجهاد والبذل والعطاء في سبيل الله، ولا يصح فرض ذلك عليهم، لأن ذلك معناه بطلان عملهم، وأن تصبح تضحياتهم بلا قيمة، بل تكون وبالاً عليهم، إذا لم يقصدوا بها التقرب إلى الله تعالى.. فلا بد من اعطائهم الفرصة للتصميم، عن رضا واختيار.. وهذا ما حصل بالفعل بعد استشهاد القادة الثلاثة.

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» وإن كان يعلم باستشهاد القادة الثلاثة لكن هذا العلم لم يصل إليه بالطرق العادية، وبالتالي فلا يحق له أن يعاملهم على أساسه، لأن الواجب عليه هو أن يأخذهم بما يصل إليه وإليهم بالوسائل العادية، لا ما يصل إليه بعلم الشاهدة.

حديث الضبابة:

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نهى ذلك الجيش عن أن

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣٢١

يأتوا مؤتة، فغشيتهم ضبابة، فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة.

ونقول:

أولاً: لم يظهر لنا أي سبب يدعو إلى نهي النبي «صلى الله عليه وآله» لهم عن أن يأتوا مؤتة.

والحال أن المقصود هو - كما يزعمون -: مواجهة الذين قتلوا الحارث بن عمير وكانوا في مؤتة..

بل قد صرحت الروايات المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» أمرهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الاسلام..
ثانياً: إن الذي تغشاه الضبابة حتى لا يبصر؛ لا يواصل المشي بصورة عشوائية، ولا يرضى لنفسه بأن يبقى تائهاً في الصحراء لا يدري أين تنتهي به قدماه.. خصوصاً، وأن السير في تلك الصحارى لا يستقيم بدون أدلاء من ذوي الخبرة، وما أكثر ما تاه الناس عن الطريق حتى مع الأدلاء، فابتلعهم الصحراء حتى ماتوا جميعاً جوعاً أو عطشاً.

فمن تغشاه الظلمة حتى لا يبصر، لابد أن يقف في مكان، ولا يتحرك إلى أن ينقشع الضباب، ويتمكن من رؤية الطريق.

ثالثاً: إذا كان الروم قد جمعوا مائتي ألف، أو أكثر بكثير، فإن ذلك لم يكن ليخفى على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي كانت عيونه مبهوثة في كل مكان.. وهو يلاحق جميع الاحتمالات، في مختلف الاتجاهات، حتى ليكاد يحصي على أعدائه أنفاسهم، وتبلغه عنهم كل شاردة وواردة.

وكان هو نفسه قد غزا دومة الجندل في البلقاء قبل مدة، وكان يرصد كل المواقع التي يحتمل أن يكون لها ميل لمهاجمته، فهل يغفل عن بلاد الشام،

التي قتل فيها رسوله، فلا يرصد ما يجري فيها، مما يعنيه؟! وهل يغفل عن رصد الملوك الذين كان قد دعاهم إلى الإيمان به، والقبول بدعوته، والانقياد له؟ وكيف يتصورون أن يجتمع لحربه مئات الألوف، وهو لا يدري؟! إن ذلك غير مقبول، ولا معقول.

إذا كان «صلى الله عليه وآله» بصدد إرسال جيش إلى تلك البلاد، فلا بد أن يكون لديه قدر كافٍ من المعلومات حول مسير ومصير ذلك الجيش، وأهدافه، ومهمته، وقدراته، وقدرات الجيش الذي قد يواجهه..

ولأجل ذلك كله، نعود فنذكر القارئ بأن:

جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل، يريد أن يتصدى لمهمة كبرى وحاسمة، لا يمكن أن يسير بلا هدف، وكأنه معصوب العينين.

خصوصاً إذا قلنا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لابد أن يكون قد أخبرهم، أو أخبر قادتهم على الأقل بطبيعة، وصعوبة المهمة التي كان أوكلها إليهم، ولابد أن يكون قد أوصاهم بتوخي الحذر الشديد في تحركاتهم، حتى لا يقعوا في فخ ينصبه لهم عدوهم..

وبذلك يتضح: أن السير في غمار تلك الضبابية لا يمكن أن يتلاءم مع المنطق السليم، والنظر القويم.

روحيات ابن رواحة:

وروى محمد بن عمر عن عطاء بن مسلم، قال: «لما ودع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عبد الله بن رواحة، قال ابن رواحة: يا رسول الله، مرني بشيء أحفظه عنك.

قال: «إنك قادم غداً بلداً السجود فيه قليل، فأكثر السجود».

قال عبد الله بن رواحة: زدني يا رسول الله.

قال: «اذكر الله، فإنه عون لك على ما تطالب».

فقام من عنده حتى إذا مضى ذاهباً رجع، فقال: يا رسول الله، إن الله وتر

يحب الوتر.

فقال: «يا بن رواحة، ما عجزت، فلا تعجزن إن أسأت عشرين أو تسعين

واحدة».

قال ابن رواحة: لا أسألك عن شيء بعدها^(١).

قالوا: «فتجهز الناس، ثم تهبأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف^(٢)». فلما

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٦ و ١٤٧ وفي هامشه: عن الدر المنثور ج ٣

ص ١٨٩ عن ابن عساكر، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٨ والبحار ج ٢١

ص ٦٠ عن المعتزلي، وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٨ ص ١٢٠ وشرح النهج للمعتزلي

ج ١٥ ص ٦٥.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٦ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٦ وسبل الهدى

والرشاد ج ٦ ص ١٤٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٩ وعن عيون الأثر

ج ٢ ص ١٦٥ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٧ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٥

وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٢٩ وإعلام الوري ج ١ ص ٢١٣

والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٥ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٢٠٦ ومناقب

آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٦ والبحار ج ٢١ ص ٥٦ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٨

والنص والإجتهد ص ٢٨ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٨ وعن تاريخ مدينة

دمشق ج ٢ ص ٧ وج ٢٨ ص ١٢٤ وعن أسد الغابة ج ٣ ص ١٥٨.

٣٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

حضر خروجهم ودَّع الناس أمراء رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسلّموا عليهم. فلما ودَّع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكى.

فقالوا: «ما يبكيك يا بن رواحة»؟.

فقال: «أما والله، ما بي حُبُّ الدنيا، ولا صباة بكم، ولكني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(١). فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود»؟

فقال المسلمون: «صحبكم الله، ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين».

فقال عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه:

لكنني أسأل الرحمن معفرة	وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة	بحرية تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي	يا أرشد الله من غاز وقد رشد ^(٢)

(١) الآية ٧١ من سورة مريم.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٦ و ٧٣٧ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٦ وج ٢٨ ص ١٢٤ وعن أسد الغابة ج ٣ ص ١٥٨ وتهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٧ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٩ وعن البداية النهاية ج ٤ ص ٢٧٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٦.

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣٢٥

قال ابن اسحاق: ثم إن القوم تهبأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فودعه ثم قال:

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرنا
إني تفرست فيك الخير نافلة الله يعلم أي ثابت البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منك فقد أزرى به القدر
هكذا أنشد ابن هشام هذه الأبيات، وأنشدها ابن اسحاق، بلفظ فيه إقواء.

قال ابن اسحاق: «ثم خرج القوم، وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشيعهم، حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل خير مشيع وخبيل»^(١)
وروي عن ابن عباس: أن رسول «صلى الله عليه وآله» بعث إلى مؤتة، فاستعمل زيداً، وذكر الحديث، وفيه: فتخلف ابن رواحة، فجمع مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رآه، فقال: «ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟»
قال: أردت أن أصلي معك الجمعة، ثم ألحقهم.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٥ و ١٤٦. وراجع: مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٦ وج ٢٨ ص ٩٣ و ٩٤ و ١٢٤ وعن البداية النهاية ج ٤ ص ٢٧٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٦.

٣٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم».

وفي لفظ: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»^(١).

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٧ وقال في هامشه: أخرجه الترمذي (٥٢٧) وأحمد في المسند ج ١ ص ٢٢٤ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ج ٧ ص ٣٩٣.

وراجع: نيل الأوطار ج ٨ ص ٢٤ وعن مسند أحمد ج ٣ ص ١٤١ و ١٥٣ و ٢٠٧ و ٤٣٣ وج ٥ ص ٢٦٦ وعن صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠٢ وعن صحيح مسلم ج ٦ ص ٣٦ وسنن ابن ماجة ج ٢ ص ٩٢١ وسنن الترمذي ج ٣ ص ١٠٠ و ١٠١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ١٨٧ وشرح مسلم للنووي ج ١٣ ص ٢٦ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٧٩ وتحفة الأحوذى ج ٣ ص ٥٤ وج ٥ ص ٢٣٥ ومسند أبي داود ص ٣٥٢ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٤ ص ٥٦٠ وج ٨ ص ٥٤٥ ومسند ابن راهويه ج ١ ص ٣٨١.

وراجع: منتخب مسند عبد بن حميد ص ١٦٨ و ٢١٩ وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٤٦٢ والمعجم الأوسط ج ٥ ص ٩٥ والمعجم الكبير ج ٦ ص ١٩٠ وج ١١ ص ٣٠٧ ومسند الشاميين ج ٣ ص ٣١٠ ورياض الصالحين للنووي ص ٥٢٤ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٠٤ و ٣١٨ و ٣١٩ وج ١٠ ص ٥٦١ وعن أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٦٠٠ والجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٦١ وج ١٧ ص ٢٦٥ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٩٨ والدر المنثور ج ١ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٨ ص ٩٢ وج ٤١ ص ٤٨٣ وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٢٧١ وتاريخ جرجان ص ١٤٦.

المسير بعد الوداع:

قال ابن اسحاق، ومحمد بن عمر: ثم مضى الناس.

وعن زيد بن أرقم قال: «كنت يتيماً في حجر عبد الله بن رواحة، فلم أر وليّ يتيم كان خيراً منه، فخرجنا إلى مؤتة، فكان يردفني خلفه على حقيبة رحله، فوالله، إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أدّيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم، وخلاك ذم ولا أرجع الى أهلي ورائي
وآب المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتهي الثواء
وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل ولا نخل أسافلها رواء

قال: فلما سمعتهن منه بكيت، فخفقتني بالدرّة، وقال: «ما عليك يا لكّع أن يرزقني الله الشهادة، فأستريح من الدنيا ونصبها وهمومها وأحزانها، وترجع بين شعبي الرحل»؟

زاد ابن إسحاق قوله: ثم قال عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه في بعض شعره، وهو يرتجز:

يا زيدُ زيدَ اليعمّلات الذُّبَل تطاول الليل هُديتَ فانزل
زاد محمد بن عمر: ثم نزل نزلةً من الليل، ثم صلى ركعتين ودعا فيها دعاء طويلاً، ثم قال: يا غلام.
قلت: لييك.

قال: هي إن شاء الله الشهادة^(١).

ابن رواحة.. فقط:

أظهرت النصوص التي بين أيدينا: أن ابن رواحة كان متأثراً بالجو الروحي، حين عيّنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في موقع القيادة بعد جعفر وزيد.

وقد أظهرت أشعاره - أيضاً -: أنه كان يهيء نفسه لاستقبال الشهادة، فراجعها، وراجع قوله لزيد بن أرقم: ما عليك يا لُكْع أن يرزقني الله الشهادة الخ..

وقوله أيضاً بعد صلاته ودعائه: هي إن شاء الله الشهادة.

ثم قوله للمسلمين حين وجلوا من كثرة العدو: «إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة».

فذلك كله يدل على: أنه لم يكن يقول ويتصرف على هذا النحو، لأنه كان يتوقع أمراً لا يعرف عنه شيئاً، بل كان على علم ببعض النتائج التي ستنتهي إليها تلك الحرب، ربما بإخبار النبي «صلى الله عليه وآله» له، ولزيد، ولجعفر، إذ لم يكن «صلى الله عليه وآله» ليخبره بهذا الأمر دونها.

أو لأنه قد استفاد ذلك من سكوته «صلى الله عليه وآله» عما قاله ابن مهض (أو فنحص) اليهودي.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٩ وعن الإصابة ج ٤ ص ٧٤ و ٧٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٨ ص ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٧.

فأثر ذلك في نفسه، وصار يتعامل مع الأمور على هذا الأساس.
لكن ما يدعو إلى التأمل: أننا لا نجد لدى زيد وجعفر أية تصريحات،
أو تصرفات تشير إلى أنهم كانوا يعيشون حالة استثنائية - كما كان الحال
بالنسبة لعبد الله بن رواحة!!

ولا نستطيع أن نصدق أنفسنا إذا أردنا أن نعزو ذلك إلى عدم معرفتها
بما كان يعرفه ابن رواحة، فهما قد سمعا ما سمع، ورأيا ما رأى، ولا نظن
أنه «صلى الله عليه وآله» قد اختصه بسرّ ذلك دونها.

لكن يمكننا القول بأنهما كانا أقوى منه، على مواجهة هذا الأمر، وأنفذ
بصيرة منه فيه، وأثبت جأشاً، وأكثر تأنياً وتقبلاً له، وأصبر عليه.

ولعل هذا يفسر لنا ما روي: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى في
سيرير ابن رواحة ازوراراً، وصدوداً، بل سيأتي أنه رأى ذلك في سيرير زيد
أيضاً.

وعلى كل حال، فإن لكل واحد منهما - يعني زيداً وابن رواحة - مقامه
ومرتبته، وكان مقام جعفر أعلى وأسمى، ولذلك كان سيريره بلا عيب، لأنه
استقبل الموت حين استشهاده، بكل سكينه ورضاً وطمأنينة.. والله هو
العالم بالسرائر، والمطلع على الدخائل والضمائر.

ليس إلا المعايير الإلهية:

وقد أظهرت قضية تخلف ابن رواحة للفوز بصلاة الجماعة مع رسول
الله «صلى الله عليه وآله» خطأه في تقديراته للأمور، وأن ثمة معايير إلهية،
وتقديرات ربانية لمعنى القيمة تختلف كثيراً عما يعرفه الناس ويفهمونه، أو

فقل عما يتوهمونه..

فقد أظهرت هذه القضية حقيقة: أن غزوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وأنه لو أنفق ابن رواحة ما في الأرض جميعاً، ما أدرك غدوة أصحابه إلى الجهاد في سبيله تعالى، مع أن ما فعله لم يكن فيه إنفاق لشيء من المال، ولا تخلى عن أمر دينوي، وإنما تخلف ليفوز بثواب الصلاة جماعة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فما معنى أن يذكر إنفاق ما في الأرض جميعاً؟!

كما أنه «رحمه الله» لم يتخلف عن الغدوة والروحة في سبيل الله عز وجل، بل هو عازم على هذا الأمر بمجرد انتهاء صلاته.. فلماذا إذن يوجه إليه النبي «صلى الله عليه وآله» هذا التحذير، أو هذا التوجيه الناقد..

فلماذا ذكر النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك أيضاً؟!

فهل يريد أن يقول له: إن مجرد تأخره عن أصحابه، وغدوهم للجهاد قبله، يجعل ثوابهم أعظم من ثوابه، وأن الصلاة معه «صلى الله عليه وآله» لا تجبر ما فاته من ثواب المبادرة إلى المسير؟!

أم أنه يريد أن يقول له: إن ما فعله قد يشجع الآخرين على فعل مثله، وذلك يوجب انفلات الزمام، وتشويش الأمر على القيادة؟!

بل إن نفس فقْدِ الناس له في غدوهم، فلا يجدونه معهم - وهو أحد قادتهم - سوف يحدث بلبلة، وتردداً وتشويشاً لديهم..

فأراد «صلى الله عليه وآله» أن يقول له بالإضافة إلى ذلك كله: إن ما فاته من الثواب لا يمكن تعويضه، ولو بإنفاق جميع ما في الدنيا، وأن يبادر إلى تصحيح نظرته للأمور، وأن يأخذ معايير المثوبة والعقوبة من مصادرها

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣٣١
الحقيقية، فإن عقول البشر لا تستطيع إدراك ذلك.

وصايا النبي ﷺ لابن رواحة:

وعن وصايا النبي «صلى الله عليه وآله» لابن رواحة نقول:

١ - إن أول وصية زود بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ابن رواحة هي قوله: «إنك قادم غداً بلداً السجود فيه قليل، فأكثر السجود». وهي وصية غاية في الأهمية والدقة بالنسبة لرجل يحتاج إلى شحنات روحية قوية، تخوّله إنجاز مهمة بالغة الحساسية. أما بالنسبة إليه، فلأنها تعني ذهاب نفسه. وأما بالنسبة للعدو، فلا بد لهذه التضحيات التي يصنعها أهلها باختيارهم، ولا ترد عليهم فجأة، ولا تُفرض عليهم من قبل غيرهم. نعم، لا بد أن تترك أثرها البالغ في روح عدو يحب الدنيا، ويقاتل من أجلها، ويريد أن يبقى حياً، لكي يستفيد من لذائذها، ويتمتع بمباهجها. كما أنها لا بد أن تؤثر في جند الإسلام ثباتاً، وإصراراً وعزماً، وإقداماً، وبذلاً، وتضحيات..

ومن الواضح: أن السجود لله تعالى هو غاية الخضوع، والتذلل له سبحانه، وهو يؤكد لدى الساجد الإحساس بعظمته سبحانه، ويقلل من درجة الاعتداد بالنفس، ويهون من شأنها، ويهيئ المناخ الروحي للتخلي عنها، ثقة بما عنده سبحانه وتعالى.

وقد أظهر صدود ابن رواحة عن الموت، حين وافته الشهادة، ثم إقباله عليه - أظهر - أنه كان بحاجة إلى الإكثار من هذا السجود لترويض نفسه

وتهيئتها لهذا المقام العظيم.

٢ - ثم جاءت الوصية الثانية لتأمر ابن رواحة بذكر الله تعالى، فإنه عون له على ما يصبو له ويسعى إليه. أي أن عليه أن لا يعتمد على قدراته الذاتية، لأن نفسه قد تخذله في أخرج اللحظات. ولا علاج لهذا الأمر إلا بذكره تعالى الذي تشعر هذه النفس بهيمته عليها، وبالكيفية لها، وبأنه هو الحافظ، وهو المدبر لها والرحيم والرؤوف بها، والعطوف عليها، فتستسلم له، وتكف عن المنازعة، وتجنح للانقياد والمطاوعة.

٣ - ثم تأتي الوصية الثالثة لتقول له: إن عليه أن لا يستسلم للشعور بالعجز في مواجهة تمردات نفسه المتكررة، وأن عليه أن يعيد المحاولة مرات ومرات، حتى لو بلغت عشراً، فإن الإخفاق في ذلك كله لا يمنع من النجاح مرة واحدة بعدها، ليكون في هذه المرة الفوز العظيم، والنصر المؤزر على هذه النفس الأمارة بالسوء.

وهكذا فإن هذه الوصايا النبوية تكون قد أعطت الانطباع عن حقائق، ودقائق كان لابد له «صلى الله عليه وآله» من التعاطي معها، ومعالجتها برفق وأناة، وبواقعية وموضوعية، وهكذا كان.

ملحق

كيف جرت الأمور؟!

وإذا جاز لنا أن نقدم تصوراً محتملاً، ومعقولاً، وربما مقبولاً لما جرت عليه الأمور في أحداث مؤتة.. فإننا نقول:

لعل النبي «صلى الله عليه وآله» قد رأى في طريقة تعامل قيصر مع رسله حين أرسل إليه يدعوه للإسلام، ما يشير إلى طبيعة تفكيره، ويشي بحقيقة الأساليب والسبل التي ينتهجها..

ثم جاء انتصار هرقل على ملك فارس، ونذر أن يمشي إلى بيت المقدس..

وكانت مئات الألوف من العساكر ترافقه في مسيره ذاك، ورأى نفسه، وعساكره على مقربة من مركز انطلاقه النبي «صلى الله عليه وآله» في رسالته، وهو الإنسان الذي لا مجال لإهمال أمره، فضلاً عن نسيانه أو تناسيه. ففكر في أن يعطف بجيوشه عليه لينهي أمره، ولينام قرير العين فارغ البال، لا يرى في الأفق أي شيء يخافه أو يخشاه، لا في قريب الأيام، ولا في بعيدها..

فعرف النبي «صلى الله عليه وآله» بالأمر، فأرسل في العرب ينذرهم

بالخطر، ويستنفرهم إلى الشام^(١).

فاجتمع له منهم ثلاثة آلاف رجل، مع أن المسلمين لم يزدوا على ألف وخمسمئة، أو أزيد بقليل كما ظهر في الحديية وخير.. مما يعني أن الذين استجابوا لاستنفاره كان فيهم المسلم وغير المسلم، لأنهم عرفوا أن الخطب داهم، وأن المصيبة سوف تعم الجميع..

فكان خطة رسول الله «صلى الله عليه وآله» تقضي بالمقاومة، حتى استشهاد القادة. ثم تواصل الحرب ويصمد جيش المسلمين، ولو ساعة واحدة ليدرك قادة جيش الروم - وعلى رأسهم ذلك الملك المجرب والخبير بالأمور - أن الحرب مع هؤلاء لا نهاية لها.. بدليل أن قتل القادة لا يحسم المعركة معهم، بل ربما يزيدوها تأججاً وتوهجاً، فلا بد من حساب الأمور بطريقة أخرى تحمل في طياتها، التراجع وإيقاف الحرب، وإعادة النظر في أمر هذا الدين، ودراسة تعاليمه وحقائقه، بل ربما يفكر هرقل بإفساح المجال لهذا الدين لينتشر في بلاده، ولو برجاء أن يكون هو المستفيد من هذه القوة والشوكة، التي رأى نهاذج رائعة منها في مؤتة.

أي أن من جملة ما أراده «صلى الله عليه وآله» هو أن يفاجئهم بحقيقة أنه حتى قتل القادة لا ينهي الحرب، بل هي تستمر إلى آخر شخص قادر على حمل السلاح من المسلمين، وهذا معناه: أن الخسائر التي لا بد أن يمتن

(١) كما دلت عليه النصوص التي ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الشام (سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧)، وهو ما ذكر ابن إسحاق أنه حصل قبل مؤتة، فراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥.

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة ٣٣٥

بها من يقاتل هذا النوع من الناس لا مجال للتكهن لا بحجمها ولا بمستواها، وهذا يعطي انطباعاً مفاده: أن ما يحارب هؤلاء الرجال من أجله ليس أمراً دنيوياً يرضون إذا أخذوه، أو يسخطون إذا فقدوه، بل القضية أبعد من ذلك بكثير.

وبذلك يكون ما جرى في مؤتة، ومن خلال صبر ساعة قد حقق أعظم إنجاز عرفه تاريخ البشرية، وذلك بدخول الإسلام بأيسر السبل إلى أعظم الإمبراطوريات وأقواها.

وبذلك أيضاً: يتغير وجه التاريخ، ويتحول مسار حركة الأمم.. ولكن خالداً قد ضيع ذلك كله، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ثم إن التاريخ يعيد نفسه، حين يتم نقض خطة النبي «صلى الله عليه وآله» في حرب أخرى، جاءت متممة لحرب مؤتة. وتريد أن تستدرك ما ضيعه المنهزمون فيها.. وذلك حين جهز النبي «صلى الله عليه وآله» أسامة بن زيد، ليقود جيشاً إلى مؤتة نفسها، حيث استشهد أبوه الذي كان أحد القادة الثلاثة في تلك السرية.

وإذ بأناس آخرين ينبرون أيضاً ليضيعوا على الأمة، وعلى النبي «صلى الله عليه وآله» الفرصة، ويتم على أيديهم إفشال خطته، وتذهب جهوده أدراج الرياح.

ولا نكاد نشك في أن النتائج التي كان يتوخاها «صلى الله عليه وآله» من هذه السرية كانت تداني في خطورتها، وفي أهميتها ونفعها للإسلام ما كان يتوخاه من سرية مؤتة بالذات..

مع ملاحظة: أن هذا الفريق قد استعمل نفس الأسلوب الذي استُعمل

في مؤتة، فقد طعنوا في قيادة أسامة، كما طعنوا في أمانة أبيه زيد من قبل..
وقد بلغ من إصرارهم على عصيان امر رسول الله «صلى الله عليه وآله»
أنهم لم يكثرثوا حتى باللعن الذي سجله رسول الله «صلى الله عليه وآله»
على من يتخلف عن جيش أسامة..
وهذا اللعن يشير أيضاً: إلى مدى أهمية وخطورة هذا الأمر بالنسبة إليه
«صلى الله عليه وآله»، وبالنسبة لأمة الإسلام بصورة عامة..

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

رسالة

رسالة
١ - رسالة

٢ - رسالة

١- الفهرس الإجمالي

الباب العاشر: بين خيبر ومؤتة

٤٠ - ٧	الفصل الأول: فتح وادي القرى .. ورد الشمس ..
٨٨ - ٤١	الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء ..
١١٤ - ٨٩	الفصل الثالث: شخصيات .. وأحداث .. إلى عمرة القضاء ..
١٤٨ - ١١٥	الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت .. وصلاة الغائب ..
١٨٠ - ١٤٩	الفصل الخامس: إلى مكة .. لأجل العمرة ..
٢٢٦ - ١٨٣	الفصل السادس: من مكة إلى المدينة ..
٢٦٩ - ٢٢٧	الفصل السابع: سرايا وأحداث إلى مؤتة ..
الباب الحادي عشر: مؤتة .. إلى الفتح ..	
٣٣٦ - ٢٧٣	الفصل الأول: من المدينة .. إلى مؤتة ..
٣٥٠ - ٣٣٧	الفهارس ..

٢ = الفهرس التفصيلي

الباب العاشر: بين خيبر وموتة

الفصل الأول: فتح وادي القرى.. ورد الشمس..

- انصراف الرسول ﷺ من خيبر إلى وادي القرى: ٩
- نوم النبي ﷺ عن صلاة الصبح: ١٥
- الشيطان وبلال: ٢١
- رد الشمس لعلي عليه السلام في خيبر: ٢٤
- رواة حديث رد الشمس: ٢٥
- لماذا لم تنقل الأمم ذلك؟! ٢٩
- لم تحبس الشمس إلا ليوشع: ٣٠
- الذين يرون المعجزة: ٣٣
- إختلال النظام الكوني: ٣٤
- لو ردت لعلي عليه السلام لردت للنبي ﷺ: ٣٤
- علي عليه السلام لا يترك الصلاة: ٣٦
- عصى الرسول ﷺ فوجد ما يكره: ٣٧
- جبل أحد يحبنا ونحبه: ٣٧

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى ومهرة القضاء

- سرية عمر إلى تربة: ٤٣

- ٣٤٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
- ٤٧..... سرية أبي بكر إلى نجد:
- ٤٨..... بطولات سلمة بن الأكوع:
- ٤٩..... قتل سبعة أهل أبيات:
- ٥٠..... سرية بشير بن سعد إلى فذك:
- ٥٢..... سرية غالب الليثي إلى فذك:
- ٥٥..... أين تقع فذك؟!:
- ٥٥..... لماذا ثلاثون رجلاً؟!:
- ٥٦..... أهداف تلك السرية:
- ٥٧..... إمكان نجاة السرية من القتل:
- ٥٧..... من هم القتلى؟!:
- ٥٧..... بشير بن سعد الجريح الناجي!!:
- ٥٨..... قاتل حتى ضرب كعبه!!:
- ٥٩..... لماذا عدل عن الزبير؟!:
- ٦١..... الزبير.. وبشير بن سعد:
- ٦١..... حرب إبادة:
- ٦٢..... الغنائم والأسرى:
- ٦٤..... قصة أسامة بنحو آخر:
- ٦٤..... ألا شققت قلبه؟!:
- ٦٦..... تهافت.. لا علاج له:
- ٦٧..... لا أقتل أحداً يقول: لا إله إلا الله:
- ٦٩..... ماذا عن سؤال المقداد ؓ؟!:

الفهارس.. ٣٤٣ ..

هل هذا هو النص الصحيح للقضية؟! ٧٠

سرية غالب بن عبد الله إلى الميعة: ٧٤

سرية بشير بن سعد إلى الجنب: ٧٦

التأمر.. والاستعداد: ٨٠

مشورة العمرين: ٨٠

لماذا بشير بن سعد دون سواه؟! : ٨١

نصرت بالرعب: ٨٣

هلا لنفسك كان ذا التعليم: ٨٤

موانع من إسلام عينة: ٨٧

الفصل الثالث: شخصيات.. وأحداث.. إلى عمرة القضاء

قتل شيرويه: ٩١

جبله بن الأيهم: ٩٣

ملاحظة للسيد شرف الدين رحمته الله: ٩٧

تأييد عودة جبله إلى الإسلام: ١٠٢

جبله يعطي الزكاة لا الجزية: ١٠٤

وصول هدايا المقوقس: ١٠٦

قيمة الهدايا: ١٠٦

هدايا متبادلة: ١٠٧

تصحيح اشتباه: ١٠٨

المقابلة بالمثل : ١٠٨

موت النجاشي: ١٠٩

٣٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

صلاة الغائب: ١١٢

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب..

عدد تكبيرات صلاة الميت: ١١٧

مذهب أهل البيت عليه السلام هو الصحيح: ١١٨

أدلة القائلين بالتكبيرات الأربع: ١١٩

القول الحق: ١٢٢

ما ورد عن النبي الأعظم ﷺ: ١٢٤

وما ورد عن زيد بن أرقم في ذلك: ١٣٠

وما روي عن عيسى مولى حذيفة: ١٣١

وما روي عن ابن مسعود: ١٣١

وأما ما روي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام: ١٣٢

ومما ورد عن الحسن عليه السلام نذكر: ١٣٤

ومما ورد عن ابن عباس: ١٣٤

ومما ورد عن محمد بن الحنفية: ١٣٥

وأما ما ورد عن حذيفة: ١٣٥

ومما ورد عن أبي ذر: ١٣٥

ومما ورد عن أصحاب معاذ في الشام: ١٣٦

ومما ورد عن أهل الشام: ١٣٦

وعن العباس بن عبد المطلب: ١٣٦

وما روي عن أبي يوسف: ١٣٦

وما روي عن جابر بن زيد: ١٣٧

٣٤٥ ..	الفهارس..
١٣٧ ..	وأما ما نقل عن ابن أبي ليلى:
١٣٧ ..	رأي الهاشميين في التكبير:
١٣٩ ..	ومما روي عن عمر بن الخطاب:
١٣٩ ..	كلام ابن قَيِّم الجوزية:
١٤٠ ..	التكبير خمساً عند الصحابة وغيرهم:
١٤١ ..	عمر هو أول من أُلزم بالأربع:
١٤٤ ..	أسد حيدر ماذا يقول؟!:
١٤٤ ..	سر الاختلاف في التكبير على الميت:

الفصل الخامس: إلى مكة.. لأجل العمرة..

١٥١ ..	توطئة.. وتمهيد:
١٥١ ..	تصحیح اشتباه:
١٥٢ ..	من المدينة إلى مكة:
١٥٥ ..	دخول مكة:
١٥٥ ..	النبي ﷺ في مكة:
١٥٩ ..	الخروج من مكة:
١٦٠ ..	المستخلف على المدينة:
١٦١ ..	الذي خلق رأس رسول الله ﷺ:
١٦١ ..	لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة:
١٦٢ ..	آية التهلكة خاصة:
١٦٣ ..	أحرم من المسجد:
١٦٥ ..	تحديد المسؤوليات في دائرة التنظيم:

- ٣٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
- لا يتخلف من شهد الحديبية: ١٦٦
- تقليد الهدى، وحمل السلاح: ١٦٩
- قصور النظر لدى بعض المسلمين: ١٧٠
- رعب قريش وحيرتها: ١٧٢
- الحقد هو الحاكم، وليس المنطق: ١٧٤
- ظهور الوهن في المهاجرين: ١٧٥
- إظهار القوة.. يبطل كيدهم: ١٧٧
- إجراء آخر لإظهار القوة: ١٧٨

الفصل السادس: من مكة إلى المدينة..

- هل كان أبو هريرة مع الهدى؟! ١٨٥
- شعر ابن رواحة: ١٨٦
- خطأ يقع فيه الترمذي: ١٨٧
- يا عمر، إني أسمع: ١٨٨
- امشوا بين اليماني والأسود: ١٨٩
- أذان بلال فوق ظهر الكعبة: ١٩٠
- الراجع من الاحتمالات والأقوال: ١٩٢
- لماذا بلال؟! ١٩٣
- بين سهيل وسعد بن عباد: ١٩٥
- أخرج من أرضنا: ١٩٧
- إنتفاضة سعد: ١٩٨
- لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا: ١٩٩

٣٤٧	الفهارس..
٢٠١	زواج النبي ﷺ بميمونة:
٢٠٣	الإعراس في مكة غير ميسور:
٢٠٤	هل تزوج ميمونة وهو محرم؟!:
٢٠٧	جعفر هو الخاطب:
٢٠٩	برة.. ثم ميمونة:
٢٠٩	البعير وما عليه للبشير:
٢١٤	فضل ميمونة:
٢١٥	عمارة بنت حمزة في كفالة جعفر:
٢١٦	المشاجرة:
٢١٨	يا عم، يا عم!!:
٢١٨	جعفر يحجل والنبي ﷺ يسأل:
٢٢٠	ابنة أخي من الرضاعة:
٢٢٢	أسئلة تبقى حائرة:

الفصل السابع: سرايا وأحداث إلى مودة

٢٢٩	سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم:
٢٣٠	تشابه مريب وغريب:
٢٣٠	جهل أم تجاهل؟!:
٢٣٠	جمع بني سليم:
٢٣١	سبب هذه السرية:
٢٣٢	إسلام خالد، وعمرو بن العاص:
٢٣٨	رسالة الوليد إلى خالد:

٣٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩
٢٣٩ لم يسلم خالد سنة خمس:
٢٣٩ من أسباب إسلام عمرو وخالد:
٢٤٣ الإسلام الصادق:
٢٤٤ الإسلام يحب ما قبله:
٢٤٥ عمر كالعاتب على خالد!!:
٢٤٧ دعاوى عريضة لعمر وبن العاص:
٢٥٠ إسلام ابن العاص على يد النجاشي!!:
٢٥٢ إسلام خزاعة وكتب النبي ﷺ لها:
٢٥٤ من هو كاتب الكتاب؟!
٢٥٤ رسالتان.. أم رسالة واحدة؟!
٢٥٦ اشتباه ابن سعد:
٢٥٧ علاقة مودة ورحمة:
٢٥٨ امتاز الحليف على الرئيس:
٢٥٩ الحلم والتأني:
٢٥٩ سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد:
٢٦١ حديث التل:
٢٦٢ من هو جندب هذا؟!
٢٦٢ غوامض غير مستساغة:
٢٦٣ لا بد من التروي:
٢٦٣ تناقض غير مفهوم:
٢٦٤ تكرار المكررات:

٣٤٩	الفهارس ..
٢٦٥	زواج النبي ﷺ بينت الضحاك:
٢٦٦	سرية ذات أطلاق:
٢٦٨	سرية إلى السّي:

الباب الحادي عشر: موته.. إلى الفتح..

الفصل الأول: من المدينة.. إلى موته

٢٧٥	أول بعث إلى خارج الجزيرة:
٢٧٦	تاريخ غزوة مؤتة:
٢٧٧	نصوص حول سبب غزوة مؤتة:
٢٨٠	ليترض المسلمون رجلاً!!
٢٨١	طعن الصحابة في إمارة زيد:
٢٨٢	وصايا النبي ﷺ لجيش مؤتة:
٢٨٤	سبب غزوة مؤتة:
٢٨٦	ذات أطلاق هي السبب:
٢٨٧	مناقشة مردودة:
٢٨٨	جموع الروم وقرار الحرب:
٢٩١	مهمات الجيش خطيرة.. وقد ضاعت:
٢٩٢	خالد يضع نتائج المعركة:
٢٩٣	الوصايا تشي وتنم:
٢٩٤	سرية دعوة، أم سرية حرب؟
٢٩٦	وصايا في نطاق الأهداف الإلهية:
٢٩٧	من وصاياہ ﷺ لجيشه أيضاً:

٣٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١٩

التحول إلى دار المهاجرين: ٢٩٨

الرسل لا تقتل: ٢٩٨

اليهودي.. وقتل القادة: ٣٠٠

لماذا طعنوا في إمارة زيد؟! ٣٠١

إنه لمن أحب الناس إلي!! ٣٠٢

عودة إلى الطعن في إمارة زيد.. وأسامة: ٣٠٤

الجرف.. وثنية الوداع: ٣٠٧

إعتراض جعفر على رسول الله ﷺ: ٣٠٨

جعفر هو الأمير الأول: ٣٠٩

مؤيدات لما سبق: ٣١٥

لماذا لم يحدد قائداً رابعاً: ٣٢٠

حديث الضبابة: ٣٢٠

روحيات ابن رواحة: ٣٢٢

المسير بعد الوداع: ٣٢٧

ابن رواحة.. فقط: ٣٢٨

ليس إلا المعايير الإلهية: ٣٢٩

وصايا النبي ﷺ لابن رواحة: ٣٣١

ملحق: كيف جرت الأمور؟! ٣٣١

الفهارس:

١ - الفهرس الإجمالي ٣٣٩

٢ - الفهرس التفصيلي ٣٤١